

"سيلفي" مع البحر ومسرحيات اخرى

د. سناء شعلان



"سيلفي" مع البحر



الطبعة الأولى

٢٠١٩

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

المؤلف ومن هو في حكمه : د. سناء شعلان
عنوان الكتاب : 'سيلفي' مع البحر
بيانات الناشر : أمواج للنشر والتوزيع، عمان - الأردن
عدد صفحات الكتاب : ٤٢٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة : (٢٠١٨/١٢/٦٣٠٨)
الوطنية
الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ٩٧٨-٩٩٥٧-٥٤٥-٢٥-٣
الواصفات : الأدب العربي // المسرحيات العربية // العصر
الحديث

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
- تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

جميع حقوق الملكية الأدبية محفوظة للمؤلفة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من المؤلفة.

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان

تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١ / ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٩٦٥١

amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com



مسرحيات

"سيلفي" مع البحر

ومسرحيات أخرى

د. سناء شعلان

الفهرست

رقم الصفحة	العنوان
٥	الفهرست
٧	إهداء
٩	١. دعوة على شرف اللون الأحمر.
٦٩	٢. ”سيلفي“ مع البحر.
١٦٣	٣. وجه واحد لاثنين ماطرين.
٢٠٩	٤. محاكمة الاسم (X)
٣٣٥	٥. السلطان لا ينام.
٣٩٥	٦. خرافية سعديّة أمّ الحظوظ.

إهداء

إلى نداء البحر الذي يخوّفنا، ونكاد نستجيب له.
إلى الذين يرفضون أن يتبعوا البحر مهما ناداهم.

(المسرحيّة الأولى)
دعوة على شرف اللّون الأحمر
(مسرحيّة من ثلاثة فصول)

شخصيات المسرحية

- الضابط: رجل في منتصف الأربعين من عمره، يلبس لباساً عسكرياً هو مزيج من اللباس العسكري الرصين ولباس المهرج، وعلى عينيه مساحيق زينة صارخة ولامعة، توحى بأنه مهرج أكثر من أنه عسكري، ويمسك سوطاً يضرب الأرض به من آن إلى آخر دون سبب معلوم لهذا السلوك.

- الروائية: امرأة جميلة، تلبس ملابس حديثة، تسريحتها عصرية، وتنتعل حذاءً كلاسيكياً جميلاً، وتدخن السيجار من آن إلى آخر، وتلبس نظارة شمسية.

- الطبيب: رجل في منتصف الأربعين من عمره، يلبس لباس طبيب، ونظارات طبية، على الرغم من أنه أعمى، حركاته جميعها تدلّ على أنه أعمى، وعلى أنه لا يرى أبداً، لكنه يطالع مصدر الصوت حسب. على معطفه الطبيّ الأبيض الكثير من بقع الدّم، وهيئته تشبه هيئة الجزار أكثر مما تشبه هيئة طبيب.

- المجنون: شابّ في منتصف الثلاثين من عمره، يلبس ملابس ممزّقة، ألوانها بين حمراء وصفراء، شعره أشعث، وعلى رأسه قبعة أعياد ميلاد ملوّنة (طرطور)، ويضع صفارة في فمه، يصفرّ بها من وقت إلى آخر.

- السِّيَاسِيَّة: تلبس بذلة سفاري زيتية اللون، شعرها مبعثر، والكثير من الكدمات على وجهها، تعرج في مشيتها، وصوتها جهوريّ وقويّ وعميق وموثر.

- الغجرية: تلبس ملابس غجرية، كثيرة الألوان، متعددة القطع، شعرها طويل مسترسل، عليه منديل صغير جداً أزرق اللون، تضع الكثير من مساحيق التجميل، وتلبس الكثير من الإكسسوارات (خواتم، أساور، خلخال، أقراط، قلادات)، ولا تظهر في المسرحية إلاّ وهي تحمل فنجان قهوة، وتطالع في قاعه، وتعلق على كتفها حقيبة قماشية طويلة ممتلئة بأشياء مجهولة.

- المخرج: يلبس ملابس عصرية سوداء، ويتعل حذاء رياضياً خفيفاً، شعره طويل مربوط

إلى خلف ظهره، ويلبس قبعة رياضية صغيرة، ويحمل رزمة أوراق يقرأ فيها باستمرار عندما يعطي الأوامر للممثلين، بما يوحي بأنّها نصّ المسرحية التي يمثلونها.

- العسكريان: شابان صغيران، يلبس كلّ منهما بذلة عسكرية أنيقة، شعرهما مصفّف، ويضعان على رأسيهما قبعتا أعياد ميلاد (طرطور).

- المشاهد: يلبس ملابس عصرية سوداء اللون، مرتّب الهدنام.

- المشاهدة: تلبس ملابس عصرية بيضاء اللون، مرتبة الهدنام.

الفصل الأول

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستائر بمرافقة موسيقى هادئة، المسرح معتم إلا من بقعتين ضوئيتين مسلّطتين على مكانين في خشبة المسرح؛ البقعة الأولى مسلّطة على يسار المسرح حيث تجلس امرأة عجزيّة على كرسيّ خشبيّ كالذي في الحدائق العامة، وإلى جانبها متسع لجلوس شخص آخر، وخلفها لافتة معلّقة على حاملة خشبيّة كُتب عليها بلون أحمر واضح: "بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها".

البقعة الثانية مسلّطة على طاولة خشبيّة عليها أقداح وأطباق يأكل منها الملتفون حولها، وفي منتصف الطاولة زهريّة زجاجيّة غير فاخرة، فيها زهرة واحدة فقط، إلى جانبها قارورة بها شراب أحمر وكأس به القليل من ذلك الشراب.

حول الطاولة يجلس في مقاعد حديديّة ثلاثة رجال وامرأتين، جميعهم مستغرقون في تناول الطعام، وابتلاع الشراب الموجود في أقداح الشراب. الجميع يأكلون برتابة وعدم شهية، ودون كلام، أو تلفّت إلى أيّ جهة كانت.

- العجزيّة (تطالع قاع فنجان القهوة): هذه ليلة لن تتكرّر.

- الروائيّة (تضرب الأرض بالشوكة والسكين اللتين تأكل بهما):
أنت كاذبة، بل هي ليلة تتكرّر دائماً، تتكرّر كثيراً، بالتحديد تتكرّر في كلّ ليلة.

- العجريّة (دون مبالاة بكلام الروائيّة تحدّق في قاع فنجانها،
وتقول بنبرة واثقة وآليّة): لا فرق، نزولاً عند رغبتك هي ليلة تتكرّر
دائماً. خطوط القهوة تقول: إنّ الأحلام مسموح بها في هذه الليلة.
(البقعتان الضوّئتان تتسعان، وتكبران حتى تشملان الخشبة كلّها،
ويعلو صوت موسيقى شديدة يعلوها قرع شديد يتناسب مع وقع كلام
الشخصيّات).

- الروائيّة (بانفعال): بل الأحلام ممنوعة في كلّ ليلة.

- العجريّة (بإصرار): بل مسموح بها لهذه الليلة فقط؛ لأنّ
ضيوفك هذه الليلة مميّزون.

- الروائيّة (بتعال): هم ضيوف ذاتهم كلّ ليلة.

- العجريّة (بضحكة هستيريّة): لذلك باتوا مميّزين وحميمين.

- الروائيّة (بأسى): بل هم غرباء مثل ضيوف كلّ ليلة، لا يجلس
إلى طاولتي إلاّ الغرباء.

- العجريّة (باستغراب): لكنك قلت إنّهم ضيوف كلّ ليلة!

- الروائية: أنا لم أقل ذلك، بل أنت من تتوهمين ذلك.
- العجربة (بامتعاظ): إذن لحسن الحظ أنّ الأحلام مسموح بها هذه الليلة.
- الضابط (ينتصب على قدميه، ويضرب سوطه بالأرض، فينفض الجميع من حول الطاولة بفرع إلا المجنون الذي يأخذ بالتراقص والتصفيق): الأحلام ممنوعة لهذه الليلة.
- المجنون (هو يتقافز، ويضحك بشكل هستيري): الأحلام ممنوعة بقرار عسكري.
- الروائية: متى ستسمحون بالأحلام؟
- الضابط (بصلف): لن نسمح بذلك أبداً.
- الروائية (بقلق): ماذا عن الليلة؟
- الضابط (بلوّم): الليلة مثل الليالي كلها. كل شيء فيها ممنوع ممنوع ممنوع.
- الروائية: والأحلام؟
- الضابط: ممنوعة.
- الروائية: والنوم؟
- الضابط: ممنوع.

- الروائية: والتور؟
- الضابط: ممنوع.
- الروائية (بقلق): والحب؟
- الضابط (بغضب وحزم): هذا بالذات ممنوع.
- العجريّة (من مكانها تحدّق في فنجان القهوة دون مبالاة): كلّه ممنوع في ممنوع، مع أنّ المخرج وعدني بأنّ كلّ شيء سيكون مسموحاً به، على الأقل هذه الليلة.
- السياسيّة (تتجرّع كلّ ما في كأسها من شراب، وتأخذ بسكب المزيد منه في كأسها): كلّ ممنوع؟ يا لهم من أوغاد!
- العجريّة (تخاطب الجمهور، وهي تشير إلى لافتة معلقة فوقها): انظروا. أنا لا أكذب، خطوط القهوة لا تكذب، العجريات لا يكذبن، المخرج لا يكذب، انظروا إلى ما هو مكتوب ها هنا: "مكتوب، بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها"، ولكنّها جملة مكتوبة بالطلاء الأحمر. غريب جداً!
- المخرج (بعصبيّة): انزلوا الستارة حدث خطأ ما.
- (تقوى الإضاءة، يبقى الممثلون في أماكنهم، ويتحلّقون جميعاً حول المخرج الذي صعد إلى خشبة المسرح، وهو يلبس ملابس سوداء،

مطلقاً العنان لشعره، ويمسك أوراقاً كثيرة توحى بأنها أوراق نصّ
المسرحيّة، ويقول بعصبية: من غير لون طلاء هذه اللّافّة اللّعينة؟ لقد
لوّنتها بيديّ باللّون الأسود. فمن جعلها باللّون الأحمر؟ قولوا لي من
فعل ذلك؟

- الغجريّة: المهمّ أنّ الأحلام مسموح بها.

- الروائيّة: الألوان لا قيمة لها.

- المجنون: هل ستكملون هذه المسرحيّة اللّعينة ذات الأنوار
المعتمة، والحضور المخيف؟ أم أنّكم ستؤجّلون العرض إلى أجل غير
مسمّى؟

- الروائيّة: هذا ما ينقصني، أن يتمردّ المجانين على إرادتي.

أنا من كتب نصّ هذه المسرحيّة، أليس كذلك؟

- المخرج (بامتعاض): أيّها الممثّلة المدّعية، لقد اندمجت بحقّ في
دورك هذا، وهذا أمر جيّد، لكن أرجو أن لا تندمجي به إلى الحدّ الذي
يجعلك تخرجين عن سلطتي وإرادتي وإرشاداتي.

- الممثّلون (بصوت واحد): ونحن ممثّلون، ولنا إرادتنا المستقلّة.

- المجنون: ما رأيكم بأن نعود إلى استئناف مسرحيتنا؟ فالشّجار لن

يفيدنا بشيء.

- العجريّة (ضاحكة بسخرية): يا جماعة، الوقت ينفد، والملل بات يتسلّل إلى نفوس المشاهدين، والحقيقة أنّه لا يعيننا أن نعرف أيّ الأصابع اللاهية القميئة قد تسلّلت إلى خشبة المسرح ليلاً، وكتبت بالطلاء الأحمر على هذه اللافتة.

- الممثلون (بصوت واحد): نعم، لنعد إلى مسرحيتنا وإلى أدوارنا الحزينة التي أهداها القدر إلينا.

- المخرج (بصوت جهوري): استعداد. ارفعوا الستارة. إضاءة.

(يعود الممثلون إلى الوقوف على الهيئة التي كانوا عليها قبل تدخّل المخرج في المشهد).

- العجريّة (تخاطب الجمهور، وهي تشير إلى لافتة معلقة فوقها): انظروا، أنا لا أكذب، خطوط القهوة لا تكذب، العجريات لا يكذبن، المخرج لا يكذب، انظروا إلى ما هو مكتوب ها هنا، مكتوب: "بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها". لكنّها مكتوبة بالطلاء الأحمر، هذا غريب بحق؛ البارحة كتبها المخرج باللون الأسود.

(صوت المخرج يقول عبر ميكرفون من خلف الكواليس، حيث يُسمع ولا يُرى): ها قد عدنا من جديد، اللّعة، دعينا من قضية الألوان، وتابعي تمثيل دورك).

- العجريّة (بقلق): لكتّها مكتوبة باللّون الأحمر. البارحة كانت مكتوب باللّون الأسود.
- الضّابط (مقهقها): الأحلام جميعها مكتوبة باللّون الأحمر.
- العجريّة (بهستيريّة): أنتم كاذبون. جميعكم كاذبون. خطوط القهوة لا تكذب.
- السياسيّة (تضحك ضحكاً هستيرياً): كلّ ممنوع. اللّعة عليهم. سمحوا فقط بالأحلام ذات اللّون الأحمر؛ لأنّ الكلّ يخشون الأحلام الحمراء.
- الروائيّة (موجهة كلامها إلى الضّابط): ماذا تعني تلك الضّيفة بالأحلام الحمراء؟
- الضّابط (باحترار): دعك منها، هذه سكيرّة، لا تعوّلي على كلامها.
- الروائيّة (موجهة كلامها للطّيب): ماذا عنت بالأحلام ذات اللّون الأحمر؟
- الطّيب: مسكينة عندها عمى ألوان، هي تعني بالتأكيد أحلام ذات لون أخضر.
- الروائيّة: إذن ماذا تعني بالأحلام ذات اللّون الأخضر؟

- الطَّيِّب (بدهشة): من قال إنّ للأحلام ألوان؟
 - الروائيّة (مشيرة إلى العجريّة): هي من قالت ذلك.
 - الطَّيِّب (بانفعال وعصبية): هي مجنونة، وهي خطر على أمننا الوطنيّ.
 - الروائيّة (باستغراب): أيُّ أمن؟ أيّ وطن؟ أتعني وطن ليلتنا هذه؟
 - المجنون (بقهقهة وتصفيق): المجانين دائماً خطر على الأمن. أمن من؟ لا ندرى.
- (تخبوا الإضاءة تماماً، ويكشف عن شاشة كبيرة تعرض صوراً من التعذيب والمعتقلات والقَتلى، وضحايا الحروب، وتتلطّخ الشاشة بالأحمر، وتعلو موسيقى مختلطة بين حزينة وصوت استعراضات عسكريّة، ثم تطغى على خشبة المسرح إضاءة حمراء، فيما ترقص العجريّة رقصة ذبيحة تدلّ على خوف وقلق، والممثلون جميعاً ممدّون على خشبة المسرح دون حراك، إلى أن ينتصب الضابط على رجليه، ويقول بعصبية: أصدرت قراراً باعتقال المجانين، وباعتقال الأحلام أيضاً. لا مكان هنا للتمرد، ولا للأحلام الملعونة.
- السياسيّة (وقد انزلت أرضاً بهستيريّة): اعتقال، تعذيب، و..؟
- لا، ليس هذا مرّة أخرى من جديد.

- الضَّابِط (بتحفّز): السَّوْط. إليّ بالسَّوْط.
- (ينتفض الجميع الملتفّون حول الضَّابِط، ويأخذ كلُّ منهم ركناً بعيداً من المسرح ليرتجف فيه).
- السِّيَاسِيَّة (بهلع): من جديد سياط، وظلام، وجلود مهترئة، أنا لا أريد أحلاماً، بل أريد ألواناً لأرسم تلك الأحلام.
- الضَّابِط (بلووم وضحكات مصطنعة): يا حمقاء، نسيت أنّ لا أصابع لك لترسمي بها، لقد قطعناها لك، أتذكرين ذلك؟ كانت أصابعك أصابع شريرة ووقحة، ترسم أحلاماً، فتثور بسببها الدهماء الحمقاء التي تحلم بالألوان والأحلام.
- الطَّيِّب (بلغة رسميّة، وكأنّه يقرأ من ورقة): بناء على كشفنا السريريّ على المريضة بداء الأحلام الملوّنة تبين أنّ هناك حاجة وطنيّة، أقصد حاجة طبيّة عاجلة، لقطع أصابعها؛ لتخليصها من آلامها، ولتخليصنا من أحلامها الملوّنة.
- (كلام الطَّيِّب يصدر مرّة أخرى مضخّماً، وكأنّه صوت ينبعث من مكبّر مع مرافقة الموسيقى العسكريّة، يكرّر الطَّيِّب كلامه قائلاً: بناء على كشفنا السريريّ على المريضة بداء الأحلام الملوّنة تبين أنّ هناك حاجة طبيّة عاجلة لقطع أصابعها؛ لتخليصها من آلامها، ولتخليصنا من أحلامها الملوّنة)

- الضابط (يوقع في الهواء): أوافق، ويُجرى اللازم.
- السياسيّة: لا، لا تقطعوا أصابعي. تَبّاً لأحلام. تَبّاً لكم.
- أصابعي، لا تقطعوا أصابعي.
- المجنون: القمر في جيبي، هو أيضاً ملوّن. (يشير إلى المشاهدين قائلاً): أنتم كالعادة متفرّجون، فقط متفرّجون، لا تعنيكم الأصابع المقطوعة ولا الأحلام الملوّنة، أنا أستطيع أن أقرأ أفكاركم اللّعينة، كلّكم تحلمون بالأحلام الملوّنة. سيأتي اليوم الذي تُعاقبون به على ذلك، العقابُ أتٍ لكلّ من يثبتُ أنّ في رأسه أحلاماً تتلاعب به.
- (تحفّت الإضاءة من جديد، أصوات أقدام عسكرية تغزو المكان، تُدلى مشانق من فضاء خشبة المسرح، يحشر المجنون والروائيّة والغجريّة رؤوسهم فيها، وتعلو موسيقى مخيفة تدلّ على أنّهم يشنقون، ويموتون اختناقاً).
- المخرج (صوته يعلو عبر الميكرفون بعصبية): ليس الآن، أيّها الحمقى، رؤوسكم سوف تعلق على أعواد المشانق فيما بعد، أمّا الآن، فتابعوا تمثيل أدواركم وفق ما هو مكتوب في نصوصكم التي حفظتموها.
- الروائيّة (دون اهتمام): لكن الإبداع مطلوب.

- -المجنون (يضرب على قفا الروائية، ويغمزها غمزة ذات معنى): كل شيء مطلوب.
- الضابط (بامتعاض): بدأت أمقتُ هذا المخرج اللئيم؛ فهو يضيّع عليّ متعتي المرّة تلو الأخرى من أجل الالتزام بنصّه المسرحيّ اللعين.
- الطيب (بلؤم): علينا أن ننصاع لأوامره لبعض الوقت حتى يحين موعد تأديبه هو الآخر.
- الضابط (بفرح): أحسنت. ضع اسمه على رأس القائمة السوداء، حلمي الأكبر أن أعدّبه، وأن أكوي لسانه الخارج دوماً على طاعتي.
- العجريّة: الأحلام مسموح بها الليلة دون الليالي الأخرى.
- الروائية (بدهشة وبجسرة): أنا لم أكتب من قبل عن الألوان الملونة.
- الضابط: أوافق، ويُجرى اللازم.
- المجنون (بقلق): ماذا عن رأسي؟
- السياسيّة (بتوجّع وتحسّر): قطعوا أصابعي.
- العجريّة: بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها.

- الروائية: أريد أن أكتب عن الأحلام الملونة.
- المجنون: لكن الأحلام ممنوعة.
- العجريتة: بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها في هذه الليلة.
- الضابط (يكتب على الهواء بطريقة آلية): أوافق، ويُجرى اللازم.
- (يدخل عسكريان إلى المسرح على عجل، يدفعان السياسية بعنف، فتسقط على الأرض، فيجرّانها أرضاً وهي تصرخ، ويصلبانها على قاعدة اللافتة المكتوب عليها: بناء على رغبة المخرج الأحلام مسموح بها؛ ثم يؤديان التحية العسكرية للضابط، ويتنحيان جانباً بعد أن يقدم أحدهما سوطاً جديداً للضابط).
- الضابط (بمشية عسكرية متغطرسة): إذن، أنت لم تتأدبي بعد، ما تزالين تحلمين؟
- السياسية (برجاء): لا تقطعوا أصابعي. فكّوا وثاقي هذا.
- الضابط (يجذب شعر الروائية إلى جسده بكلّ قسوة): يا لعينة، ما تزالين حاملة شقية.
- الروائية (بانفعال): ماذا تعني بالأحلام الحمراء؟

- الضَّابِط (بعصبيّة مشيراً إلى الروائيّة): لضرورة وطنيّة وطبيّة سنُقطع أصابعها.
- المجنون (يتراقص مكانه): لضرورة وطنيّة وطبيّة سيقطعون أصابعها.
- الروائيّة (صراخ السّياسيّة يعلو تحت وقع السيّاط التي تجلدها): أين هي الأحلام الحمراء؟ لا شيء هنا غير الدّماء الحمراء.
- المجنون: لذلك هي حمراء.
- الطّبيب: لضرورة طبيّة ووطنية سنقطع رقاب الخونة أجمعين.
- المجنون: أيّ خونة؟
- الروائيّة: هل هناك خونة؟ ليس هناك وجود للخونة على مائدتي، ضيوفي أغراب عني، كالعادة هم أغراب، لكنّهم ليسوا خونة.
- الطّبيب (بانفعال): كلّهم خونة، كلّ من يحمل خائن، هو خائن دون شكّ.
- المجنون (يتراقص): كلّهم خونة، كلّهم لصوص، سرقوا عقلي، سرقوا رأسي، أنا دون رأس.
- الروائيّة: لكنك تملك رأساً، انظر، إنّه يعتلي جسدك البائس.
- المجنون: لكنّهم سرقوا عقلي.

- السِّيَاسِيَّة: احمد الله على أنّهم تركوا جسدك لك.
- الضَّابِط (بعصبيّة): اخرسي.
- السِّيَاسِيَّة: سرقوا أصابعي.
- المجنون: وسرقوا عقلي.
- السِّيَاسِيَّة: كنتُ سأرسم لوحة خالدة، كنتُ سأرسم الحرّيّة تضحك بأشداق واسعة.
- المجنون: لكنّهم سرقوا عقلي.
- الرّوائيّة: من هم؟
- الطّبيب (بصوت مرتفع ورتيب): لضرورة وطنيّة. . .
- المجنون (يقاطعه): لضرورة وطنيّة سرقوا عقلي.
- الرّوائيّة: ماذا تعني بالأحلام ذات اللّون الأحمر؟
- السِّيَاسِيَّة: لا تقطعوا أصابعي. أريد أن أرسم.
- الضَّابِط (بتجبر): ماذا تريد أن ترسمي؟
- السِّيَاسِيَّة: أريد أن أرسمك.
- الضَّابِط (باهتمام): ماذا؟ ترسميني أنا، كيف ترسميني؟
- الطّبيب (باهتمام): أنا أيضاً أريد أن ترسميني يا هذه.

- العسكريّان (وقد اقتربا بصورة هزليّة وطفوليّة): نحن أيضاً نريد أن نُرسم.
- الضّابط (بنبرة تهديد): دَعِكِ منهما، وقولي لي كيف سترسمي ملاحمي وقسماتي؟
- السّيّاسيّة: أعد لي أصابعي، وعندها سأقول لك كيف سأرسمك.
- الضّابط: لكننا لم نقطعها بعد.
- المجنون (بدهشة): أين هي إذن؟
- الرّوائية (تعاين المنظر ثم تصرخ بهستييّة): الأصابع مقطوعة.
- المجنون: سرقوا عقلي. لكن حمداً لله؛ لأنهم تركوا لي جسدي دون سرقة.
- الطّبيب: لضرورة طبيّة ووطنية قطعنا أصابع الخونة.
- الضّابط (بدهشة): لكننا لم نقطع أصابعها بعد.
- السّيّاسيّة: بل قطعناها في اللّيلة السّابقة.
- الضّابط (باستغراب): هل كنا هنا في اللّيلة السّابقة؟
- أحد العسكريّين (يقلب الأوراق التي يحملها): التّقارير تقول إنّنا لم نكن هنا من قبل.

- العسكري الآخر (يقلب هو الآخر في أوراقه): التقارير تقول إننا هنا في كل ليلة في مهمة وطنية سرية.
- الضابط (بعصية): الرجاء التحديد، أكتنا هنا من قبل، أم لم نكن؟
- الطبيب (مخبط): لا يهم، المهم أننا الآن هنا، نحارب الخونة، ونشيع الأمن في كل مكان.
- الضابط (بحماس): نعم، المهم هو محاربة الخونة.
- المجنون (مكرراً الكلام الذي يسمعه دون فهم): نحن نطالب بمعاينة الخونة.
- الضابط: لا للخونة، لا للخونة.
- الروائية والطبيب والمجنون والعسكريان والعجربة (يرددون هتافاً): لا للخونة، فليسقط الخونة.
- (يتقدم العسكريان، ويحملان الضابط على الأكتاف، والكل يهتف): لا للخونة. المجد للحرية والوحدة.
- (يأخذ كل من المجنون والسياسية والروائية والطبيب بالاصطفاف للدبكة على أهزيج غنائهم بجملة: تحيا الأمة العربية).
- (يشير الضابط بيديه ليصمت الجميع)، ويقول: سنبقى يا أبنائي على عهد الوطن، ويبقى الأمل وشائج وعرى موصولة تشد قلوبنا إلى الغد الآتي.

- الطَّيِّب (بجماس): تصفيق يا إخوان.
- (ينخرط الجميع في التصفيق، وهم يرددون ببله): مرحى للغد الصّاعد.
- الطَّيِّب: فليسقط الخونة.
- (الكلّ بصوت واحد إلا السّياسيّة): فليسقط الخونة.
- السّياسيّة (تصرخ بضجر وانزعاج واضحين): كفى، كفى، أيّ خونة تنادون بإسقاطهم؟
- الضّابط (بزمجرة): ماذا تعنين؟
- الرّوائيّة: هل الخونة أنواع؟
- السّياسيّة: بالتّأكيد مثلهم مثل الأحلام، لهم أنواع وألوان.
- الرّوائيّة (بدهشة): هل هناك خونة بلون أحمر؟
- السّياسيّة: هناك خونة للوطن؟ وهناك خونة للعدو؟ التّوع الأوّل يسمّون خونة حسب، أمّا التّوع الثّاني، فيسمّون أبطالاً وطنيين.
- الضّابط (بصرامة وصلافة): بالتّأكيد نحن ضدّ خائني الوطن.
- الطَّيِّب (بلكنة استعلاء): نحن هنا لأجل الوطن.
- السّياسيّة: لماذا لا تدافعون عن الوطن؟
- الضّابط (بتوتر): نحن نفعل ذلك بإخلاص كامل.

- السياسيّة (بسخرية): أنتم تدافعون عن الوطن بأن تسيطوا ظهور من يملون، وتقتلعوا حناجر من يصرخون، وتقطعوا أصابع من يرسمون. أنتم يا سادة تغتالون الوطن.
- المجنون: بذأ يصبح الوطن سجناً كبيراً، والعدوّ ينام بين ظهرانيكم.
- الروائيّة (بدهشة): أينام العدوّ؟
- المجنون: ينام ملاً شوارده، ما دامت السّجون تبتلع كلّ من يقول: لا.
- الضّابط (يشير بإصبعه نحو المجنون): أنتَ خائن.
- الطّبيب: بل هو مجنون.
- المجنون: حدّدوا مواقفكم رجاء. هل أنا خائن أم مجنون؟ لعلّي مجنون؛ لأنّني لستُ خائناً؟ قد يكون أكثر منطقيّة أن يُجنّ من ينجون، وبذأ أصبح عاقلاً كما لم يكن أحد منكم.
- الضّابط (بعصبيّة): إليّ بالسّوط.
- أحد العسكريين (ببله وارتباك): السّوط في يمينك، يا سيدي.
- الضّابط (بعصبيّة أشدّ): إذن إليّ بسوط آخر.

- الطيب (يقرأ من ورقة وهمية بطريقة إذاعية رصينة): جاءنا البلاغ التالي؛ صرح مصدر أمني مسؤول رفيع المستوى بأنّ عيون الوطن الساهرة على حمايته استطاعت أن تُلقي القبض على إرهابي كبير يدعي الجنون، علماً بأنّ هذا الإرهابي حاول بمساعدة منظمة مجهولة أن يروج للأحلام التي تهدد أمتنا وأمن حلفائنا وجيراننا المسلمين. نحن معكم على العهد، والموت للخائنين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- (تشجيع الحيرة على وجوه الممثلين إلاّ المجنون الجالس الوحيد بالقرب من الطيب، الذي ينفق يصفق بمرارة بعد انتهاء الخطاب، ويقول: مرحى، مرحى لكم، والموت للخائنين).
- العجريّة (تحذق في قاع فنجان القهوة الذي تحمله): أرى الأحمر في خطوط القهوة، إنه قادم، إنهم قادمون.
- المجنون: مرحى للقادمين أجمعين.
- السياسيّة (بتوجّع): أصابعي، ردّوا أصابعي إليّ.
- الروائيّة (بانفعال شديد): ماذا عنّي؟ ماذا عنكم؟ أنا لا أعرفكم، بل لا أعرف نفسي، من أين أتيتم؟ أنتم عالقون معي؟ أم أنا عالقة معكم؟ لماذا يحدث هذا في كلّ ليلة؟ أنا دعوتكم فقط للعشاء، ولم أدعكم لتثيروا كلّ هذه الجلبة. اتركوني بسلام.

- دعوني أعود إلى عالمي الذي صنعتُه بكلماتي بعيداً عن عوالمكم الشريرة.
- المجنون (بجماس): نعم، لنعد إلى العشاء، لنعد إلى حيث انتهينا، دعونا نكمل العشاء الذي دعوتكم إليه.
- الضابط (بتفاخر): أنا من دعاكم إلى العشاء، إنه عشاء رسمي بقرار حكومي.
- الطيب (يهمس في أذن الضابط): إنه عشاء لتوقيع اتفاقية تعاون.
- الضابط (بغضب شديد): لكن أين الصحافة؟
- المجنون: ستأتي في الليلة القادمة.
- الضابط (باهتمام): كيف عرفت أنها ستأتي في الليلة القادمة؟
- الطيب (يهمس من جديد في أذن الضابط): إنه إرهابي.
- الضابط: لماذا لا نقبضون عليه؟
- الطيب: نفعل ذلك في الليلة القادمة؛ فليس من المناسب أن أزجج مقامك الرفيع بجملة كهذه في حفل عشاء دعوتك إليه حباً وكرامة.
- المجنون: في الليلة القادمة لن أدعو هذا المنافق الكبير، سأكتفي بدعوة تلك الجميلة القاتنة. (يشير إلى الروائية).

- الروائية (بتفاخر): لكن أنا من دعوتكم جميعاً.
- المجنون: من نحن؟
- الروائية: أنا من دعوتكم.
- المجنون: من دعوت؟
- الروائية: دعوتُ ضيوف المساء.
- المجنون: هل الوقت الآن هو مساء؟
- الروائية (بدهشة): يفترض ذلك ما دام المكان مظلماً.
- الضابط (بفخر): أنا من صنع الظلام.
- الطبيب: بالتأكيد بناء على المصلحة الوطنية.
- السياسيّة: ماذا عن أصابعي؟
- الروائية (بدهشة): لكن أنا من دعاكم إلى العشاء.
- المجنون: لماذا لم تكن دعوتك لنا صباحاً.
- الروائية (بجوف وحزن): لأنني أشعر بالحزن والخوف في كل مساء. لكنكم هذا المساء بالذات لا تُطاقون، وتثيرون حفيظتي بنقاشاتكم البيزنطية التي لا طائل منها.
- المجنون: لكننا كذلك في كل ليلة.

- الروائية (باستغراب ودهشة): هل تأتون إلى هنا في كل ليلة؟
- المجنون: يُفترض ذلك.
- الروائية (بدهشة كبيرة): هل أكون معكم على العشاء في كل ليلة؟
- المجنون (دون مبالاة): أنتِ دائماً هنا.
- الروائية: وأنتم؟ هل تكونون هنا في كل ليلة؟
- المجنون (باضطراب): من نحن؟
- الروائية (صارخة بفرح): أنتم جميعاً أشباح. ابتعدوا عني، اتركوني وحدي، دعوني أحلم مرّة واحدة، فقط دعوني أحلم.
- العجريّة: الأحلام مسموح بها هذه الليلة.
- الروائية (بلهفة): من قال ذلك؟
- الضابط (بغضب): هو من قال ذلك.
- العجريّة (بتلعثم): هو من قال ذلك.
- الروائية (تضع يديها على كتفي العجريّة، وتهزّها بقوة): من؟
- العجريّة: هم سمحوا بذلك لليلة واحدة فقط.
- الطيب (بنبرة ذات معنى): لحكمة ما فعلوا ذلك.

- الضابط: ستكون ليلة مثيرة دون شك.
- الطيب (بتوعد وتهديد): يضحك كثيراً من يحلم قليلاً.
- المجنون (بفزع): احذروا كل كلمة محسوبة عليكم، كل صورة مرصودة، المكان مراقب، احذروهم، لا تسقطوا أمام خدعهم كتساقط الذباب في كأس شراب حلو دبق.
- الروائيّة: من هم؟
- المجنون (يخفض صوته ويقول بقلق): هم.
- الروائيّة: من هم؟
- الفجريّة: الذين سمحوا بالأحلام لليلة واحدة.
- السياسيّة (بثقة وكبرياء): سمحوا بها مجبرين، إنهم يخشون غضب الحالمين، الثورة قادمة، يا سكان أرض الأحلام. احلموا ولو كان الثمن أصابعي المسكينة، سأرسم أحلامكم بيدين وهميتين، سأركب صهوة خيلجاتكم، سأكون أيامكم، ستكونون إياي، وسنطير جميعاً فوق السحاب.
- الروائيّة: ماذا عنّي؟
- المجنون (بانفعال): احلمي.
- الروائيّة: ماذا عنهم؟

- المجنون (ببهجة هستيرية): احلمي.
- السياسية (بوجل): والسيّاط؟
- المجنون: احلمي.
- العجريّة (بذهول): وخطوط القدر المرسومة في فنجان قهوتي؟
- المجنون: احلمي، واحلمي، واحلمي.
- السياسيّة (بتحدّ): سأحلم دون توقّف مهما كان الثمن.
- المجنون (بنبرة متّزنة وهادئة، وكأنّه يقرأ من كتاب معلق في وجوه المشاهدين فيما يجلس الممثلون جميعهم على الأرض يستمعون إلى كلامه باهتمام، وظهورهم للمشاهدين): يُحكى أنّ الحلم أصبح حقيقة، يُحكى أنّي جئتُ من أرض الماء، يُحكى أنّي كنتُ مسجوناً بين التّنهيدة والشّهقة، يُحكى أنّ السّلطان سرق عقلي، يُحكى أنّي جئتُ بالساء، وكان... وكان... فكان... احلمي، احلموا.
- (ينزلق المجنون في حوض ماء صغير أعدّ على الأرضيّة الأماميّة المجاورة للمسرح، وينكفي على وجهه، وتسلّط الأضواء عليه، بينما يعلو صوت الممثلين قائلين): سنحلم، ونحلم.
- (الضّابط يقاطع صوت المجنون): السّوط، السّوط، إليّ بالسّوط.

(صوت الضّابط ينخفض حتى يجبو، وتبقى ترنيمه سنحلم،
ونحلم. المسرح يغرق في ألوان الطّيف الزّاهية المتحرّكة، ويطغى على
الأصوات صوت سقسقة طيور سعيدة، ويعلو صوت أنشودة تقول:
المجد للأحلام، الغد للأحلام، ونحن على عهد الأحلام)

الفصل الثاني

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستارة على المكان نفسه، الطاولة ذاتها موجودة، وحوها المقاعد الخمسة، إلى جانب لافتة مكتوب عليها بخط أحمر واضح الحروف: "بناء على رغبة الجمهور الأحلام مسموح بها".

على كرسيّ في وسط المسرح تجلس العجريّة، وأمامها على الأرض يجلس الضابط والروائيّة والمجنون والطبيب والسياسيّة والعسكريّان، يديرون ظهورهم للجمهور، وينصتون للعجريّة التي تبدو أنّها تتكلّم، ولكن بصوت غير مسموع.

تتسع بقعة الإضاءة، وتقوى حتّى تُظهر كلّ ما في المكان من ممثلين وتفصيل، وصوت موسيقى هادئة يشمل المكان.

- العجريّة: في زمن ما كانت الأحلام مثل الأقدار تأتي على قدمين، توافق تمّيات أصحابها، وترحم انتظارهم، ثمّ . . .
- الروائيّة (باهتمام): ثمّ ماذا؟
- المجنون (بسخرية): ثمّ جاء بيان رسميّ منع حضورها.
- السياسيّة (بأسى): أو لعلّهم قطعوا أصابعها.
- الطيّب: لعلّها ضلّت الطريق؛ لأنّها عمياء.
- الضابط (ملوّحاً بسوطه): أو لعلّ سوطاً ما أعاق طريقها.
- الروائيّة (باهتمام وقلق): ثمّ ماذا؟
- العجريّة (تنظر نحو البعيد): ثمّ استمرّت بالمجيء، ولكنّ جيئها أصبح على مهل، أحياناً تجيء متأخّرة، وأحياناً تجيء بالقوّة، وغالباً ما تكون الطريق ممّهدة لها بالدمّ.
- الروائيّة (تبتعد عن المجموعة، وتحّدق في الأفق): يُحكى أنّ بنت السلطان أقسمتْ على ذبح كلّ من يتقدّم لخطبتها إن لم يستطع أن يعرف بماذا تحلم.
- العجريّة (باهتمام): ثمّ ماذا حدث بعد ذلك؟
- الروائيّة (وقد جلست محلّ العجريّة التي جلست على الأرض محلّ الروائيّة): ثمّ جاء من البعيد، كان أسمر كالقهوة، عذّباً كنقطة ماء

في الصحراء، شهماً كحصان عربيّ جموح، في عينيه آلاف الصحارى، كان عارياً وحافياً، وقف قبالتها تماماً، نظر في عينيها، ثم . . . (تصمت بحزن وانكسار).

- السياسيّة: ثمّ ماذا؟

- الروائيّة: ثمّ خطأ خطوة إليها، وحدّق بها طويلاً، وقال لها. . .

- الضابط (مقاطعاً كلامه بلهفة): ماذا قال لها؟

- الروائيّة (بتلعثم): لا أذكر ماذا قال.

- العجربة (حاملة): لعلّه قال لها إنّه يحبّها.

- الضابط (بقسوة): أو لعلّه أمرها أن تكفّ عن هذيانها.

- الروائيّة (بدهشة): أنا لا أذكر أنّي سمعتُ هذه القصة من قبل!

- السياسيّة: لا يهمّ أن تكوني قد سمعتِ بها من قبل، لكن

بالتأكيد تعرفين ماذا قال لها.

- الروائيّة: بالتأكيد أعرف ماذا قال لها؛ فقلوه هو أجمل جزء

أحفظه من هذه القصة التي لا أذكر أنّي سمعتها من قبل.

- المجنون (بتحدّ): إذن، ماذا قال لها؟

- الروائيّة: قال لها ها قد جاء حلمك إليك، لك أن تهزئي منه،

لك أن تسعدي به، والويل لك إنّ سطوتِ على أحلام الآخرين بعد

الآن.

- السّياسيّة: وماذا بعد؟

- الرّوائيّة: بقيت أنتظره.

- المجنون (بفضول): هل جاء؟

- الرّوائيّة (مجزن): لا لم يأت. في انتظار أن يأتي تربعتُ على عرش الحكايات، وبعثُ الأحلام للناس كلّهم، لكنّه لم يأت، جاءت الحكايات جميعها إلّا حكايتي أنا ظلّت في البعيد، تحققت الأمنيات كلّها إلّا أمنيّتي أنا لم تتحقّق. انتظرته طويلاً، تحيّلتُ آلاف السّبل للقاء به، لكنّه لم يأتِ على الرّغم من كلّ ذلك، ثم جاء الشّيب والوهن، ولكنّه لم...

- (يقاطعها الكلّ مردّدين مجزن وانكسار): لكنّه لم يأت.

- الرّوائيّة: كانت خطة قلبي تقتضي أن أقابله في عشاء ما، أن تلتقطه عيناى من بين حشود العيون، أن تصافح عيناى عينيّه طويلاً، (تحدّق في أحد أفراد المشاهدين بعد أن تقترب من طرف منصّة خشبة المسرح)، عندها سيقترّب منّي، سأحصي سنيناً ضويّية في غضون سيره إليّ (تراقب المشاهد الذي يغادر كرسيه، ويعتلي خشبة المسرح مقترباً منها)، وعندما يقف قباليّ، سأخطو أنا الخطوة الأخيرة نحوه، سيتناولني بيديه اللّتين ستطوّقان خصري التّحيل، وتدفعاني معه إلى حضنه في رقصة أبدية لا تعرف نهاية (يخاصرها المشاهد استعداداً للرّقص معها)،

عندها سأرخي رأسي المضنى على كتفه (ترخي رأسها على كتف المشاهد)، وتبدأ رقصة الحياة، بالتحديد رقصتنا نحن.

(تراقص الروائية المشاهد لثوان على أنغام الموسيقى الهادئة، في حين تسلط الأضواء عليهما، وتعمّ خشبة المسرح والقاعة).

- الروائية (بفرح ورضا): أخيراً جاء الحلم، آه في انتظاره كم مخاصرة قد أجّلت! كم ضمة اضمحلّت! كم شهوة سكنت! كم قبلة أعدمّت! وجاء الحلم، جاء حلمي أنا بعد طول انتظار وخيبة أمل مرّة تلو الأخرى.

- (تتعالى أصوات الممثلين في الظلام قائلين بصوت واحد): ماذا عن أحلامنا؟

- صوت مجهول: الليلة مسموح للأحلام أن تتحقق. نريد أحلامنا حية أمامنا.

- صوت نسائيّ من جمهور المشاهدين (يقول): ماذا عنّا؟ نحن أيضاً نريد أن تتحقق أحلامنا. نحن نحلم معكم. نحن حاملون مثلكم.

- المجنون: لعبتنا كلّها حلم، فكيف نقاسمكم لعبتنا الوهم؟

(من جديد نضاء خشبة المسرح، وما زالت الروائية تراقص المشاهد، تصمت للحظات، ثم تأخذ بالصراخ قائلة): لقد جاء موعد المخاض، آه، لا هذا يؤلم لم يكن هذا مؤلماً في الأحلام الماضية.

تستلقي أرضاً بمساعدة المشاهد، تتخذ وضعية من ستلد،
السياسية والعجربة تحجبان جسدها بقطعة من القماش، فتستران الجزء
السفلي من جسدها عن الجمهور، في حين يظل الجزء العلوي منه
ظاهراً للعيان. صوت صراخها يتعالى، المشاهد الذي كان يراقبها
يقطع خشبة المسرح ذهاباً وإياباً قلقاً منتظراً أن تلد، وكل من الطبيب
والمجنون والعسكريان والضابط يقلدون في مشيته؛ إذ يذهبون ويأتون
على خشبة المسرح بقلق).

- المشاهد (يرفع يديه إلى السماء): يا ربّ ولد.

- السياسية (وصوت صرخات الروائية يتعالى): يا ربّ ساعدها.

- المشاهد: يا ربّ، ولد.

- المجنون: يا ربّ، بنت.

- المشاهد (بغیظ): يا ربّ، ولد.

- المجنون (بفضول): يا ترى ولد أم بنت؟

(تعلو صرخة جديدة للروائية، يسود صمت)

- العجربة (تطلّ من خلف الستار): بالتأكيد ولد. لا تريدون إلاّ

ولداً، أمّا البنت، فعليها أن تصمت؛ فقط لأنها بنت. وها قد جاء

المولود ذكراً (تزغرد وتبكي في آن معاً)، لذلك له أن يعشق، وأن يحبّ،

وأن يلعب؛ لأنه ولد، وعليها أن تصمت، وأن تُحرم؛ لأنها بنت، كنتُ أصغر منه عندما اقتادني أمي إلى الحقل لأعمل فيه بضني وكدّ، وقالت لي بصرامة (تقلّد صوت أمّها ونبرتها): قد كبرت، وأن أوان العمل، عندما عدتُ من عملي الجديد لم أجدُ لعبتي الوحيدة، قالوا لي عندها إنّ البنات عندما يكبرن لا يجدر بهنّ أن يلعبن، أمّا هو الذي يكبرني بأعوام، ويُسمّى أخي الأكبر، فكان يتمتّع بكلّ لعبة؛ لأنه ولد، وحيلة الشابّ يا ربّ كما قالت جدّتي (تقلّد جملة الجدة بسخرية)، حينها لم أفهم معنى كلام جدّتي، لكنني حلمتُ طويلاً بلعبتي اليتيمة، كانت لعبة بلاستيكيّة بشعر أشعث، وبعين واحدة، لكنني أحببتها كثيراً، كما أحببتُ سعداً، هو أيضاً كان أيضاً بعين واحدة كلعبتي الشهيدّة، وحرمتُ أيضاً من سعد؛ لأنّي بنت، وليس من حقّي أن أعشق؛ فالعشق للرجال والصبيّة فقط، وللنساء فقط أن يستسلمن لقدرهنّ الذي يصنعه الرجال دون إرادة النساء.

أنا أكره مجتمعكم الذي يحرق قلوباً؛ فقط لأنها قلوب نساء، ويطعمها للانتظار والأشواق، أنا أحلم بلعبتي وبسعد، كلّما حدّقتُ في فنجان زبون لأقرأ طالعه فيه، اختلس النظرات لأبحث عن لعبتي وعن سعد، لكنني لا أجدهما طوال بحثي عنهما، فقط أجد شقيقي ولعبه الكثيرة.

أكثر على امرأة أن تجد لعبتها القديمة وحببها الأسمر الذي ابتلعه الثقايد القاسية؟ سعد، أين أنت يا سعد؟ لا، لا تضربني يا أبي، (يرتفع صوت صراخها، وكأنها تتوجع، وتتكور على الأرض تتلوى من الألم، وكأنّ هناك من يجلدها بالسّوط) أرجوك توقّف، لا تضربني بالسّوط، جلدي الرقيق وجسدي الصّغير لا يمتلان ذلك، لن أعود إلى الأحلام بعد الآن، سأترك الأحلام لأولادك الذكور، لا، يا أبي، أرجوك، السّوط لا، لا، لا (يتعالى صراخها، وهي تنتفض موجوعة ومتكومة على الأرض).

(يقترب المجنون والمشاهد منها؛ ليساعدها على التّهوض، لكنّها تستمرّ في زحفها المتعب، وفي صراخها): لا، ابتعدوا عني، أنا أكره السّوط، لا، لا).

- السّياسيّة (مستثارة): لا للسّوط، ارفعوه عني، إلى متى ستسيطون ظهري وجبهتي؟ أما حان لذكّم أن يخرس؟ أما حان للأحلام أن تتحقّق؟ أتعرفون ماذا أتمنّى؟ أتمنّى أن تسمحوا للنور أن يدلف إلى زناتي المتعفّنة ولو لمرة واحدة، فقد اشتاق جسدي العاري إلى نور الوطن. أوغاد، أوغاد، أوغاد. أمي، أنا اشتقتُ إليك، اشتقتُ إلى خبز الصّباح، واجتماع الأخوة والأحبة.

(تحمل السياسيّة سوطاً، وتنهال به على الضّابط والعسكريين والطّبيب، في حين يهّل المجنون الدّي يصفق قائلاً): وَضُرِبَ الظّالِمُ بسوطه.

- العجريّة (تحمل فنجانها، وتراقب خطوط القهوة فيه): في قاع الفنجان طريق واسع، إنّه طريق فرج، والله أعلم. إنّه طريق على بعد نقطة أو نقطتين أو ثلاث، لا أكثر من ذلك.

- السياسيّة (ما زالت تسيط الضّابط والطّبيب والعسكريين بانفعال): خذوا، ذوقوا ما ستموه لعباد الله.

- المجنون: ألم تسمعوا قول عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

- الضّابط (بعصبيّة): من عمر هذا؟

- الطّبيب: إرهابيّ دون شكّ في ذلك.

- الضّابط: إذن اقبضوا عليه في أقرب وقت. إليّ بالسّوط.

- السياسيّة (تضربه بالسّوط): إليك بالسّوط. كم تمنيت لو أنّه مزّق ولو لمرة واحدة جلد عدوّ أثم يتبختر في عرض البلاد وطولها، بدل أن يمزّق جلود أبناء الوطن الذين يتمترسون خلف أسوار قداسته. على أبواب هذا الوطن نصبتم أعواد المشانق لأبنائه. كلّما أردت أن أدعو عليكم، رفعت يديّ إلى الله، وقلت: يا ربّ، يا جبار. . . يا ربّ.

. . يا جبار. . . (صمت) وتسقط الكلمات، أيدعو المرء على أهله وقبيلته؟ تسقط الكلمات إن كان العدو من الأبناء والأحبة (تنخرط في البكاء بصوت مرتفع).

- الضابط (بنبرة هستيرية): ألم أقل لكم أنكم لا تستحقون الحياة، تبكون وفي أيديكم السوط، السوط صنع لجلودكم الجبانة، مرة واحدة تحدوا الألم، مرة واحد قولوا لا، وحاربوا من يظلمكم، لو فعلتم ذلك ولو لمرة واحدة لكنت الآن منكم ومعكم، لا منكم وعليكم، القدر يُخلق، الإرادة هي إرادة الشعوب الحاملة بالثور، والسوط فقط هو لغة الضعفاء، قولوا لا، ولن أكون، قولوا لا، وستفتح السجون، قولوا لا، وستتغير وجهة التاريخ، قولوا لا، وستستزلون لعنات الرب على الخائنين، سأحرق بها، لكن لا أبالي، فقط، قولوا لا.

- الممثلون (بصوت واحد): لا، لا، لا.

- الضابط (يستدير نحو المشاهدين): قولوا لا، مرة واحدة، قولوها فقط لتذوقوا طعمها، ذوبوا سحرها تحت ألسنتكم الداوية، لها طعم لا يتكرر، فقط عندما تقول لا تأتي الأحلام، وتؤكد الأمنيات.

- الطبيب والعسكريان (بصوت واحد): لا، لا، لا.

- الضابط (للطبيب): إلا أنت، فلا تقل لا.

- الطبيب (بتحد): لا، ولا، ولا.

- الضَّابِطُ: أنتَ أعمى، لا ترى غير مصلحتك، لا ترى غير سيِّدك، لا ترى غيري.
- الطَّيِّبُ (بانفعال ورفض): لا.
- الضَّابِطُ (بغضب): أوصلتُ بكَ الوقاحةَ إلى أن تتحدَّاني؟
- الطَّيِّبُ (متحدِّياً بصوت أعلى): سأقول لك لا إلى آخر لحظة من عمري.
- الضَّابِطُ: هو العصيان إذن. يا جنود زجّوا بهذا الأعمى اللّعين في السّجن.
- الطَّيِّبُ (بهستيريّة): لا، سأقول لك لا دون توقّف.
- العسكريّان (بصوت واحد): لا للظلم.
- الضَّابِطُ (بغضب): هو انقلاب عسكريّ إذن؟ لا بدّ أنّ العدوّ قد اشترى ذممكم الفاسدة، لكن هذا لن يكون أبداً. سأعدم أحلامكم اللّعيّنة على بوابة الشّمس.
- الطَّيِّبُ (بهستيريّة): الطّاعون قادم، الموت قادم، أنا أراه.
- الضَّابِطُ (بدهشة): تَبّاً لك، أنتَ أعمى، فكيف ترى؟
- الطَّيِّبُ: أرى بقلبي الّذي أنّ لعيونه أن تبصر؟ أرى شمساً في البعيد، وأرى الطّاعون.

- الروائيّة والسياسيّة والعجريّة (بصوت واحد): الطّاعون قادم.
اهربوا.

- الضّابط: ماذا عنيّ؟ هل ستركوني وحيداً؟

- الطّبيب: الطّاعون قادم.

- الضّابط: هذه إشاعة حقيرة، إنّها حرب نفسيّة، الانقلاب لن يكون، سيبقى سيّد الشّمس في قبته العاجيّة، وسأبقى خادماً لقدميه الشّريفتين.

- الجميع (يولّون الأدبار صارخين): الطّاعون قادم.

- الضّابط (بانفعال): لقد جنّ الجميع.

- السياسيّة: أنا في انتظار صاحب هذه الرّسالة، قال إنّه يحلم بالتور، وأنا هنا أحلم بحلمه. عليّ أن أنتظره.

- الروائيّة (تمسك بيدها، وتجربها لتهربا من المكان): لا وقت للانتظار.

- السياسيّة: وصاحب الرّسالة؟

- الروائيّة: فليذهب إلى لجحيم.

- المجنون (وقد خلا المسرح إلّا منه ومن الضّابط): ابعث بهم جميعاً إلى مستشفى المجانين، كما بعثت بي في الماضي إلى هناك، جميعهم

مجانين مثلي تماماً، كلّ من يطالب بحقه مجنون، كلّ من يعشق وطنه مجنون، كلّ من يقول لا مجنون، لذلك فقد حُقّ لك أن تحرقهم، أو أن ترسل جميعاً إلى مستشفى المجانين، (بصوت حذر وهستيريّ) تخيل أن المجانين في كلّ مكان حتّى في مستشفى المجانين.

(بعض الأصوات التي تقول لا تتعالى بين صفوف المشاهدين)

- المجنون (يقهقه) قائلاً: ألم أقل لك إنّ المجانين في كلّ مكان؟

- الضابط (بانفعال): اللعنة عليكم جميعاً.

- المجنون: إذن عليك بناء مستشفى يحيط بالوطن كلّه، واجعله

مستشفى كبيراً يحوي المجانين كلّهم.

- (من خلف الكواليس تتعالى أصوات تقول): الأحلام آتية،

المستقبل في الطريق إلى هنا.

- الضابط (بعصبية شديدة، وهو يضرب بسوطه أينما اتفق): لا،

هذا لن يكون.

- المجنون (باستهزاء): إيّاك أن تقول لا، وإلا سيضعونك في زمرة

المجانين.

- الضابط: لقد تماديتم جميعاً.

- المجنون (دون مبالاة): يا هذا، اصمت، أنتَ تزعجني، وتحرمني من متعة مراقبة البحر، ومناجاة التوارس، انظرْ إلى ذلك النورس الذي يشبه نورس أحلامي (صوت نوارس وهدير بحر يعلو في المكان).
- الضَّابط: سأقتله، سأمر جنودي بإسقاطه بنيران بنادقهم.
- المجنون (يشير نحو السماء): ماذا عن ذاك؟
- الضَّابط (بعصبية شديدة): وذلك أيضاً، سأقتله.
- المجنون (يشير نحو السماء): وذلك؟
- الضَّابط: وذلك أيضاً سأقتله (يشير إلى السماء حيث التوارس).
- سأقتل نوارس البحار كلها. أنا أكره التوارس والبحار والصيادين والسفن.
- المجنون: ماذا عن البحر؟
- الضَّابط (بنبرة عصبية): سأقتل البحر أيضاً. سأقتلكم جميعاً.
- الطَّبيب (صوته يأتي من خلف الكواليس بنبرة رصينة): جاءنا الآن البلاغ التالي، حرصاً على الأمن القومي، ومن منطلق الحفاظ على وحدتنا القومية ونزولاً على الرغبة السامية لجهة مجهولة، قررنا إلغاء السَّماح بالأحلام، وتفعيل تحريمها. ودمتم.
- الضَّابط (يوقِّع في الهواء) قائلاً: أوافق، ويُجرى اللازم.

- صوت صراخ الروائية: آه، هذا مؤلم، متى يأتي الطفل؟
- العجريّة: قريباً. اصمدي.
- (صوت بكاء طفل، زغاريد تتعالى)
- العجريّة (دون حماس): جاء المولود ذكراً. هذا أفضل له.
- المجنون: لكنّه وُلد قبل ساعة.
- العجريّة (دون مبالاة): لقد وُلد مرّة أخرى. أين المشكلة؟
- المجنون (بتعجّب): أيعقل هذا؟
- العجريّة: يا مجنون، أين البشارة؟
- الضابط (باستهزاء): مجنون، ويُسأل عن العقل؟
- السّياسيّة: ماذا عن صاحب الرّسالة؟
- العجريّة: لعلّه يأتي في ليلة أخرى.
- السّياسيّة (بلهفة): متى؟
- العجريّة (تحدّق في فنجانها من جديد): بعد نقطة أو نقطتين أو ثلاث نقاط.
- (صوت زغاريد يتعالى، وصوت خلف الكواليس يقول): اشعلوا النّار. الطّاعون آتٍ.

- العجريّة: بعد نقطة أو نقطتين أو ثلاث نقاط.

- المجنون: أيعقل هذا؟

(يتعالى الصّوت: الطّاعون آتٍ)

(أربعة رجال يلبسون الأبيض وملثّمون بالأبيض يمرّون على خشبة المسرح، وهم يحملون تابوتاً، ويسيرون بتؤدة).

- الرّوائيّة (بقلق): إذن هو الطّاعون؟ ماذا سيحصل بوليدي المسكين بعد أن أموت، وأتركه وحيداً؟

- المجنون: فلنشعل التيران، ونطعمها الأجساد الفانية، فهو الطّاعون. الطّاعون قادم. مرحى، مرحى للموت.

- الرّوائيّة: لا، لا أريد الموت.

(يتعالى صراخ الرّوائيّة، ويتعالى معه تصفيق المجنون، وهتافه للطّاعون).

الفصل الثالث

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

الضابط والطبيب والمجنون والروائية والسياسية يجلسون إلى طاولة الطعام ذاتها، ويأكلون بهدوء، جميعهم يلبسون ملابس موحدة، وهي أقرب ما تكون إلى ملابس السجناء مع قبعات مناسبة لذلك. موسيقى قلقة تغمر فضاء المكان، والمسرح معتم تماماً إلا من بقعة ضوء قوية مسلطة عليهم، ومن ثم تسلط على كل ممثل سيتحرك بعد ذلك، وإلى يسار المسرح لافتة كبيرة، مُسلط الضوء عليها، وقد كُتب عليها بلون أحمر وبخط كبير: "بناء على رغبة جهة سرية جداً مُنعت الأحلام إلى الأبد".

- المجنون: كل ليلة علينا أن نأكل الطعام ذاته، أكاد أجنّ من هذا الرّوتين المقرّف.

- الرّوائية (بدهشة): هل كنّا هنا من قبل؟

- الضّابط (بتفاخر): بناء على إرادة حكوميّة أنتم مدعون إلى هذا العشاء الفاخر.

- الرّوائية (بدهشة): ألسْتُ أنا من دعاكم إلى هذا العشاء؟

- السياسيّة (باستهزاء): إنّه ليس عشاء بل إفطار.

- الرّوائية: هل دعوتكم إلى طعام الإفطار؟

- الطّبيب: الطّاهي سيء جداً. كم مرّة أمرتكم بأن تغيّروه؟

- الضّابط (بجزم): هو فعلاً سيء. أطلقوا الرصاص عليه.

- السياسيّة: أرجوكم لا تطلقوا الرصاص عليه هنا؛ ستسبّبون في استيغاض الطفل.

- المجنون: لكنّ الطعام سيء.

- الرّوائية: غداً سأدعوكم إلى عشاء مميّز عوضاً عن هذا العشاء الرّديء.

- الضّابط: لكنني مشغول في أمور هامّة غداً.

- السياسيّة: أنا مصمّمة على حضوركم.

- الروائيّة: هل أنا مدعوّة؟
- المجنون (يغمز بإحدى عينيه): يتوقّف ذلك على درجة الرضا عنك.
- الروائيّة (بعصبية): هل أنا مدعوّة؟
- الضّابط (بنبرة ذات مغزى): الجميلات دائماً مدعوّات.
- السّياسيّة: لكّني انتظره، في جيبي عشرات الرّسالات له، انظروا. (تخرج من جيبتها عشرات الرّسائل، وتنثرها أرضاً): قال إنّه قادم، قال إنّه يهواني، ورسائله هي التي جعلتني أصمد في معتقلي.
- الضّابط (بغضب): كيف وصلت تلك الرّسائل اللّعينة إلى يديها، ألم أمنع عنها ضوء الشّمس ودفئها؟ فأنتى للرّسائل أن تصل إليها؟
- الطّبيب (بانفعال): خيانة، هناك خيانة.
- السّياسيّة (بتفاخر): قال إنّه سيسرقني لأكون نور عينيه.
- الضّابط (بانزعاج): كيف وصلت الرّسائل إليها؟
- المجنون: حملتها نوارس البحر.
- الضّابط: ألم أمر بقتل النّوارس، وتهجير البحر اللّعين؟

- المجنون: البحر لا يرحل. مجنون من يعتقد أنه يقدر على أن يجبر البحر على الرّحيل.
- السّياسيّة: كتبتُ له ألف رسالة، لكنّها لم تصل إليه. أتعرفون لماذا؟ لأنّ أصابعي مقطوعة، هكذا قالوا لي، وأنا لا أستطيع مخالفة التعليمات والأوامر وتقارير هؤلاء الأشرار.
- الطّبيب: وصلتني ألف رسالة لم تُكتب، انتظرتها هي بالذّات، لكنّها لم تأت، متى ستأتي؟
- السّياسيّة (باهتمام): متى ستأتي؟
- الطّبيب: ما زلتُ انتظرها حافياً على بوابة الزّمن، هناك حيث البرد لا حدود له.
- السّياسيّة: لكنّه سيأتي.
- الطّبيب: لكنّها ستأتي.
- الطّبيب: سيكون اللقاء.
- السّياسيّة: سأضيء عينيه.
- الطّبيب: ستكون نور عيني.
- الطّبيب والسّياسيّة (بصوت واحد): متى يكون ذلك؟

- الضَّابِط: لن يكون ذلك أبداً. أنا سلطان الزَّمان، في قصري ألف محظية، وألف خصي محروم، لن أسمح أبداً بأن تدور قصص العشق بين عبيدي؛ العشق والنساء لي فقط، وأنا سلطان الزَّمان. يا جوارِي، أنرن ليلى بغنائكنَّ العذب.

- المجنون: ماذا عن العشاء؟

- الضَّابِط: لتقام الولائم في قصري لألف ليلة وليلة.

- الروائية: وديبو؟

- الضَّابِط (بدهشة): من ديبو؟

- المجنون (بجيرة): هل أنا ديبو؟

- الروائية: كان فقيراً ویتيماً ومريضاً، لفظته البيوت، كان وحده وطفولته المعذمة في مهبّ ثلوج الليل.

- المجنون (بفضول): أكانت ليلة العيد؟

(أصوات أجراس كنائس وأصوات مآذن تصدح في المكان في آن)

- الضَّابِط (مستمتعاً كمن يسمع قصة): أكملِي يا شهرزاد ماذا

حدث بعد ذلك؟

- السِّياسية: قد آن موعد الفجر، اصمتي عن الكلام المباح؛ لعلك

تنجين من الموت.

- الضابط (بفضول): ثمّ ماذا حدث؟
- المجنون: هل كانت ليلة العيد؟
- الروائيّة: لم تكن ليلة العيد.
- السّيّاسيّة: ستموتين إذا انتهت القصة.
- الضابط: ثمّ ماذا حدث بعد ذلك؟
- (صوت زمهرير شديد، وقطع من الثلج تسقط على خشبة المسرح)
- الروائيّة (ترتجف من البرد): ثمّ مات متجمّداً. في ليلة موت ديبو اليتيم مات كلّ من يسكنون تلك البلدة.
- الضابط: أين حدثت هذه القصة الحزينة؟
- الروائيّة: حدثت في سلطنتك.
- الضابط (باستغراب): لكنّ سلطنتي لا تعرف الثلوج.
- الروائيّة: قصرك فقط الذي لا يعرف الثلوج، سريرك فقط هو الدافئ بأجساد المحظيّات ودموعهنّ، أمّا في الخارج فهناك الثلج، والثلج، والثلج، والكثير الصقيع.
- المجنون: ماذا عن العشاء؟
- الضابط (بغضب وانفعال): اقتلوا هذه المرأة اللعينة.
- الروائيّة: لكنّ ديبو مات.

- السّياسيّة: قال إني سأضّيء عينيه.
- الطّبيب: لكنك تأخرتِ جدّاً، لقد تأخرتِ بمقدار سنة ضوئيّة.
- الضّابط: اقتلوها بلا رحمة.
- الطّبيب: أنطعمها للعذاب؟
- الضّابط: لا، في ذلك مضيعة للوقت.
- الطّبيب: لكنّ التّعذيب سيجعلها تنطق.
- الضّابط: إذن عدّبوها حتّى تعترف.
- الطّبيب: هي خبيثة، وتدّعي أنّها خرساء وطرشاء.
- الضّابط: إنّها كاذبة، بالتّعذيب ستنتطق، وتسمع.
- المجنون (يصرخ): يكفي. هذا يكفي.
- الضّابط: لا ترفعوا العذاب عنها.
- الطّبيب: ادركنا، يا مولاي، الجلاّد قد انتحر.
- الضّابط: ماذا عن ذلك المعتقل؟
- الطّبيب: لم يتكلّم بعد.
- الضّابط (بدهشة): أجنّ الجلاّد حتّى ينتحر؟
- المجنون: بل استعاد عقله؛ لذلك انتحر.

- الضَّابِط: لا بدّ أن يعترف السّجين بكلّ شيء.
- الطّبيب: مولاي، لقد فقد السّجين نظره أيضاً من التعذيب.
- الضَّابِط: لا ترحموه، انتزعوا الاعترافات منه.
- الطّبيب: لكن كيف؟
- الضَّابِط: بالكلاّبات.
- الطّبيب: لكنّه مات، يا سيّدي.
- الضَّابِط (يضحك بهستيريّة): مات؟ مات؟ في كلّ ليلة يقفز إلى رأسي، ويلاحقني في منامي، ويطاردني في كوابيسي. يجب أن يعترف بكلّ شيء.
- الطّبيب: لكنّه ميّت.
- المجنون: لقد انتحر الجلاد.
- السّياسيّة: أصابعي، أعيدوا لي أصابعي.
- الرّوائيّة: أين طفلي؟
- المجنون: أيّ طفل؟
- الرّوائيّة: لقد ولدته في حلم البارحة؟
- المجنون (بصوت منخفض): اصمتي. إيّاك أن تذكري الأحلام، الأحلام ممنوعة.

- الروائية: لكتّه ابني الوليد الضّعيف. هو يحتاجني. لا بدّ أنّه جائع الآن.

- الضّابط (يصرخ، وهو يضغط على أذنيه بكفّي يديه كي لا يسمع): هو في رأسي، اخرجوه، اخرجوه.

- المجنون (بنبرة أمرة): اقطعوا رأس نمرود الجبار.

- الضّابط (بفضول واهتمام): هل ينتهي هذا الأزيز عندئذ؟

- المجنون: ينتهي تماماً.

- الضّابط: ماذا عن رأسي؟

- المجنون: سنستبدله برأس ذهبيّ مطعمّ بالجواهر النفيس.

- الضّابط: هل يتوقف الأزيز عندها للأبد؟

- الروائية: ستوقف الحكايات كلّها عندئذ.

- الطّبيب: حكاية ماذا؟

- الروائية: حكايتهم، بل حكايتي، قال إنّي أشبه حكاية ساحرة،

قال إنّي آلهة أورقتُ وأزهرتُ، قال إنّي آلهة تحوّلتُ إلى شجرة نور

(تقف وقفة ثابتة، وكأنّها مثبتة في الأرض، ويدها غصنا شجرة).

- المجنون: ماذا عن العشاء؟

- الضّابط: ماذا عن الأزيز الذي ينخر رأسي.

- السياسيّة: أصابعي، أريد أصابعي.
- الطّبيب: قالت إنّها قادمة.
- (نُضاء بقعة على يسار المسرح، تظهر العجريّة، وهي تطالع الفنجان، وتقول): أريد لعبتي. اعيدوا لي لعبتي. كم أحبّ لعبتي!
- الطّبيب: لكن ليس قبل أن أجد رأسي.
- المجنون: ماذا عن العشاء؟
- الرّوائية (باستغراب): أنا لم أدعكم إلى العشاء؟
- المجنون: لكننا هنا في كلّ ليلة.
- الرّوائية: مجنون، هذه أوّل مرّة نلتقي فيها.
- الضّابط (يأخذ بالبكاء): ماذا عن الأزيز في رأسي، لعلّه لم يمت بعد، انتزعوا منه الاعترافات جميعها.
- الطّبيب: لقد مات مع طلوع الفجر.
- السياسيّة: ألم أقل لكم إنّه فطور، وليس عشاء.
- العجريّة: هناك طريق وفرج على بعد نقطة أو نقطتين أو ثلاث نقاط.
- الرّوائية: ماذا عن طفلي؟ لقد ولدته البارحة.
- المجنون: نحن لم نلتق البارحة.

- الروائيّة: لكننا نلتقي هنا في كلّ ليلة.
- المجنون: نحن عالقون هنا، عالقون إلى الأبد.
- الروائيّة (هي تضع يديها على أذنيها؛ كي لا تسمع ما يُقال):
لا، لا تقل هذا، أريد أن أخرج من هنا.
- المجنون: تريدان الخروج من الأحلام، أم من هذا المكان؟
- الروائيّة: من كليهما معاً، اخرجوني من هنا. (تأخذ بالطرق
على جدار مُتخَيَّل).
- السياسيّة: كلّنا نريد الخروج من هذا المكان المخيف البارد.
- الضابطة: ماذا عن الحكايات؟
- المجنون (هو يرتجف من البرد): نعم، يجب أن نخرج من هذا
المكان. بدأت أشعر بالبرد الشّدِيد.
- (يأخذ الجميع بالطرق على أبواب متخَيِّلة، وبالصرّاخ):
اخرجونا من هنا. اخرجونا من هنا.
- المجنون: لحظة. من هم الذين يجب أن يخرجونا من هنا؟
- الروائيّة (بتلعثم): هم.
- المجنون: من هم؟

- الطَّيِّب (بصوت منخفض): اصمتوا؛ يُمنع ذكر الأسماء في هذا المكان المخيف.

- الروائيَّة: يجب أن نخرج من هنا.

- المجنون: ماذا عن العشاء؟

- السِّيَاسِيَّة: أريد أصابعي؟

- الجميع (بصوت واحد): اخرجونا من هنا. نريد أن نخرج من هذا المكان. اخرجونا من هنا.

- صوت جهوريّ مجهول (بصوت عبر مكبّر ما): يكفي شغب. الاحتجاجات ممنوعة، المظاهرات ممنوعة. استعدّوا لطابور الصَّبَاح.

(ينتظم الممثلون برعب خلف بعضهم البعض، عسكريّان يدخلان سريعاً إلى خشبة المسرح بمرافقة موسيقى استعراضية عسكريّة، ويمدّان جداراً شائكاً على الأرض، ويقىدان أرجل الممثلين وأيديهم).

- العسكريّ الأوّل: اللعنة عليكم. ألا بدّ أن نستيقظ كلّ ليلة على نقيقكم المقرّف؟

- العسكريّ الثّاني: أظنّ أنّه قد حان أوان الحبس الانفراديّ.

- العسكريّ الأوّل: أتظنّ أنّ هذا سيجدي نفعاً معهم؟

- العسكريّ الثّاني: بكلّ تأكيد.

- المجنون: ماذا عن العشاء؟
- العسكريّ الأوّل: احرص. لا عشاء لكم بعد الآن.
- الروائيّة: ماذا عن السرداب؟
- العسكريّ الثاني: ستبقون مسجونين فيه إلى أبد الأبدين.
- المجنون: هل نحن مسجونون في سرداب؟
- الضابط (بضحك هستيري): يا لك من مجنون!
- الطيّب (بنبرة متعبة يائسة): نحن مسجونون هنا منذ زمن طويل.
- المجنون (باستغراب وفضول): من سجننا في هذا المكان المظلم؟
- الغجريّة: هم.
- المجنون: من هم؟
- الضابط: يُمنع ذكر الأسماء في هذا المكان.
- المجنون: ماذا عن العشاء؟
- الروائيّة: أنا من دعوتكم إليه.
- السياسيّة: بل نحن مجبرون على البقاء في هذا المكان.
- الروائيّة: أين الشمس؟ نريد أن نستردّ الشمس المسروقة منّا.

- السّياسيّة (تضحك بهستيريّة): أكاد أنسى لون أشعّتها، أكاد أسلو دفاء حضنها، هي غائبة عنّا منذ زمن طويل.
- المجنون: لماذا نحن مسجونون في هذا السّرداب؟
- السّياسيّة: أريد أصابعي.
- الرّوائيّة: متى نخرج من هذا السّرداب؟ لقد طال اعتقالنا فيه.
- المجنون: منذ متى نحن هنا؟
- السّياسيّة: منذ أن جننت.
- المجنون (باستغراب): هل أنا مجنون؟
- الرّوائيّة: هم من قالوا ذلك؟
- المجنون: من هم الذين قالوا ذلك افتراء عليّ؟
- الرّوائيّة: قالوا إنّ ذكر الأسماء ممنوع في هذا المكان.
- المجنون: ماذا عن العشاء؟
- الرّوائيّة: لا عشاء لنا في هذه اللّيلة، ولا في أيّ ليلة أخرى.
- العسكريّ الأوّل (بصرامة): اخرسوا، لقد سئمتُ من كلامكم.
- الرّوائيّة: ماذا عن أحلامنا؟
- العسكريّان (بصوت واحد حازم): لا أحلام بعد الآن.

انتهت المسرحيّة

لا للأحلام

(المسرحية الثانية)
”سيلفي“ مع البحر
(مسرحية من فصلين)

بداية ونهاية

عندما لا تعرف أين تسير، لا تنسَ من أين أتيتَ.

”مثل فرنسي“

شخصيات المسرحية

- الضابط: رجل أعرج القدم اليمنى، في منتصف الخمسين من عمره، يلبس لباساً عسكرياً يظهره في رتبة ضابط، أرعن، يضحك بصوت مرتفع، ويحمل بيده زجاجة مشروب في معظم ظهوره على منصة المسرح.

- المجنّدة: امرأة في منتصف الثلاثين من عمرها، تلبس لباساً عسكرياً، وتحمل جهاز اتصالها الخلوي باهتمام، وتلتقط به الكثير من الصور، وهي كثيرة الحركة، وسيئة التركيز.

- الرّجل العجوز: رجل في السّتين من عمره، يلبس ملابس عربيّة تقليديّة، كثيف الشّوارب، أشيب الشّعر واللّحية، وشديد الاعتزاز بذاته.

- المرأة الشّابة: امرأة في بداية الأربعين من عمرها، رقيقة الطّباع، وحاملة، وتحنّ إلى الأمومة.

- الرّجل الدّاهل: رجل في أواخر الأربعين من عمره، حليق الشّارب، ناعم الشّعر، يلبس ملابس داكنة، دائم الدّهول والتأمّل، جهوريّ الصّوت، ويجيد إلقاء الشّعر.

- المجدّان: شابّان صغيران، يلبس كلّ منهما بذلة عسكريّة أنيقة،
وشعرهما مصنّف، وحرّكاتهما رشيقّة، وهما مطيعان لخلصان لأوامر
سيدهما الضّابط.

- موظّف الإغاثة: طويل، وأشقر الشّعْر، يلبس ملابس (جينز)
أزرق، يبدو التّعاطف الجَمّ على قسماته.

- الطّفلة الرّضيعة: طفلة رضيعة، يظهر وجهها من لباسها
الأبيض الذي يغمّر جسدها الصّغير، تبكي باستمرار بسبب جوعها
وشعورها بالبرد.

الفصل الأول

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

- صوت هدير البحر يعلو في فضاء خشبة المسرح.
- صوت الرعد يعلو على هدير البحر.
- تُفتح ستائر خشبة المسرح على ظلام إلا من إضاءة زرقاء مسلطة بشكل حزمة دائرية على وجه امرأة تلبس ملابس عسكرية، وتضع قبعة عسكرية فوق شعرها المتهدل، وتمسك مكبراً يدوياً، وتنظر عبره باهتمام في الأفق، وإلى جانبها يقف عسكري آخر يراقبها باهتمام، وهو يشرب من قارورة مشروب، ويتمشى بعرج في المكان ذهاباً وإياباً.
- عندما تتضح الرؤية تبرز غرفة تشبه غرف التحقيق، نوافذها تشبه نوافذ السفن.
- ديكور المكان يجب أن يظهر أنّ خشبة المسرح تمثل غرفة تحقيق صغيرة على متن سفينة بحرية عسكرية.
- يبدأ المشهد بإضاءة قوية على خشبة المسرح.
- الضابط (دون اهتمام): ماذا حدث لهم؟

- المجنّدة (بحماس، وهي تراقب البعيد من البحر عبر منظارها اليدويّ): لقد ألقى رجالنا القبض عليهم.
- الضّابط (باهتمام): جميعهم؟
- المجنّدة (برود): بعضهم سقط في الماء.
- الضّابط (بجنان متصنّع): يا لهم من مساكين! إنّ الماء بارد في هذه اللّيلة الشّتويّة.
- المجنّدة (بلؤم): لو كان معهم بعض المشروب من الذي تشرب منه الآن لشعروا بدفء كبير.
- الضّابط (يتجرّع جرعة كبيرة من المشروب): من يحتاج المشروب عند الموت؟
- المجنّدة (بشماتة): هم يحتاجون ذلك.
- الضّابط : كم نجا منهم؟
- المجنّدة (بضحكة هستيريّة): القليل فقط، القليل جداً، كلّ من سقط في الماء تُرك للموج الهائج البارد ليلتله.
- الضّابط (باهتمام لئيم، وهو يفرك يداً بيد): هل بينهم نساء؟
- المجنّدة (بتقرّز): يا خبيث، لا أستطيع أن أحصي عدد النّاجين بعد.

- الضّابط (مترئحاً): أين أولئك الحمقى عنهم؟
- المجنّدة (بفضول): من تقصد؟
- الضّابط (باشمئزاز): أولئك الحمقى موظفو البعث الإنسانيّة الذين يجوبون البحر، وينقذون الحمقى الذين يلقون بأنفسهم في هذا البحر المظلم الغاضب هرباً من ديارهم راكضين خلف حلم الوصول إلى أرض الأحلام والأمن في أوروبا.
- المجنّدة (هي تنظر في المنظار باهتمام): هناك الكثير من الجهات الإنسانيّة والشعبية التي وصلت إليهم لإنقاذهم من البحر قبل أن يتلّتهم.
- الضّابط (بإيماءات تمثيلية): وقبل أن نبتلعهم نحن.
- المجنّدة (بتهمك): نحن لا نبتلعهم، نحن فقط نردّهم إلى الجحيم الذي هربوا منه، أو نسلمهم إلى جحيم آخر مثل جحيم مافيات الرقيق الأبيض أو التجارة بأعضاء البشر.
- المجنّدة (بلؤم): أو نساعدهم ليغرقوا.
- الضّابط (بطريقة تمثيلية): لا، لا، نحن لا نساعدهم على الغرق، بل نتركهم له فقط إن كان مزاجنا معكراً، ولا رغبة لنا في إنقاذهم.

- المجتدة (بلؤم): بل نساعدهم على أن يغرقوا، فنحن نوهمهم بأننا من فرق الإغاثة الإنسانية، وفي اللحظة المناسبة نخذلهم، ونتركهم للغرق، أو نسرق بعضهم لنطعمهم لأيّ جحيم نريده.
- الضّابط : لا، يا (ادل)، نحن نردّ الكثير منهم إلى أوطانهم ليموتوا ببطء، أو يموتوا سريعاً على أيادي العصابات هنا وهناك.
- المجتدة (بغضب): قلتُ لك ألف مرّة أن لا تناديني باسم (ادل) يا (نوعام).
- الضّابط (بقلق): اخفضي صوتك يا حمقاء، أنا اسمي (مارك) لا (نوعام).
- المجتدة (بجنتق وتحديّ): وأنا اسمي (آن) لا (إيدل).
- الضّابط (بغيط): اتفقنا إذن. لا تعودى مرّة أخرى إلى الخطأ باسمي.
- المجتدة (بتحدّي): لا تخطئ باسمي، فلا أخطئ باسمك، عفواً قصدي لا تفصح عن اسمي الحقيقيّ، فأخفي اسمك الحقيقيّ. الصّفقة سهلة وواضحة.
- الضّابط (بتقرّز): نساء ماكرات!
- المجتدة: الآن أصبحتُ من التّساء الماكرات؟ البارحة كنتُ ملاكك الجميل الذي تقبل قدميه فضلاً عن تقبيل...

- الضَّابِطُ (مقاطعاً كلامها بتقرّز): احرسي، من قال إنني قد
قَبَلْتُ قَدَمِيكَ؟
- المَجْنَدَةُ (بتفاخر): أَنْتَ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَاراً وَتَكَرَّراً، وَقَبَلْتَ
أَشْيَاءَ أُخْرَى أَيْضاً. كَمْ أَنْتَ رَائِعٌ عِنْدَمَا تَكُونُ فِي قِمَّةِ السَّكْرِ وَالشَّبَقِ.
- الضَّابِطُ: لَا بَدَّ أُنِّي كُنْتُ فِي قِمَّةِ الثَّمَالَةِ؛ فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ
تَسَاوَى النِّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ وَالْقَبِيحَاتُ.
- المَجْنَدَةُ (بفخر): لَقَدْ قَلَّتْ لِي إِنْنِي أَجْمَلُ نِسَاءِ كَوْكَبِ الْأَرْضِ.
- الضَّابِطُ: هَذَا مَا قَلْتَهُ أَنَا وَفَقْ مَا تَزْعَمِينَ كَذِباً وَزُوراً. فَمَاذَا قَالَ
لِكَ ذَلِكَ الْكَوْلُونِيلُ الْعَجُوزُ الْقَبِيحُ وَأَنْتِ فِي حَضْنِهِ قَبْلَ يَوْمِينَ؟
- المَجْنَدَةُ (بعصبيّة): قَالَ لِي إِنَّكَ وَغَدَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ هُنَا
حَبِيساً فِي هَذِهِ السَّفِينَةِ الْبَارِدَةِ فِي انْتِظَارِ التَّقَاطِ الْهَارِبِينَ عِبْرَ الْبَحْرِ فِي
حِينَ ذَلِكَ الْكَوْلُونِيلُ يَسْتَمْتَعُ بِقَضَاءِ وَقْتِهِ مَعَ الشَّقْرَاوَاتِ الطَّرِيفَاتِ فِي
مَنْتَجَعِهِ الْجَمِيلِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الدَّافِئِ الْمَثِيرِ.
- الضَّابِطُ (بسخرية): لِمَاذَا تَرَكْتِ مَعِي هَا هُنَا؟ وَلَمْ يَأْخُذْكَ مَعَهُ؟
- المَجْنَدَةُ (بغضب): يَا لَكَ مِنْ لَيْمٍ!
- الضَّابِطُ: وَاجْهِي الْحَقِيقَةَ. هُوَ هُنَاكَ يَلْهُو مَعَ الْجَمِيلَاتِ، وَأَنْتِ
هُنَا تَرَاقِبِينَ الْمَوْتَى الَّذِي يَطْفُونَ عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ.

- المخرج: أنا أراقب الموتى، أمّا أنتَ فلطالما صنعتَ الموتَ هناك!
هل نسيتَ ما فعلتَ يا حاجّ عمران؟
- الضّابط (غاضباً): اخرسي. أنا الملوم؛ لأنني أخبرتكِ بكلّ هذه
الأمور الخطيرة. كم أنا أحمق وثرثار!
- المجنّدة (بتقزّز): وسيء الدّوق في اختيار النّساء.
- الضّابط (بتحدٍّ وقرف): طبعاً أنا سيء الدّوق، وإلاّ لما كنتُ
علقت معكِ في السّرير. أنا سخيف بحقّ. لكن في اللّيالي الباردة يقبل
الرّجل بأيّ جيّفة دافئة، حتى لو كنتِ أنتِ.
- المجنّدة (باستهزاء): كنتِ أشدّ سخفاً وأنتِ تلعب دور الحاجّ
عمران؛ فتصّلّي دون وضوء، وتقتل العرب بحجّة أنّهم تاركين للصّلاة!
وتسرق الأموال بحجّة أنّها صدقات جبريّة!
- الضّابط (بانثشاء وسعادة، وهو يتذكّر هذه التّفصيل التي تروق
له): وأقتل النّساء الجميلات بحجّة أنّهن متبرّجات! يا لهم من أغبياء!
لقد صدّقوني تماماً، ولم يسألني أحدهم يوماً عن أصلي أو مقدمي أو
حياتي. فجأة أصبحتُ الحاجّ عمران، أمر فأطاع، وأطلب فيُستجاب
لي، وأقتل، وأفتك، وأعدّب، ولا يعترض أحد على أحكامي الجائرة.
- المجنّدة (تقترب من الضّابط، وتهمس في أذنه): هناك في المعتقل
كنتِ تغتصب نساءهنّ. يا لك من محظوظ أيّها القائد الدّاعشيّ المثير!

- الضَّابِط (يتصب على قدميه، ويدفع المجتدة بعيداً عن أذنه): لم أكن وحدي المحظوظ. أنتِ كنتِ محظوظة كذلك، ألم تشبعي اغتصاباً وتعذيباً وتنكيلاً بأولئك الشَّبَّان العرب المعتقلين، لاسيما المتدينين منهم.

- المجتدة: (بجنى، وقد رفعت صوتها): لا، لم يكن ذلك ممتعاً بالحدّ الذي أريده؛ فهم لم يكونوا متعاونين معي، لقد قاوموني بشراسة. يا لهم من أوغاد! أحدهم قال لي إنني مقرفة وشاذة، وعضني في مؤخرتي حتى كاد ينتزع لحمي بأسنانه. اغتصابهم لم يكن ممتعاً، وتعذيبهم الجنسيّ كان مجهداً لي. لا أحد منهم تجاوب معي، وأمتعني قليلاً، لذلك بالغتُ بتعذيبهم، وتشويه أعضائهم، وبترها إن لزم الأمر، وكثيراً ما كان يلزم ذلك.

- الضَّابِط (بتقرّز): إنهم متوحشون. يعضوننا ونحن نُخنقهم؛ أحدهم عضني بقوة وأنا أخنقه. لك أن تتصوّري مقدار توحّشهم. إنهم أعراب متوحشون مهما تطاولوا في البينان، أو تشدّقوا بأمجادهم السّحيقة المهترئة.

- المجتدة (باستهزاء): لماذا لا تقرأ عليهم بعض القرآن الذي حفظتَ بعض آياته كي تتخفّى خلفه يا حاجّ عمران؟

- الضّابط (بانزعاج، وهو يأخذ رشفة من زجاجة الخمر التي يحملها بيده): لا شيء يجدي نفعاً معهم، إنهم شرسون عتاة، كنت أستمتع بقتلهم هناك، وأنا أزعّم أنّي مجاهد من المجاهدين في داعش. لكن ذلك كان خطيراً بحقّ. إصابتي هذه (يشير إلى قدمه اليمنى) هي من أنقذتني من الموت هناك في الموصل أو في حلب أو في اليمن أو في ليبيا. العمل الأسهل والأكثر متعة حيث البحر وهديره وغناء التوارس ومراقبة من يركبونه طلباً للهرب والنّجاة والملاذ الآمن.

- المجنّدة (بمجدد): أمّا أنا، فقد أنقذني الإعلام منهم بضربة حظّ قدريّة؛ ذلك الصّحفيّ اللّئيم الذي التقط لي صوراً وأنا أعدّتهم في المعتقل هو من سارع بتغيير مهمتي من مجنّدة في الجيش المنقذ العظيم إلى قناصة بشر بحريّة. كلّ ما أحتاج إليه الآن ينحصر في أن أقنص منهم من أريد، ثم أردّهم إلى الجحيم هناك في بلادهم العربيّة المحترقة، أو أن أبيعهم إلى جحيم المواخير ورجال العصابات في أوروبا وفي شتّى أصقاع الدّنيا.

- الضّابط (ببهجة): كلانا محظوظ إذن.

- المجنّدة (بعد تفكير قصير): نعم. كلانا كذلك إلى حدّ ما.

- الضّابط: لكن ذلك الكولونيل العجوز الأشمط هو أكثرنا حظّاً، يجلس هناك عارياً في (الجاكوزي) الحارّ مع التّساء الجميلات

الفاثات اللواتي يخدعنه قائلاً بأن مؤخرته الحمراء القميئة جميلة ومثيرة، ونحن هنا نتجمد برداً ونحن نراقب أولئك الهارين المنكودين والبحر يلتهمهم.

- المجنّدة (بانزعاج): هم متوحّشون. لذلك أنا استمتع بحقّ وأنا أراقبهم من مكاني هذا وهم يغرقون هناك، هم يستحقّون ذلك؛ إنهم يرفضون أن يسلمونا بلادهم وثوراتهم، هم سرقوا أرض الميعاد منا. هم أوباش، ولا يستحقّون أن يمتلكوا ثروات البترول، لذلك علينا الآن أن نصّوب أخطاء السّماء التي وهبتهم ما لا يستحقّون، ونسلبهم كلّ شيء حتى حيواتهم.

- الضّابط (وهو يتابع شاشة جهازه الخلوي): ما آخر أخبار أولئك المعاندين للبحر والموت؟

- المجنّدة (وقد عادت تراقب باهتمام عبر المكبر اليدوي): جميعهم استسلموا للموج. لم يبقَ منهم إلا ذلك القارب القديم.

- الضّابط (دون اهتمام): ألم ينبجُ منهم أيّ أحد؟

- المجنّدة (دون اهتمام): فقط الذين انتشلهم رجالنا بقاربهم، وهم الآن في دربهم إلينا، يكادون يصلون إلينا، القارب الصّغير يقترب من سفيتنا.

- الضّابط: مرحى، أخيراً سنجد ما نستمتع به لهذه الليلة.

- المجنّدة (بلؤم): لا تراهن على ذلك يا (نوعام).
- الضّابط (رافعاً سبّابته في وجه المجنّدة بشكل تحذير وتهديد): ما هو اسمي يا هذه؟
- المجنّدة: عذراً منك. لقد نسيتُ اتّفاقنا.
- الضّابط (بغیظ): اسمي (مارك)، اسمي (مارك). هل فهمتِ ذلك؟
- المجنّدة (بضجر وتأفّف): نعم، اسمك (مارك).
- الضّابط: نعم، أحسنت، هذا هو اسمي، اسمي (مارك) يا (آن) الجميلة الرّقيقة.
- الضّابط (باستهزاء): ذلك الكولونيل العجوز السّمين هو من يجيد تقدير مواهبك الاستثنائية.
- المجنّدة: وأنتَ من سوف تتوسّل إليّ لأرضى عنكَ عندما تشعر بالبرد الشّدید في هجعة النّوم في سريرك البارد الكبير.
- الضّابط: لا تكوني متأكّدة من ذلك، يا سيّدة الشّتاء! قد يحمل البحر بعض النّساء الجميلات.
- المجنّدة: الآن سنرى ماذا حمل البحر لنا لهذا المساء.
- الضّابط (باهتمام): متى يصل قارب جنودنا إلى سفینتنا؟

- المجنّدة (بحماس بعد أن راقبت الوضع بالمنظار اليدوي): لقد وصل القارب إلى السفينة.
- التصق بالسفينة.
- ربط رجالنا القارب بالسفينة.
- إنهم الآن ينقلون التّاجين من الغرق من القارب إلى السفينة.
- بعضهم يسير مترجّحاً على قدميه، والبعض الآخر هو محمول على الأكتاف.
- لقد وصلوا أخيراً.
- الضّابط (بحماس): أخيراً وصلت النّساء الحسنات.
- المجنّدة: لعلّ الرّجال الوسيمين هم من وصلوا الآن.
- الضّابط (بنبرة أمرّة، وهو يضع زجاجة الويسكي على الطاولة): هيا اطلي من الجنود أن يدخلوهم إليّ مباشرة.
- المجنّدة (وهي تؤدّي له الطّاعة بشكل عسكريّ): حاضر، سيدي.
- الضّابط: هيا اسرعي، هلمّي بالنّساء الجميلات.
- المجنّدة (بنبرة ذات معنى): أنا أريد أن أحظى الرّجال الوسيمين المتعاونين.

(تخبوا الإضاءة تماماً، ويعلو صوت أقدام عسكرية تضرب الأرض، وفجأة يعلو صوت بكاء طفلة رضية، ثم تثار المنصة باللون الأزرق، فيظهر مجتذان وامرأة شابة تحتضن طفلة رضية، ورجل عجوز أشيب بلحية كثة، ورجل في منتصف العمر يعلوه الدهول، وجميعهم يرتدون ستر نجاة برتقالية اللون، وهم مبللون الأجساد والشعور، ويرتجفون من شدة البرد، وصوت هدير البحر يعلو في المكان).

- الضابطة (موجهة سؤاله لأحد المجتدين، وهو يدير عينيه فيمن دخلوا إلى خشبة المسرح في حركة بحث عن النساء): هل أولئك هم التاجين كلهم لهذا المساء؟

- المجتد ١: نعم سيدي. لم ينج غيرهم.

- المجتد ٢: هم قاوموا الغرق حتى آخر لحظة.

- المجتد ١: كان هناك ناج آخر معهم، لكنّه لفظ أنفاسه الأخيرة في القارب، فألقينا به في البحر ليكون عشاء لأسماك البحر.

- المجتد ٢: لا حاجة لنا به.

- الضابطة: هذا خير ما فعلت.

- الرجل العجوز (وهو يرتجف من البرد): الله ينتقم منكم، لم يكن ميتاً، كان لا يزال يتنفس عندما ألقيتم به في الماء.

- الضَّابِط (باشمئزاز): اهدأ، أيها العجوز. هذا ما كان ينقصني في هذا المساء البارد: عجوز غاضب. أين زجاجة الويسكي؟ قربوها مني؛ لأنسى همومي بها.

(يتسابق المجتدان على إحضار زجاجة الويسكي من على الطاولة لتقديمها للضابط).

- المجنّدة (بشماتة وسخرية، وهي تطالع وجه المرأة الشابة): يا لجمال النساء في هذا المساء الشتويّ البارد!

- الضَّابِط (بالشماتة ذاتها): ويا لسحر الرجال الوسيمين في هذا المساء الشتويّ البارد!

- مجنّد ١: أوامرك، سيدي. ماذا نفعل الآن؟

- المجنّدة (بحماس كبير): طبعاً سنلتقط صورة (سيلفي). أنا أعشق الصّور (السّيلفي).

- الضَّابِط (بضيق): هل هذا الوقت المناسب لذلك؟

- المجنّدة (وهي تخرج الهاتف الخليويّ من جيب بنطالها العسكريّ، وتعدّل ضبط شاشته، وتصوّبها نحوها ونحو الجميع): هذا وقته تماماً.

- هيا ابتسموا. (وقد اقتربت من النّاجين من الغرق، ومدّت رأسها نحوهم؛ ليظهر رأسها في الصّورة).

- اقترب أكثر، أيها الضّابط. (يقترّب الضّابط ليظهر في الصّورة).
- اقترب أكثر، عزيزي. (يقترّب الضّابط خطوة أخرى بتأفّق).
- ابتسامة أكبر.

- واحد

- اثنان

- ثلاث

- المجنّدة (تطالع الصّورة في شاشة جهازها الخلوي): هي صورة رائعة بحقّ. كان يمكن أن تكون أجمل لو كان البحر يظهر فيها بدل هذا السّواد المخيم على المكان، ولكن لا بأس، وجهي الجميل يجعل الصّورة ساحرة.

- الضّابط (بضيق): حقاً؟

- المجنّدة: طبعاً.

- الضّابط (باستهزاء): هل تريدين التقاط صورة (سيلفي) أخرى لنا؟

- المجنّدة (دون مبالاة): الآن لا، غداً نفعل ذلك؛ أحبّ صور (السيلفي) مع البحر في نور الصّباح. هذه الصّورة تكفي بالغرض

الآن. سأحملها على صفحتي في (الفيس بوك) تحت عنوان: صورة لي مع اللاجئين الهاربين من جحيم الحرب عبر البحر الغاضب.

- الضابط (هامساً للمجنّدة): هل ستحملين الصورة على صفحة المجنّدة (ادل)؟

- المجنّدة (بغیظ وتغاضي): لا أعرف امرأة اسمها (ادل)، سأنزل الصورة على صفحة الناشطة الحقوقية والإنسانية (آن سبنسر).

- الضابط (بسخرية): ما شاء الله!

- المجنّدة (هامسة): الله يبارك فيك، يا حاجّ عمران.

- الضابط (بامتعاض): لنفتح التحقيق الآن.

- مجنّد ١: نعم، سيدي.

- المجنّدة: ليس قبل أن أحمل صورتنا (السيلفي) على صفحتي.

- الضابط: هيا، حمليها، وسارعي في ذلك.

- مجنّد ١ (وقد جلس إلى طاولة صغيرة، وفتح دفترًا كبيراً،

وأمسك قلمه، واستعد للكتابة): جاهز، سيدي.

- الضابط (بنبرة أمرة قاسية): من أنتم؟

- الرّجل العجوز (بجزن شديد): حسبي الله، ونعم المولى ونعم

الوكيل، لقد كان على قيد الحياة، وأنتم من ألقيتم به في البحر. لماذا

فعلتم ذلك أيها المجرمون؟ أستم ناشطين في العمل الإنساني؟ فلماذا
قمتُم بإلقاءه في البحر حياً؟

- المجنّدة (بسخرية): ها قد عرفتَ الحقيقةَ سريعاً، نحن لسنا
ناشطين في العمل الإنساني، نحن ناشطون في العمل الإجراميّ.

- الرّجل العجوز (بانفعال أكبر): الآن بدأتُ أعرف من تكونون.

- الضّابط: لا داعي للتفكير طويلاً فيمن نكون، سأقصر الدّرب
عليك، وأخبرك من نكون، نحن من جنود حزب (الناتو)، ومهمتنا
تنحصر في إعادتكم إلى بلادكم، ومنعكم من اللّجوء إلى دول أوروبا.

- المجنّدة (بجذب): ولنا مهام أخرى سرّية.

- الرّجل العجوز (بدهشة): لكن لماذا قتلتم ذلك الشّاب
المسكين؟

- الضّابط: دعك منه. إنّه لا شيء. إنّه حشرة مثلكم جميعاً.

- المرأة الشّابة (ترتجف): نحن سنموت من البرد. نحتاج إلى
الدّفء.

- الرّجل العجوز (باكياً): لماذا ألقيتم به في البحر؟ كان لا يزال
على قيد الحياة.

- المرأة الشابة (وقد تعالی بكاء الرضیعة الصغیرة التي تحملها):
إنها في حاجة إلى الحليب، ستموت جوعاً إن لم تأكل سريعاً، منذ يوم
كامل لم تذق الطعام.

- الضابط (بنبرة ذات معنى خبيث): ارضعها من ثديك، هيا
اكشفي عن ثديك، وارضعها. نحتاج بعض البهجة لهذا المساء.

- المرأة الشابة (بتضرع وارتباك): لا حليب في ثديي، لقد جفّ
منذ زمن. أرجوك ساعدني. أريد بعض الحليب لطفلي. ستموت إن لم
تأكل. هي كلّ من تبقى لي في هذه الحياة.

- الضابط (دون مبالاة): المسألة سهلة. اعترفوا بالحقيقة، ونحن
نقدّم لكم الدّفء والطعام وكلّ ما تريدون.

- الرّجل العجوز: كان حيّاً، لقد ألقيتم به في البحر حيّاً.

- المجنّدة (بعصبية): هيا اعترفوا بكلّ شيء، ونقدّم لكم الطعام
والدّفء.

- المرأة الشابة: ابنتي الرضیعة ستموت من الجوع والبرد.

- المجنّدة (بشوق، وهي تتحسّس ظهر الرّجل الدّاهل): ماذا عنك
أيّها الوسيم الصّامت؟ ألن تقول لي بعض الكلمات الجميلة؟

- الرّجل الدّاهل (لا ينظر إليها، ويبعد يديها عنه، ويحدّق في
البعيد دون أيّ انفعال على ملامحه، ويترنّم ببعض أبيات قصيدة يحفظها
غيباً):

أنتِ سفينة تبحث عن ميناء
رحلتك لن تتوقف أبداً
لأنّ بجرك لا يكفّ
عن الهذيان والطفوان^(١)

- المجنّدة (بتودّد): نعم، أنا كذلك. أخيراً هناك من يفهمني.

- الضّابط (بغضب): دعك منه يا (آن).

- المجنّدة: لا، إنّه يعجبني. قل المزيد يا شاعري الجميل. حمداً لله
أتني تعلّمتُ العربيّة في زمن ما لأستمع بكلامك الجميل.

- الضّابط (باشمئزاز): أنا أكره العربيّة والعرب.

- المجنّدة: أنا أكره العربيّة والعرب، وأكره من أحبّهم كذلك، لكن
دعني أكمل خطتي لأحظى بهذا الوسيم الدّاهل. شعره جميل، وأنا
أحتاج حضنه المثير في هذا المساء.

- الضّابط: أنا أيضاً أجد العربيّة.

- المجنّدة (هامسة له): أعرف ذلك، يا حاجّ عمران. لكن عربيّته

جميلة.

- الضّابط: امرأة لعينة.

^١ - للشاعر أديب كمال الدّين.

- المجدّدة: هيّا، يا رجلي الوسيم، افضّ عليّ بالمزيد من أشعارك المتغزّلة بي.

- الضّابط: يا حمقاء، إته لا يتغزّل بك، متى عرفك ليتغزّل بك، لعله يهجوك دون أن تكتشفي ذلك؛ إنهم أوغاد، ولغتهم تطاوعهم متى شاءوا ذلك، يظهر المديح، ويبطنون الهجاء المقذع!

- المجدّدة: هيا، قل المزيد من الشعر المتغزّل بي، يا رجلي الوسيم.
- الرّجل الدّاهل (وهو يحدّق نحو البعيد، وكأنّه لا يرى أحداً أمامه):

سبحت المرأة في البحر

فسبح البحر في المرأة

انكسرت المرأة لسبب مجهول

فضاعت المرأة

وضاع البحر بالطّبع^(٢)

- المجدّدة (بغضب): أيّها الخائن، عن أيّ امرأة تتحدّث؟

- الضّابط (بنبرة آمرة): دعك منه.

٢ - للشاعر أديب كمال الدّين.

- الرجل العجوز (بجزن كبير): لكن لماذا قتلتم ذلك الشاب المسكين؟

- المرأة الشابة (بتوسّل): طفلي في حاجة إلى الحليب والدّفء.

- الضّابط (بجزم): ليس هناك أيّ حليب أو دّفء قبل أن تعترفوا بهويّاتكم الحقيقيّة.

- المرأة الشابة (بهلع): أليس في قلوبكم رحمة؟ من أنتم؟

- المجنّدة (بجث ولؤم): نحن من سنعيدكم إلى الجحيم هناك من حيث هربتم.

- المرأة الشابة (بذعر): لا، لن نعود إلى هناك، إنّهُ الموت في كلّ مكان. لم يعد هناك وطن، لم يعد هناك أهل، جميعهم ماتوا، حتّى سالم قد مات.

- الضّابط (باستهزاء وضيق): من هو سالم هذا؟

- المرأة الشابة (بجزن): إنّهُ زوجي.

- الضّابط (بتأفّف): كيف مات؟

- المرأة الشابة (بأسى): لقد غرق في البحر. غرق قبل ساعات قليلة، وتركني وحيدة من بعده، كان يمكن أن ينجو من الموت لو

احتفظ لنفسه بطوق النّجاة، لكنّه خلعه، وألبسه لي، وظلّ دون طوق، هو لا يجيد السّباحة، ولذلك قد غرق.

- الضّابط (باستهزاء): يبدو أنّه كان زوجاً مخلصاً.

- المرأة الشّابة (شاردة نحو البعيد كمن يتذكّر تفاصيل جميلة): إنّهُ جميل مثل الوطن عندما يكون حنوناً، إنّهُ قصيدة عشق تونسيّة. لقد عشقته عندما كنتُ أدرس في تونس. وقعتُ في عشقه منذ اللّحظة التي وقعت عيني فيها عليه. لقد تزوّجنا سريعاً، وبعد أن انهينا الدّراسة عاد معي إلى وطني لنعيش هناك سوياً بين أهلي الذين عدّوه ابنهم البارّ المفضّل عندهم.

- المجنّدة (بتقرّز): توقّفي عن هذا الهراء. هذا ما ينقصنا. لا وقت عندنا لقصّة عشقك البائدة مع سالم التونسيّ الذي تعشقين.

- المرأة الشّابة: لقد كنتُ أحدثكم عن الوطن. أنتم سألتكم عن وطني. ووطني هو سالم وأرض الياسمين.

- الضّابط (بحماس): نعم، الوطن، هذا هو بيت القصيد، من أين أتيتم؟

- المرأة الشّابة: أتينا من كلّ فجّ من أوطان الياسمين.

- المجنّدة (بغیظ): سالم وأوطان الياسمين. ما هذا الهراء كلّهُ؟

- الضَّابِط (موجّهاً كلامه إلى المجنّدة، وهو يتصفح قائمة أخرجها من جيبه): أين هي أوطان الياسمين هذه؟ هي غير مدرجة في قائمتي، القائمة تحتوي على أسماء الأوطان جميعها التي سندمرها إلاّ وطن الياسمين هذا.

- الضَّابِط (يقرب القائمة من المجنّدة): انظري هنا: الأوطان جميعها أسماؤها مكتوبة هنا إلاّ وطن الياسمين هذا الذي لا أجد له ذكراً في هذه القائمة. لعلّه وطناً سندمره في مشروعنا القادم.

- المجنّدة (هامسة له): يا لك من أحمق! هي تقصد الأوطان ذاتها التي دمرناها.

- الضَّابِط: فهمتُ الآن.

- المجنّدة (باستهزاء): أخيراً فهمت؟

- مجنّد ١: ماذا أدوّن في ملف التحقيق، يا سيدي؟

- الضَّابِط: دوّن أنّها من فلسطين أو العراق أو سوريا أو لبنان أو مصر أو اليمن أو ليبيا أو الجزائر أو المغرب أو الأردن أو تونس أو الكويت أو السّعوديّة أو أي وطن من أوطانهم؛ كلّها سواء في المصير والعذاب والسّخط عليهم.

- المرأة الشّابة: أرجوكم، الطّفلة في حاجة إلى الحليب.

- الضَّابِط (بصرامة): لن تحصلوا على أيّ شيء قبل أن تعترفوا.
- الرَّجُل العجوز (بتقرّز): نعرف بماذا، يا أعرج؟
- المَجْنَدَة (تضع يدها على فهمها لتخفي ضحكها): لقد لاحظت سريعاً أنّك أعرج.
- الضَّابِط (بجنق متجاهلاً كلام المَجْنَدَة): تعترفوا بسبب وجودكم في البحر؟
- الرَّجُل العجوز: نحن هاربون من الموت والدمار والتّنكيل.
- الضَّابِط (بجزن مصطنع): هل هناك دمار وقتل في أوطانكم؟
- الرَّجُل العجوز: ألسنّ موجوداً في هذه الدّنيا؟
- الضَّابِط (بتحامق): بلى، أنا موجود فيها، ولكن لم أسمع عن هذا الأمر من قبل.
- الرَّجُل العجوز (بضيق): هل أنت مجنون، يا هذا؟
- مَجْنَد ١: تأدّب، أيّها العجوز.
- مَجْنَد ١: هل نرّميه في البحر، يا سيدي، ونخلّصك منه؟
- المرأة الشّابة (بذعر): الرّحمة، إنّهُ ليس سوى رجل عجوز متعب خائف.

- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بِكَبْرِيَاءَ): لَسْتُ خَائِفًا، أَنَا لَا أَخْشَى المَوْتَ أَوْ الأَوْغَادَ. العَمْرُ وَاحِدٌ، وَالرَّبُّ وَاحِدٌ.

- المَجْتَدَانِ (يَهْمَانِ بِالْإِمْسَاكِ بِالرَّجْلِ العَجُوزِ): هَلْ نَلْقِيهِ فِي البَحْرِ، يَا سَيِّدِي الضَّابِطُ؟

- الضَّابِطُ: لَا تَلْقُوا بِهِ فِي البَحْرِ، أَحْتَاكُ إِلَى تَسْلِيَةِ هَذَا المَسَاءِ، وَهُوَ سَيَكُونُ تَسْلِيَتِي لِهَذِهِ اللَّيْلَةِ، ثُمَّ نَحْنُ نَحْتَاكُ إِلَى بَعْضِ المَلَاكِيئِينَ الهَارِيِّينَ لِنَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَنَدَلُّ عَلَى وَفَائِنَا لَجِيُوشِ حِزْبِ (التَّاتُو)، وَنَزْعِمُ كَذِبًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّنَا كُنَّا نَشَارِكُ فِي إِنْقَاذِ الهَارِيِّينَ مِنَ المَوْتِ المُؤَكَّدِ فِي البَحْرِ.

- الرَّجُلُ العَجُوزُ: أَيُّهَا الكَاذِبُ الغَشَّاشُ، هَا أَنْتَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلِمَاذَا تَزْعِمُ أَنَّكَ تَجْهَلُ كُلَّ شَيْءٍ؟

- الضَّابِطُ: هَكَذَا عَلَّمَنِي شَعْبِي؛ أَنْ أَتَغَابِي، وَأَنْ أَتَجَاهَلَ، وَأَنْ أَخْفِيَ الحَقَائِقَ؛ هَذَا مَنَهْجِي وَمَنَهْجُ شَعْبِي فِي الحَيَاةِ؛ الكَذِبُ المَوْصُولُ وَالدَّجَلُ المَوْصُولُ. شَعَارِي المَفْضَلُ فِي الحَيَاةِ هُوَ حِكْمَتُنَا الشَّهِيرَةُ أَسْتَرُ ذَهَبِكَ وَمَذْهَبِكَ وَذَهَابِكَ.

- المَجْتَدَةُ (بِفَخْرٍ): عَلَّمُونَا الكَذِبَ وَالكَذِبَ وَالكَذِبَ ثُمَّ الكَذِبَ.

- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بِكَبْرِيَاءَ): أَلَمْ يَعْلَمُوكَ أَيْضًا أَنَّ البَحْرَ سَيَهْزِمُكُمْ؟

- الضَّابِطُ (بانفعال): أَيُّهَا المَجْنُونُ، اكتب أَنَّهُ رَجُلٌ مَخْتَلٌّ عَقْلِيًّا.
- مَجْنُونٌ ١: حَاضِرٌ، سِيدِي.
- مَجْنُونٌ ١: لَقَدْ كَتَبْتُ ذَلِكَ. (يرفع رَأْسَهُ بَعْدَ أَنْ دَوَّنَ المَطْلُوبَ عَلى
الوَرَقِ)
- المَرَأَةُ الشَّابَّةُ (وقد تَعَالَى بِكأءِ طِفْلَتِهَا): أَرَجُوكُمْ، هِيَ فِي حَاجَةٍ
إِلَى الحَلِيبِ. أَلَا تَعْرِفُ الرِّحْمَةَ دَرَبًا إِلَى قُلُوبِكُمُ الغَلِيظَةَ؟
- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بِاسْتِرْحَامٍ): نَحْنُ جَمِيعًا نَحْتَاجُ إِلَى الدَّفْعِ
وَالطَّعَامِ. نَرَجُوكُمْ أَنْ تَحْضُرُوا لَنَا الأَغْطِيَةَ الدَّافِئَةَ وَبَعْضَ الطَّعَامِ
السَّاخِنِ.
- الضَّابِطُ (سَاخِرًا): يَا عَجُوزَ النَّحْسِ، أَنْتَ مَعْتَقِلٌ عَلى مَتْنِ
سَفِينَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، لَا سَائِحًا فِي مَتَجِّعِ سِيَاحِيِّ.
- الرَّجُلُ العَجُوزُ: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ هَا هُنَا لِإِنْقَاذِنَا؟ إِذْنِ
انْقُذُونَا بِحَقِّ.
- الضَّابِطُ (بِحَقْدٍ): قَلْتُ لَكَ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا أَنَّنَا هُنَا كِي نَرُدَّكُمْ إِلَى
الجَحِيمِ، لَا كِي نَنْقُذَكُمْ!
- الرَّجُلُ العَجُوزُ (هَازِتًا): وَأَيْنَ هُوَ الجَحِيمِ هَذَا؟

- الضَّابِط (ساخراً): في أوطانكم، في أوطان الياسمين كما تسمونها.

- الرَّجُل العجوز (بأسى): لم تكن جحيماً، كانت جنة الله على الأرض، أنتم من أحرقها، وأحال نهارها ليلاً.

- الضَّابِط (بامتعاض، وهو يشرب من زجاجة الخمر): إنها ليلة مشؤومة، ليس فيها أيّ متعة أو فرح.

- المَجْنَدَة (هامسة للضَّابِط): ما زال هناك أمل في بعض المتعة؛ هذه المرأة الشابة تحمل بقايا جمال، وهذا الرَّجُل الدَّاهِل الصَّامت تعلقوا جاذبية ما ملاحظه المتشجّنة.

- الضَّابِط (بامتعاض): أشكّ في ذلك.

- المَجْنَدَة (وقد دنت من الرَّجُل الدَّاهِل، ومسّدت على وجهه مداعبة له): من أين أتيت، أيها الوسيم المبللّ؟

- الرَّجُل الدَّاهِل (واجماً): أنا جئتُ من البحر.

- المَجْنَدَة (بضحكة خليعة): أعرف ذلك. نحن من أنقذناك منه، ولكن من أين أتيت قبل أن تتركب البحر؟

- الرَّجُل الدَّاهِل: لقد جئتُ من ذات الصّوّاري.

- المَجْنَدَة (بدهشة): وما هي ذات الصّوّاري؟

- الرَّجُل الدَّاهِل: لقد انهزمتم هناك، هزمكم البحر، هزمكم الهلال، هزمكم البدو الذين يحملون الله في قلوبهم، والإيمان على سنان سيوفهم.

- الضَّابِط (بشماتة): إته عربيّ مجنون لا زال يعيش في أمجاد الماضي، ما زال محبوساً في نشوى انتصار بحريّ ابتلعه التَّسيان.

- الرَّجُل الدَّاهِل (بثقة وكبرياء): البحر لا يخون، البحر يحمل الأسرار والوفاء.

- الضَّابِط (بشماتة): لقد خانكم، وما كان كان. ألم يكن يحاول ابتلاعكم قبل قليل؟

- الرَّجُل الدَّاهِل: بجرنا لا يخوننا.

- الضَّابِط: لكن هذا البحر هو بجرنا.

- الرَّجُل الدَّاهِل: هناك بجرنا، سنعود إليه. إته ينتظرنا.

- الضَّابِط (بسخرية): إذن عد إليه، وغادر بجرنا.

- الرَّجُل الدَّاهِل: كم هو خائن بجركم!

- الضَّابِط (بتحدّ): إذن عد إلى بجرك، أيها المتعجرف المأفون.

- الرَّجُل الدَّاهِل:

- شاعر البحر إلى البحر يعود بالهوى المشبوب والروح المرید^(٣)
- المجنّدة (بحماس أحمق): يا إلهي، كم أحبّ الشعراء!
 - الضّابط (باستهتار): متى أصبحتِ تحيين الشعر والشّعراء؟ أنتِ لا تحيين سوى صور (السّيلفي).
 - المجنّدة: أحبّ الرّجال الوسيمين المتعاونين لا سيما إن كانوا شعراء مرهفي الحسّ، ويقولون الشعر في السّرير.
 - الضّابط (ساخراً): لماذا لا تلتقطي صورة (سيلفي) معه؟
 - المجنّدة (وهي تركض باتجاه الرّجل الدّاهل): هذه فكرة جميلة.
 - هيا ابتسم. (مخاطبة الرّجل الدّاهل الذي التصقت به لأخذ صورة سيلفي معه).
 - واحد. (تقرّب رأسها من الرّجل الدّاهل الذي يظلّ على جموده، ولا يقترّب منها، أو يقوم بأيّ حركة).
 - اثنان.
 - ثلاث.
 - إنّها صورة جميلة. سأحملها أيضاً على صفحتي (تنظر إلى الصّورة في شاشة الجهاز الخلوي بسرور).

^٣ - للشاعر زكي مبارك.

- الضَّابِطُ: افعلي ذلك فيما بعد. لكن علينا أن نعرف من يكون فتاك الوسيم هذا.

- المَجْنُودَةُ (مغازلة للرجل الدَّاهِلِ): إِنَّهُ شَاعِرٌ عَرَبِيٌّ ذَاهِلٌ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ الدُّنْيَا.

- الضَّابِطُ: لا، هو أخطر من ذلك. من تكون يا هذا؟

- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: أنا صوتُ البحر.

- المَجْنُودَةُ (باستغراب): أَيَّ بَحْرٍ أَنْتِ صَوْتُهُ، أَيُّهَا الْوَسِيمُ؟

- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: ذَلِكَ الْبَحْرُ ذُو الصَّوْتِ الْحَاضِرِ

يا صوت البحر الحاضر

يا صوت البحر الهادر

يا المصّاعد من وديان الأعماق

إلى تيجان الآفاق

ويا صوت البحر الهادر

خلّ القمصان تطير مع الرّيح

القبضات المضمومة والرّايات تطير مع الرّيح^(٤)

^٤ - للشاعر سعدي يوسف.

- الضَّابِطُ (بانفعال): أيّ صوت تسألينه عنه؟ لا تجاري هذا الخطير في تهويماته.
- المجنّدة (بدلال): لكته يروق لي.
- الضَّابِطُ: لا تقلقي، سألقي به إليك لتفترسيه كما تشتهين.
- المجنّدة (بجماس): مرحى. هذا ما أبعيه.
- الضَّابِطُ: لكن، ليس الآن، بل بعد أن أعرف من يكون هذا الخطير.
- الرّجل العجوز: هذا الرّجل ليس خطيراً، إنّه يتكلّم عن بحرنا.
- الضَّابِطُ (بعصبيّة): إنكم الآن في البحر.
- الرّجل العجوز: هذا بحركم، وليس بحرنا، نحن نريد أن نعود إلى بحرنا.
- الضَّابِطُ (بتكبّر): نحن نقرّر إن كنتم ستعودون إليه أم لا؟
- المجنّدة (بغیظ): نحن لم نطردكم منه لتعودوا إليه.
- المرأة الشّابة (بإصرار): بل سنعود إليه. لكنني الآن أريد الحليب لطفتي.
- الضَّابِطُ: لا حليب قبل الاعتراف بكلّ شيء.
- المرأة الشّابة (بتحدّ): بحليب أو دونه سنعود إلى بحرنا.

- الرَّجُل العجوز (بجزن وشجن وتأمل في البعيد):

هدّي يا بحر هدّي،

طولنا في غيتنا

ودّي سلامي للأرض اللّي ربنا

وسلم لي على الزيتونة

على أهلي إلّي ربوني

وبعدا أمي الحنونة بتشمشم بمخدتنا

سلم على بلادي

تربة بي وجدادي

وبعدوه العصفور الشادي بغرد لعودتنا

وخذي سلامي يا نجوم عاليادر والكروم

وبعدا الفراشة بتحوم عم تستنظر عودتنا

واحمل لبلادي سلام لخالوي ولكلّ العمام

وبعدوه زعلول الحمام عشوا على توتنا

وعهد الله وعهد الثّوار

ما بنسى حقك يا دار

ومهما طولنا المشوار راجعلك يا ديرتنا^(٥)

- المرأة الشابة والرجل الذاهل (يغنون بصوت واحد مع الرجل العجوز):

هدّي يا بحر هدّي،

طولنا في غيبتنا

ودّي سلامي للأرض اللّي ربّتنا

وسلم لي على الزيتونة

- الضّابط (بعصبيّة): احرص، يا عجوز النّحس. احرصوا جميعاً.

- الرّجل العجوز (يكمل الغناء، وكأنّه لا يسمع كلام الضّابط، ويغني معه الرّجل الذاهل والمرأة الشابة):

وبعدا أمي الحنونة بتشمشم بمخدّتنا

وسلم على بلادي تربة بيّ وجدادي

- الضّابط (بعصبيّة أكبر): قلتُ لك احرص. احرصوا جميعاً.

- الرّجل العجوز والمرأة الشابة والرجل الذاهل (بصوت واحد):

وبعدوه العصفور الشادي بغرد لعودتنا

^٥ - للشاعر والمنشد الفلسطيني إبراهيم محمد صالح المعروف بأبو عرب.

وخذي سلامي يا نجوم عاليادر والكروم

ومهما طول المشوار راجعلك يا ديرتنا

- الضابط (بغضب، وهو يضغط براحتيه على أذنيه كي لا يسمع صوت الغناء): اخرسوا جميعاً.

- المجتدة (باستهزاء): اتركهم، يبدوون لي مسلّين، وهم يغنون لنا.

- الرّجل العجوز (بجسرة، وهو يمسخ دموعه): نحن لا نغني لكم، نحن نغني للوطن.

- المجتدة (بسخرية): ظننتكم تغنون لهذا البحر المظلم في هذا المساء البارد.

- المرأة الشّابة: إله بحر مريض.

- الرّجل الدّاهل: سلاماً أيّها البحر المريض

أيّها البحر الذي أبحر من صور إلى إسبانيا

فوق السّفن

أيّها البحر الذي يسقط منا كالمدن

ألف شبّاك على تابوتك الكحليّ

مفتوح

ولا أبصر فيها شاعراً

تسندة الفكرة

أو ترفعه المرأة

يا بحر البدايات إلى أين تعود؟

أيها البحر المحاصر بين إسبانيا وصور

ها هي الأرض تدور

فلماذا لا تعود الآن من حيث أتيت؟^(٦)

- المجند ١ (بارتباك): سيدي، هل أكتب ما قال هذا الرجل من

طلاسم؟

- الضابط (باستهتار): لا تكتب أي شيء من كلامه؛ إنه مجنون

تماماً.

- المجندة (بدهشة): أنا لا أفهم كلامه هذا، إنه يشبه كلام أولئك

الأوغاد في المعتقل، كانوا يرددون كلاماً ملعوناً كالذي يردده هذا

الرجل.

- مجند ٢ (بقلق): سيدي، أخشى أنه يلقي علينا بلعنة ما.

- مجند ١ (بخوف): هذا ما أخشاه أنا كذلك.

^٦ - للشاعر محمود درويش.

- الضَّابِطُ (بعصيَّة): دعكما من هذه الخرافات، إنَّه مأفون قد سرق البحر عقله. لا وجود لشيء اسمه لعنة.
- الرَّجُلُ العَجُوزُ: أنتم من سرقتم الأوطان.
- المَجْنُودَةُ (بجركة تمثيلية): وأنتم جئتم لتسرقوا بحرنا.
- الرَّجُلُ العَجُوزُ (باحترار): لا بحر لكم لنسرقه. أنتم طفيليات على التاريخ والبشرية.
- الضَّابِطُ (باستخفاف): من أنتم لتتكلّموا باسم التاريخ والبشرية والبحر؟

- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بفخر وكبرياء): نحن أهل البحر.

- الضَّابِطُ : لكنّه ليس بجركم.

- المرأة الشابة: نتكلّم عن بحرنا لا بجركم.

- الرَّجُلُ الدّاهِلُ:

أنت يا بحر أسير، آه ما أعظم سرّك!

أنت مثلي أيّها الجبّار لا تملك أمرك

أشبهتُ حالك حالي، وحكى عذري عذرك

فمتى أنجو من الأسر وتنجو؟^(٧)

- المَجْنُودَةُ (تحاول أن تتصنّع الذكاء): الآن فهمت.

^٧ - للشاعر إيليا أبو ماضي.

- الضَّابِط (بفضول): ماذا فهمتِ، أيتها التَّبيهة اللَّمَّاحة؟
- المَجْنُدة: إنَّهم يعدُّوننا أسرى لهم، ويريدون أن يتحرَّروا مِنَّا.
- الضَّابِط (بقهقهة مصطنعة): هذا محال. لن يتخلَّصوا مِنَّا أبداً
مهما حاولوا ذلك.
- الرَّجُل العجوز (بثقة): بل هو قريب قرب الأنفاس من الرُّوح.
- المرأة الشَّابة: لا بدَّ أن ينجلي الظَّلام مهما طال اللَّيل.
- الرَّجُل الدَّاهل:
- يا ظلام السَّجن خيمِ إنَّنا نهوى الظَّلام
ليس بعد اللَّيل إلَّا فجرٌ مجدٍ يتسامى^(٨)
- الضَّابِط: أيّ سجن تتكلِّمون عنه؟ إنَّكم الآن في البحر.
- المرأة الشَّابة: بحركم سجن لنا.
- المَجْنُدة: إذن لماذا أتيتم إليهِ؟
- المرأة الشَّابة: أنتم من طردتمونا من أوطاننا، أنتم من أحالها إلى
جحيم.

^٨ - للشاعر نجيب الرِّيس.

- الرَّجُل العجوز: أنتم من سرقتم الفرح والزَّمن، ودفعتم بنا إلى
البحار لنبحث عن المنافي البعيدة الباردة على الجسد والروح.
- الضَّابِط (بتَهكُّم): أليست المنافي جميلة؟
- الرَّجُل العجوز: لا عجب أنَّك لا تعرف حرقة الوطن؛ فأنتَ
دون وطن.
- الضَّابِط (بعصبيَّة): هذا كلام غير صحيح، أنا وطني إسرائيل.
- الرَّجُل العجوز (باحترار): وأين إسرائيل هذه؟
- الرَّجُل الدَّاهل: لا وجود لشيء اسمه إسرائيل. إنَّها موجودة
فقط في الوهم وفي عقول الخونة واللصوص.
- المرأة الشَّابة: زوجي سالم التونسيّ الأصيل يقول دائماً: إسرائيل
موجودة في خيالات من يزعم أنَّها موجودة. هي وهم كامل.
- الضَّابِط (بانفعال): إنَّها في فلسطين.
- الرَّجُل العجوز (بتحدُّ): لا يوجد في فلسطين غير فلسطين.
- المجنَّد ١: هل أكتبُ هذا الكلام، يا سيدي؟
- الضَّابِط (بتوتُّر): لا تكتب أيَّ شيءٍ ممَّا قال هذا العجوز
المأفون، أو حتى ممَّا قلتُ أنا.
- المجنَّد ١ (بحيرة): إذن ماذا أكتبُ، يا سيدي؟

- الرَّجُل العجوز: اكتبْ أنّ البلاد طلبتْ أهلها.
- الضَّابِط (بعصبيّة): لا تكتبْ ذلك أبداً.
- المَجْنَد ١ (بارتباك): ماذا أكتبْ إذن؟
- الضَّابِط (بعصبيّة) : لا تكتبْ أيّ شيء.
- المَجْنَد ١ (بدهشة): لا أكتبْ أيّ شيء؟
- الضَّابِط: لا، أكتبْ فقط ما نريد نحن أن يعرفه العالم.
- المَجْنَد (بلوّم): لا نريد أن يعرف العالم سوى القليل من قصص الموتى في البحر.
- الرَّجُل العجوز (بثقة): لا عليكم، سواء أكتبتم الحقيقة أم لم تكتبوها؛ فالتاريخ سيكتب الحقيقة دون تزوير شتم ذلك أم أبيتم.
- الضَّابِط (بتهمّم): التاريخ ملك لنا، نحن من نكتبه.
- الرَّجُل العجوز: يبدو أنّ عندك مشكلة كبيرة في إدراك الحقيقة التي تسطع في وجهك كسطوع الشّمس البلجاء.
- الضَّابِط : الحقيقة التاريخيّة الأكيدة التي أعرفها الآن هي أنّكم لستم سوى أسرى لي في هذه السفينة الكبيرة في هذا الليل الشّتويّ البارد الموحش.

- المرأة الشابة (وقد تعالَى بكاء الطفلة الرضّيعَة من جديد):
الطفلة ستموت من الجوع والبرد، هي في حاجة إلى الدّفء والحب.
أسألکم الرّحمة لهذه الطفلة البريئة.
- الضّابط (دون مبالاة): لا بأس في موتها، سندون ذلك على أنه
حادث مؤسف خارج عن إرادتنا.
- المجنّدة (بجماس): وسنوثق الحادثة بصورة (سيلفي).
- الضّابط (هازئاً): هذه فكرة جميلة بحقّ.
- المجنّدة (تقترب من الطفلة، وتخطفها من حضن المرأة الشّابة):
ربما عليّ أن آخذ صورة (سيلفي) معها قبل أن تموت.
- الضّابط (باستهتار وعدم اهتمام): افعلي ما تشائين يا (آن).
- المرأة الشّابة (بجزع): اعيدي طفلي إليّ، قدماي لا تقويان على
الحركة، البرد ينخر عظامي وروحي. هيّا اعيدي طفلي إليها.
- المجنّدة: رويدك، أيتها المرأة المملّة، كلّ ما أريده هي صورة
(سيلفي) مع هذه الطفلة قبل أن تتجمّد.
- العجوز (بغضب): اعيدي الطفلة إليها.
- المجنّدة: ليس قبل أن أحصل على الصّورة التي أريدها.

- العجوز (وقد حاول أن يتصب على قدميه، ففشل في ذلك،
ووقع أرضاً): اعيدي الطفلة إليها.

- المجنّدة: لن أعيدها قبل أن ألتقط صورة (سيلفي) معها.

- الضابط (متضحكاً من بكاء المرأة الشابة ووقوع الرجل
العجوز على الأرض): اصبرا قليلاً، لا بأس من بعض المتعة في هذا
الليل الطويل.

(تلتقط المجنّدة صورة سيلفي مع الطفلة، ثم تغير طريقة حملها
لها، وتعري رأسها من القبعة القطنية التي تلبسها، وتحقق في وجهها).

- المجنّدة (بانفعال): انظر، يا سيدي، الطفلة تملك عينين
خضراوين في منتهى الجمال. كم هي طفلة جميلة!

- الضابط (بنظرة عجلى يلقيها على وجه الطفلة): فعلاً هي
طفلة جميلة.

- المجنّدة: إنها ملاك صغير ساحر.

- الضابط: ليتها كانت شابة لا طفلة، إذن لأسعدتني الليلة
بجمالها.

- المجنّدة (ببحث): أمها امرأة ناضجة، وتفي بالغرض لليلة
واحدة.

- الضَّابِط (بتَهكِّم): لكتِّها متواضعة الجمال.
- المَجْنُدة: في اللَّيالي الباردة أيّ امرأة تفي بالغرض. أنسيتَ ما قلته لي حول ذلك؟
- الضَّابِط (يأخذ رشفة كبيرة من زجاجة المشروب): أيّتها الأم القبيحة، من أين لطفلتكِ بهذا الجمال الحاذق؟
- المرأة الشَّابة (بارتباك وخوف): هي طفلي، أعيدوها إليّ.
- الرَّجُل العجوز (بغضب): أعيدوا الطِّفلة إلينا.
- المَجْنُدة (بإصرار): أريد أن أحتفظ بهذه الطِّفلة الجميلة.
- الضَّابِط (بسخرية): هل قرّرتِ أن تمارسي دور الأمومة أخيراً؟
- المَجْنُدة (باستهتار): طبعاً لا، طفلة بهذا الجمال سيدفع الكثيرون المال الوفير لأجل الحصول عليها.
- الضَّابِط (باهتمام): إذن سوف تبيعينها لأيّ راغب في شرائها؟
- المَجْنُدة: هذه فكرة من باقة من الأفكار التي تدور في رأسي الآن.
- الضَّابِط (ينقر على رأس المنجّدة بطرف إصبعه): ما هي الأفكار الأخرى التي تدور في رأسك الصّغير، يا قطتي الشريرة؟
- المَجْنُدة (هامسة له): هناك تجّار الأعضاء، وقوادو الرقيق الأبيض، والعلماء المخبولون الباحثون عن أجساد للتّجارب، وهواة

لحوم البشر، والكثير الكثير من الأفكار الجريئة التي تدرّ الكثير من الأموال.

- الضّابط (بإعجاب) : يعجبني عقلك الاستثماريّ.

- المجنّدة : ويعجبني المال الوفير.

- الضّابط : ماذا عندك من أفكار أخرى؟

- المجنّدة : حتى صورة (السيّلفي) هذه ستدرّ علينا الكثير من

المال.

- الضّابط (بحماس) : كيف؟

- المجنّدة: هناك الإعلاميون الذين يدفعون الكثير من المال مقابل

الصّور المباشرة من أرض المعاناة، كذلك هناك الكثير من مرهفي

القلوب الذين سيمطروننا بالتبرّعات لأجل أن نرعى أمثال هذه الطّفلة

التّاجية من الغرق.

- المرأة الشّابة (بلوعة) : بماذا تهمسان؟ أعيذا الطّفلة إليّ. طفلي

المسكينة ستموت من الجوع والبرد.

- الضّابط (بقلق) : علينا أن نحافظ على حياة هذه الطّفلة؛

سنخسر المال الذي ستدرّه علينا إن هي ماتت.

- المجنّدة: لا تقلق أبداً، حتى ولو ماتت، فسوف تدرّ صورتها ميّنة الكثير من المال علينا.
- الضّابط (بفرح): أنتِ شيطانة صغيرة.
- المجنّدة (باعتراض): بل شيطانة كبيرة.
- الرّجل العجوز: أعيدي الطّفلة إليّ.
- المجنّدة (بلوّم): ليس قبل أن نتفق.
- الرّجل العجوز (بانفعال): نتفق على ماذا؟
- المجنّدة: على أن توقّعوا على ما نريد من اعترافات مقابل إعادة الطّفلة إليكم.
- الضّابط (مندهشاً): هل سنعيد الطّفلة إليهم؟
- المجنّدة (هامسة له): أيّها الأحمق، أنا أخدعهم.
- الضّابط (يكرّر كلام المجنّدة بحمق): نعم، سوف نعيد الطّفلة إليكم إن قبلتم بشروطنا جميعها.
- المرأة الشّابة: سنقبل بكلّ ما تريدون. لكن أرجوكم، اعيدوا طفلي إليّ.
- الضّابط (بخسّة): هل ستكونين اللّيلة في حضني مقابل الحصول على طفلك؟

- المرأة الشابة: حرام عليك. اتق الله. إني امرأة متزوجة.
- الضابط: لم تعودى متزوجة، أنت أرملة منكودة الآن، زوجك قد غدا طعاماً للأسماك الجائعة. هل نسيت ذلك؟
- المرأة الشابة (بجزع): ادركني، يا سالم، انقذني، لمن تركتني من بعدك؟
- الضابط (بخبث): لي أيتها المرأة المتمنعة المبتلة بماء البحر.
- المرأة الشابة (تجأ بأعلى صوتها): ادركني، يا سالم، إتهم العلوج، اقبلي يا خولة بنت الأزور، إتهم العلوج.
- الضابط (بلؤم): متى كانت آخر مرة سمعنا بها بكلمة (العلوج) هذه؟
- المجنّدة: قبل أن تموت العراق، وتموت سوريا، وتموت اليمن، قبل أن يموت العرب أجمعون.
- الرّجل العجوز (بإباء): العرب لم يموتوا.
- الضابط (بشماتة): لقد غرقوا قبل قليل في البحر.
- المجنّدة (بإصرار): أنا أريد هذه الطفلة.
- الضابط: هي لك.
- المرأة الشابة: اعيدوا ابنتي إليّ. أرجوكم.

- الضَّابِط (موجّهاً كلامه للمرأة الشّابة): تعالي إليّ حُضني، أيّها الخجولة.

- المرأة الشّابة: ادركني، يا سالم.

- الضَّابِط (هازئاً): ادركها، يا سالم.

- المرأة الشّابة: أينك، يا سالم.

- المجنّدة (بشماتة): سالم مات.

- المرأة الشّابة (كأنها لا تسمع كلام المجنّدة): اجبني، يا سالم.

- الضَّابِط: ادخري طاقتك، لا تناديه، هو لن يجيب، هو في بطون

الأسماك الآن.

- المرأة الشّابة: ادركني، يا سالم.

- المجنّدة (تضحك مقهقة): سالم مات. الموتى لا يلبّون استغاثات

الأحياء.

- الضَّابِط (يأخذ رشفة أخرى من زجاجة المشروب): الموتى لا

يدركون الأحياء.

- المجنّدة (بإصرار): أريد هذه الطّفلة لي.

- الضَّابِط: هي لك.

- المرأة الشّابة: لا، هي ابنتي أنا.

- الضَّابِط (باستهزاء): سالم مات. انديبه يا امرأة.
- الرَّجُل العجوز: جميعنا سالم.
- المَجْنَدَة: سالم قضى غرقاً.
- الرَّجُل الدَّاهِل: أنا سالم. لا يمكن أن يموت سالم.
- المَجْنَدَة (بصدمة): إذن أنتَ هو سالم، أيها الوسيم؟
- الرَّجُل الدَّاهِل (بتحدٍ): نعم، أنا هو.
- المَجْنَدَة (منفعل): أيها المخادع الشَّرير، أكنتَ تخدعني طوال الوقت؟

- الرَّجُل الدَّاهِل (بكبرياء): أنا سالم.
- المرأة الشَّابة: ردي ابنتي إليّ يا هذه.
- المَجْنَدَة (بغضب): لن يأخذ أحد الطفلة مني.
- الرَّجُل الدَّاهِل (بجزم): أنا من سيأخذها منك.
- المَجْنَدَة (بتحدٍ): حاول ذلك أن استطعتَ أنْ تقفَ على قدميك المتجمدتين.

- الرَّجُل الدَّاهِل: أنا سالم.
- المَجْنَدَة (بجنق): خائن.

- المرأة الشابة (بتصرّع): اعيدي طفلي إليّ. إنها ابنتي الصغيرة.
- المجنّدة: ليعيدها سالم إليك إن كان يستطيع ذلك.
- الرّجل الدّاهل: أنا سالم.
- الرّجل العجوز (بجماس): نعم هو سالم.
- الضّابط: سالم قد مات.
- المرأة الشابة (بإصرار وفخر): سالم لا يموت.
- المجنّدة: الطّفلة لي.
- المرأة الشابة: اعيدي طفلي إليّ.
- الضّابط: تعالي إلى حضني، أيها الأرملة الحزينة. ألا تحبّين المشروب؟

- المرأة الشابة: أريد طفلي.
- المجنّدة (بإصرار): الطّفلة لي.
- (الرّجل الدّاهل ينتصب فجأة على قدميه، وينقضّ على المجنّدة، ويخطف الطّفلة منها، لكن المجنّدين يهجمان عليه، ويأخذان بركله ركلاً موجعاً).

- المجنّدة (تنصب على قدميها): لا تتوقفا عن ضربه، أريد أن آخذ صورة (سيلفي) وأنتم تضربونه.

- المرأة الشابة: أريد طفلي.
- الرجل العجوز (بقهر): اصبر، يا سالم، موعدك الجنة.
- الضابط (يتطوح من شدة السكر): أئن تقبليني، أيها الأرملة العنيدة؟

- المرأة الشابة (باحترار): أيها العليج الحقير.
- الرجل العجوز (يرفع عقيرته بالأذان): الله أكبر . . . الله أكبر

حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح

- الضابط (بانزعاج): اسكتوا هذا العجوز.

- المجنّدة: الطفلة لي.

- الرجل العجوز (بصوت أعلى): الله أكبر . . . الله أكبر

حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح

- الضابط: اخرسوه. القوه في البحر، القوهم جميعاً في البحر.
- المجنّدة: أريد أن آخذ لهم صورة (سيلفي) وهم يردّون إلى البحر.

- الضابط (بغضب): القوهم في البحر. الآن.

- الرجل الدّاهل (يهمس وهو ملقى على الأرض): أنا سالم.

- الرَّجُل العجوز : الله أكبر . . . الله أكبر
حيّ على الصّلاة
حيّ على الفلاح
- الضّابط: هيا، ألقوهم في البحر.
(صوت من البعيد يقول بصوت جهوريّ يملأ فضاء المسرح:
سيدي، هناك قارب آخر يغرق بالقرب من سفيتنا).
- الضّابط (باهتمام): هل فيه نساء جميلات؟
- المجنّدة (باحترار): أحق كبير!
- الضّابط (أمراً مجزماً): انقذوا كلّ من في ذلك القارب.
- المجنّدة (مشيراً إلى المرأة الشّابة والرّجل العجوز والرّجل
الدّاهل): وماذا عن هؤلاء؟
- الضّابط: الق بهم في البحر.
- الرّجل الدّاهل: أنا سالم.
- الرّجل العجوز (بصوت أعلى): الله أكبر . . . الله أكبر
حيّ على الصّلاة
حيّ على الفلاح

- المرأة الشابة: أريد طفلي.
- المجنّدة: الطفلة لي.
- الضّابط: ألقوا بهم في البحر.
- (صوت من البعيد): القارب يغرق، يا سيدي.
- الضّابط (يأخذ جرعة كبيرة من زجاجة المشروب): انقذوا من تستطيعون إنقاذه.
- الرّجل الدّاهل: أنا سالم.
- (تعتيم خشبة المسرح، وصوت هدير البحر يعلو، وصوت صراخ واستنجات يعلو كذلك، ثم يعمّ الهدوء، ومن جديد يعلو صوت الرّجل العجوز يؤذّن: الله أكبر . . . الله أكبر
- حيّ على الصّلاة
- حيّ على الفلاح).
- الضّابط (بغضب شديد): القوهم في البحر.
- المجنّدة ١: ماذا عمّن يغرقون في الزورق؟
- الضّابط (بحماس): انقذوهم حالاً.
- (إعتمام كامل، وصمت خلا صوت هدير البحر الذي يعلو في المكان).

الفصل الثّاني

التّوصيف المكانيّ والضّويّ والصّوتيّ لخشبة المسرح

- صوت مزيج من صوت النّوارس وهدير البحر يعلو في فضاء المسرح.

- الإضاءة نهارية واضحة.

- الدّيكور يُظهر أنّ خشبة المسرح هي عبارة عن سطح سفينة ما بالقرب من مقدّماتها بالقرب من الحاجز الحديديّ الذي يسوّر أطرافها ليمنع الوقوع منها.

- يظهر الجميع مقبّدي الأيدي بجمال غليظة، وسترات نجاتهم البرتقاليّة اللّون مطروحة بالقرب منهم على شكل كومة: المرأة الشّابة، والرّجل العجوز، والرّجل الدّاهل، ورجل آخر طويل أشقر الشّعْر، يلبس ملابس (الجينز) الأزرق.

- أمام الجميع توجد الطّفلة الرّضيعة ملقاة على الأرض، وقد فارقت الحياة .

- المرأة الشّابة في حالة بكاء وانهيار.

- المجتدان يميلان السلاح، ويوجّهانه إلى رؤوس الأشخاص المقيدي الأيدي.

- الضّابط عاري الصدر يحمل زجاجة المشروب، وإلى جانبه تقف المجنّدة، وهي تلبس بنظّالاً عسكرياً وقطعة علوية قطنية بيضاء اللون.

- الضّابط (بشماتة): ها قد اجتمعنا من جديد. ما أجمل هذه الشمس المشرقة الدافئة في هذا الشتاء البارد! اسمعوا صوت تلکم التوارس المحلّقة فوقنا. استمتعوا بكلّ شيء قبل أن ألقى بكم في البحر طعاماً لأسماكه الجائعة.

- المجنّدة (بجماس): سأخذ معهم صورة (سيلفي) قبل أن تلقي بهم إلى البحر.

- الضّابط (باشمئزاز): ما حاجتك إلى صورة (سيلفي) معهم وهم سيموتون بعد قليل؟

- المجنّدة: أحبّ أن ألتقط الصّور مع الموتى.

- الضّابط : يا لك من امرأة شريرة!

- المجنّدة (تلمز الضّابط): غيري يحبّون أن يصنعوا الموت يا حاجّ

عمران.

- الضَّابِط (بانفعال): اُخْرَسِي يَا (ادل).
- المَجْنَدَةُ (بتحدُّ): أُخْرَسُ إِن لَمْ تَزْعَجِي يَا (نوعام)، وَتَرَكْنِي أَلْتَقِطْ صُورَةَ (السَّيْلَفِي) الَّتِي أُرِيدُهَا.
- الضَّابِط (بضيق): امْرَأَةٌ حَمَقَاء. أَفْعَلِي مَا تَشَائِنِ، وَلَكِنْ اسْرِعِي. عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَجِيبَهُمْ سَرِيعاً قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ، وَيَلْفَحُنَا بَرْدُ الْمَسَاءِ. أَحَبُّ الْإِعْدَامَاتِ النَّهَارِيَّةِ لَا الْمَسَائِيَّةِ.
- المَجْنَدَةُ (بجماس): أَمَّا أَنَا، فَأَحَبُّ الْإِعْدَامَاتِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.
- الضَّابِط: لَيْتَ الْمَوْتَ يَظْهَرُ فِي صُورِ (السَّيْلَفِي).
- المَجْنَدَةُ (بجماس): إِذْنِ لَا تَلْتَقِطُ لَهُ أَلْفَ صُورَةٍ (سَيْلَفِي) عِنْدَئِذٍ.
- الضَّابِط: لَكِنَّ الْمَوْتَ لَا يَظْهَرُ لِيَتَسَمَّ فِي صُورِ (سَيْلَفِي)، بَلْ لِيَقْبِضَ الْأَرْوَاحَ.
- المَجْنَدَةُ (بجوف): أَبْعَدُهُ اللَّهُ عَنِّي.
- الضَّابِط: وَعَنِّي كَذَلِكَ.
- المَجْنَدَةُ (تخرج جهاز اتصالها الخليوي من جيب بنطالها العسكري، وتعَدِّل ضبط شاشته، وتقرب من موثقي الأيدي، وتلتقط معهم صورة (سيلفي)).

- هيا ابتسموا. (تمدّ رأسها أمام رؤوس الموثقين كي تظهر معهم في الصّورة).
- ابتسموا أكثر. (تبتسم هي ملء شذقيها، في حين يظلّ الباكون متجهمون).
- واحد.
- اثنان.
- ثلاث.
- يا إلهي، أنتم لم تبتسموا أبداً! (تستعرض الصّورة التي التقطتها معهم على شاشة جهاز اتصالها الخلوي).
- لكن على الرّغم من ذلك هي صورة جميلة بحقّ. (بفرح)
- الضّابط (مستغرباً): ما الجميل في هذه الوجوه الممتعة اللّون؟
- المجنّدة: لون الموت الذي يعلوها.
- الضّابط: يالك من شريرة!
- المجنّدة: النّساء الشّريرات جميلات.
- الضّابط: من قال لك هذا الهراء؟
- المجنّدة: الكولونيل هو من قال ذلك.
- الضّابط: تّباً لذلك العجوز الأشمط المتهاوي.

- المجنّدة (هي تحدّق في الصّورة في شاشة الخليوي): المهم في الأمر أنّ هذه الصّورة تعجبني.

- الضّابط: لكن أين ستشرين هذه الصّورة المريعة؟

- المجنّدة: سأنشرها طبعاً في صفحتي على (الفيس بوك) تحت عنوان: إنقاذ جديد لدفعة أخرى من اللاّجئين غير الشرعيين عبر البحر.

- الضّابط (هازئاً): هل ستكتبين تعليقاً عليها يقول: صورتني مع اللاّجئين العزّل الذين ألقينا بهم في البحر في صبيحة يوم مشمس من أيام فصل الشتاء؟

- المجنّدة (هامسة في أذن الضّابط): أحق!

- الضّابط: بربك ماذا سيكون تعليقك على هذه الصّورة؟

- المجنّدة (ضاحكة): سيكون تعليقي عليها: صورتني مع اللاّجئين النّاجين من الموت في البحر.

- الضّابط (بإعجاب): تجيدين الكذب.

- المجنّدة (متجاهلة كلام الضّابط): لا بدّ أنّي سأحصد عدداً كبيراً من تسجيلات الإعجاب على هذه الصّورة. الحقيقة أنا أستحقّ الإعجاب. أنا بطلة؛ لأنّني المنقذة البطلة في نظر الكثيرين؛ ولذلك

سأنتزع إعجابهم العريض بي. عندي قناة كاملة على اليوتيوب، اسمها
آن تنقذ ضحايا البحر.

- الضّابط (وهو يطوّق رقبتها بيديه كأنه سيخنقها): أنتِ
تستحقين الموت لا الإعجاب.

- المجنّدة (بثقة) : كلنا نستحقّ الموت.

- الضّابط: عذراً، أيّها الموت. لن تحصل علينا بسهولة. اليوم
ستحصل فقط على أولئك المنكودين الحمقى.

- المجنّدة: من الصّعب جداً أن يحصل الموت عليّ.

- الضّابط (باستهتار): وكيف ذلك؟

- المجنّدة: ما حاجته بي؟

- الضّابط (ساخراً): لعلّه يحتاج صورة (سيلفي) معك.

- الرّجل العجوز (بضيق): فكّوا وثاقنا، أيّها المجرمون الأوغاد.

- المجنّدة: يبدو أنّهم لم يستفيدوا شيئاً من درس البارحة.

- الضّابط: هم لا يحصلون أيّ دروس مستفادة من أيّ شيء! ولو

كانوا كذلك ما غامروا برحلة هروب سرّية في البحر على الرّغم من
كلّ المصائر السّوداء والمأساوية التي يسمعون عنها مألأ لمعظم من
يشقّون غمار خباب البحر هاربين إلى أوروبا أو إلى غيرها من المناطق.

- المجنّدة: حبّهم للحياة يدفعهم إلى دروب التهلكة.
- الضّابط: ماذا عن حبّك للمال؟ إلى أين يدفعك؟
- المجنّدة (بتفاخر): إلى المتع على اختلاف أنواعها ودرجاتها.
- الرّجل العجوز: قلتُ لكم فكّوا وثاقنا.
- موظّف الإغاثة: هيّا، افعلوا ما يقول هذا الرّجل الطيّب، وفكّوا وثاقنا.
- الضّابط (مقهقهاً): هو قد يكون طيّباً، ولكننا أشرار، والأشرار لا يفكّون وثاق الطيّبين، ألا تشاهد أفلام (الأكشن) الأمريكيّة؟
- موظّف الإغاثة: فكّ وثاقنا.
- المجنّدة (بتأفّف): يا لك من رجل ملحاح! لكنك على قدر مقبول من الوسامة.
- الضّابط (باستهزاء): دعك منه. ألن تلتقطي صورة (سيلفي) مع الطّفلة الرّضيعة الميتة قبل إلقاء جثّتها في البحر؟
- المجنّدة: لا أحبّ صور (السيلفي) مع الأطفال الميتين؛ لا أحد يرغب في متابعة هذه الصّور؛ يقولون إنّها صور تقشعر الأبدان منها.
- الضّابط: معظم الناس حمقى لا يجيدون تمييز الممتع من القبيح.
- المجنّدة: ما الممتع في صورة طفلة رضيعة متجمّدة؟

- الضَّابِط (بحماس): قتلنا للحياة في مهدها.
- المَجْنُودَة: أنتَ معلِّم كبير للقبح. أنا أفخر بأنِّي تلميذتكَ.
- الضَّابِط: رويدك، أنتِ لستِ تلميذتي، أنتِ معلِّمة الشَّيطانِ ذاته.
- المَجْنُودَة: سألتقط لي صورة (سيلفي) معها، لكنتي لن أحملها على صفحتي في الـ (الفيس بوك)، بل سأحتفظ بها في أرشيفي الخاصِّ.
- الضَّابِط: ألن تسمحي لي بأن أطلع يوماً على أرشيفِ صوركِ الخاصِّ؟
- المَجْنُودَة (بقلق): ما حاجتكَ به؟
- الضَّابِط (بفضول): أراهن على أنّ فيه أيضاً من صور التعذيب والقتل والاعتصاب والإذلال.
- المَجْنُودَة (باعتزاز): معكَ حقّ، هو كذلك.
- الضَّابِط (باهتمام): إذن متى أراه؟
- المَجْنُودَة: عندما أرضى عنك.
- الضَّابِط: ومتى ترضين عني؟
- المَجْنُودَة: في ليلة مضاجعة حارّة.

- الضَّابَط (بفجور): إذن اللَّيلة بعد الانتهاء من حفل الإعدام هذا أرضيك، وترضيني.

- المَجْنَدَة (بجماس): اتفقنا إذن.

- الضَّابَط: سنحتفل بطريقتنا المتوحشة.

- المَجْنَدَة: لكن ماذا عن المرأة المجنونة بحبّ سالم؟ ألا تريدها لهذه اللَّيلة؟

- الضَّابَط (باشمئزاز): لا أريدها، سألقي بها في البحر لتأكلها الأسماك الجائعة. لا يروق لي أن أمارس الجنس مع نساء مهوسات بحبّ رجال آخرين.

- المَجْنَدَة (تقترب من الطَّفلة المسجاة على الأرض، وتنتزعها من ضجعة موتها، وتقربها منها، وتقول لها): هيا ابتسمي، أيها الطَّفلة، لتكون الصَّورة جميلة.

- واحد.

- اثنان.

- ثلاث.

- إنها صورة بابتسامة عريضة مني أنا فقط! ولكن لا بأس في ذلك. (تنظر في الصَّورة في شاشة هاتفها الخلوي).

- الضَّابِط (مقهقاً): لا أحد يمكنه أن يتسم لك، الأحياء والموتى على حدّ سواء.

- المجنّدة: من يريد ابتساماتهم تلك؟

- الضَّابِط: ما رأيك في أن تبدي حفل الإعدامات بإلقاء هذه الطّفلة في البحر؟ السمك الجائع ينتظر جسدها الصّغير البضّ ليكون وجبته الصّباحيّة الخفيفة.

- المجنّدة: لا متعة في إلقاء ميّت في البحر. المتعة الحقيقيّة هي في القتل.

- الضَّابِط (مدللاً للمجنّدة، وهو يمسّد على ظهرها): القيهما في الماء، واقتلي بعد ذلك من تشائين منهم. ابدي، وأنا أجهز عليهم بمعونة المجنّدين.

- المجنّدة ١: نحن على أتمّ الاستعداد لفعل ذلك، سيدي.

- المجنّدة ٢: في دقيقة واحدة يغدون جميعاً جثثاً هامدة لا حياة فيها.

- المرأة الشّابة (تبكي بانفعال شديد): لا تلقوا بابنتي الصّغيرة في البحر، ضعوها في حضني. أنتم من قتلها، قتلكم الله.

- الضَّابِط (يتصنّع الحزن والتأثّر): نحن لم نقتلها، الجوع والبرد هما من قتلها.

- المرأة الشابة: كان يمكن أن تظلّ على قيد الحياة لو قدّمتم لها بعض الحليب والدّفء، هي طفلة صغيرة لا تطيق الجوع والبرد.
- الضّابط: نحن لا نقدّم الطّعام لأيّ أحد.
- المجنّدة (بفرح): إلّا إذا كان هذا طلبهم الأخير قبل الموت.
- الضّابط: حتى المشرفين على الموت نحن لا نقدّم لهم الطّعام قبل موتهم. لا شيء يجبرنا على ذلك.
- الرّجل العجوز: لا نريد طعامكم، لكننا نريد بعض الماء، لقد جفّت حلوقنا وشفاهنا وعروقنا من شدّة العطش، لم نشرب الماء منذ ٣ أيام.
- المجنّدة: اشربوا من ماء البحر.
- الرّجل العجوز (بيأس): ماء البحر يزيدنا عطشاً.
- المرأة الشابة: اعيدوا ابنتي إليّ.
- الضّابط: لن تحصلوا إلّا على ماء البحر.
- المجنّدة (بشماتة): كم أنتم مساكين! ستموتون وأنتم عطشى.
- الرّجل العجوز (بقرف): لعنكم الله.
- المرأة الشابة: ماذا فعلنا لكم لتعذبوننا بهذا الشكّل؟
- الضّابط (بحماس): نحن نهوى تعذيب اللاّجئين والهاربين.

- المجتدة: هم بضاعة ثمينة كذلك.
- الضابط: يرغب التجار جميعهم فيها على اختلاف قطاعات تجارتهم.
- موظف الإغاثة (بغیظ): أنتم مجرمو حرب.
- الضابط (بفخر): نعم، نحن مجرمو حرب. ما أجمل هذا اللقب!
- المجتدة (تدندن): نحن مجرمون. مرحى. نحن مجرمون حرب.
- الضابط (باعزاز): الحقيقة أننا مجرمو حرب وسلم.
- الضابط (أمراً المجتدين): هيا، هلموا لنحتفل؛ لأننا مجرمون.
- المجتد ١: ما أجمل الاحتفال بالإجرام!
- المجتد ١: سنحتفل طويلاً بعد إعدامهم جميعاً.
- الرجل العجوز: أنا عطشان. أريد الماء.
- الضابط (بعصبية): قلت لك مراراً وتكراراً، لا ماء عندنا لكم.
- المجتدة (بلؤم مشيرة إلى الرجل الداهل): ولا ماء عندنا كذلك لسالم البطل.
- الرجل الداهل: لا أريد ماءكم. أريد البحر.
- المجتدة (بغیظ): ستحصل على البحر كله بعد قليل.

- المجدد ١: ستحصلون جميعكم على البحر بعد قليل.
- الرجل الداهل: الحياة أغنية تعبتُ من ترديد كلماتها
أعشاش البحر
وجسور البحر
وطيور البحر^(٩)
- الضابط: عاد رجلك الوسيم إلى هذيانه المجنون.
- المجنونة: هو يهوى الهذيان. لكنني أحبّ هذيانه؛ هو يحرك
شهوتي الجنسية بقوة.
- الرجل الداهل: كلما ارتبكتُ هرعتُ إلى القصيدة
وطرقتُ بابها كالمجنون^(١٠)
- الضابط (ساخراً): إنه لا يخشى البحر والغرق والموت.
- الرجل الداهل: حين رأني البحر منهاراً
قرّر أن يحكي لي عدداً من التّكات
كانت التّكات مضحكة حقاً

^٩ - للشاعر أديب كمال الدين.

^{١٠} - للشاعر أديب كمال الدين.

كنتُ كلما أزدادُ ضحكاً

أزدادُ غرقاً^(١١)

- الضَّابِطُ: سنعرف بعد قليل إن كنتَ لا تخشى البحر أم لا.
- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بتعاضم): إنَّه لا يخشى الموت، ونحن كذلك لا نخشاه.

- الضَّابِطُ: إنْ كنتم لا تخشونه فلماذا إذن هربتم من وجهه؟
وهاجرتم من أوطانكم؟

- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بإيمان عميق): هو هروب من قدر إلى قدر.
- الضَّابِطُ (متهقهاً): وأنا قدركم المشؤم.
- المَجْنُونُ (تشير إلى الرَّجُلِ الدَّاهِلِ): يبدو أنَّ رجلي الوسيم ينتمي إلى البحر.

- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: قد سألتُ البحر يوماً هل أنا يا بحر منك؟
هل صحيح ما رواه بعضهم عني وعنك؟
أم ترى ما زعموا زوراً وبهتاناً وإفكاً؟
ضحكتُ أمواجه منِّي، وقالتُ:

^{١١} - للشاعر أديب كمال الدين.

لست أدري.

أنت، يا بحر أسير.

آه ما أعظم سرّك!

أنت مثلي، أيها الجبّار، لا تملك أمرك

أشبهتُ حالكَ حالي، وحكي عذري عذرك

فمتى تنجو من الأسر، وئنجو؟^(١٢)

- الضّابط: أخيراً، أيها الدّاهل المأفون، قد أدركت أنّك مأسور

عندي.

- المجنّدة: ليتّه كان أسيراً عندي فقط.

- الضّابط: إذن لعذبتيه جنسياً. أليس كذلك؟

- المجنّدة (باشتهاء): وأكثر من ذلك.

- الرّجل العجور: أنا عطشان.

- الضّابط: صه.

- المرأة الشّابة: تبا لكم، أليس في قلوبكم ذرة رحمة؟ إنّه رجل

كبير السنّ متعب. قدّموا له بعض الماء، لا تتركوه يموت كما ماتت ابنتي

الرّضيعة المسكينة.

- الضّابط (بتجبر): لا ماء لكم عندنا.

^{١٢} - للشاعر إيليا أبو ماضي.

- موظف الإغاثة (بغضب وانفعال): اطلق سراحنا، أيتها المجرم. سوف تنال عقاباً شديداً على ما تفعله الآن.
- الضابط (باستهتار): من سيعاقبني يا ثرى؟
- موظف الإغاثة (بثقة): سيعاقبك التاريخ.
- الضابط (يأخذ جرعة من المشروب): التاريخ انتحر منذ زمن.
- موظف الإغاثة: سيعاقبك الأشراف في كل مكان.
- الضابط (مقهقهاً بصوت مرتفع): الأشراف؟ أين هم الأشراف الآن؟

- موظف الإغاثة: إنهم في كل مكان.
- الضابط: إلا في هذه السفينة، فلا وجود لهم. هنا لا يوجد إلا المرتزقة أمثالي.
- موظف الإغاثة: أنا من الأشراف الذين يهبون لمساعدة اللاجئين الذين يذرعون البحار بحثاً عن الرحمة لهم.
- الضابط: أنا أكره الأشراف؛ لذلك سأطعمك للبحار إكراماً لكرهي لك وللأشراف.
- موظف الإغاثة (يشير إلى المرأة الشابة والرجل العجوز والرجل الداهل): وما ذنب هؤلاء لتلقي بهم إلى البحر بدل أن تقدم المساعدة لهم؟

- الضَّابِطُ: هم من اختاروا حتوفهم بأيديهم عندما بغوا البحر.
- موظَّف الإغاثة: بغوه هرباً من أمثالك من الوحوش، لا كي يلتقوا بك وبهم من جديد.
- الضَّابِطُ: لقد هربوا من وجهي مراراً وتكراراً؛ في كلِّ مكان كنتُ لهم في المرصاد؛ في أوطانهم، في شوارعهم، في بيوتهم، حتى في أسرّة نومهم.
- موظَّف الإغاثة: إذن أطلق سراحهم الآن؟
- الضَّابِطُ (بغضب): ما علاقتك أنتَ بهم؟
- موظَّف الإغاثة: أنا إنسان، ومن واجبي أن أساعد البشر المحتاجين لمساعدتي.
- الضَّابِطُ (بغضب أكبر): ما شأنك أنتَ بهم؟
- موظَّف الإغاثة: أقول لك مرّة أخرى: أنا إنسان، ومن واجبي أن أساعد البشر المحتاجين إلى مساعدتي.
- الضَّابِطُ (بفضول): لماذا لا تدعهم يموتون؟
- موظَّف الإغاثة (بإصرار، وبصوت مرتفع): أنا إنسان، ومن واجبي أن أساعد البشر المحتاجين إلى مساعدتي.
- الضَّابِطُ: لكنني أريد أن أفنيهم عن بكرة أبيهم.

- موظف الإغاثة: لأتكَ وحش لا بشر.
- الضَّابِط (بهدوء مصطنع بعد أن أخذ رشفة كبيرة من المشروب): لستُ وحشاً، لكنهم لا يستحقّون الحياة، يجب أن يموتوا، يجب أن ينتهوا، يجب أن نستردّ وطننا منهم.
- المجنّدة: نعم، يجب أن نستردّ وطننا منهم.
- الضَّابِط: لقد سرقوه لآلاف السنين.
- موظف الإغاثة: لا وطن يُسرق لآلاف السنين!
- الضَّابِط (بتباكٍ، وهو يحرك رأسه إلى فوق وتحت كما يفعل الصّهاينة عند جدار البراق): هم فعلوا ذلك. إنّه وطننا الحبيب.
- موظف الإغاثة (باستهزاء واحتقار): أيّ وطن هو ذاك الذي تقصده؟
- الضَّابِط: إنّها أرض الميعاد.
- الرّجل العجوز (بغضب شديد): خسئتَ يا كذوب. أنتم سارقون. هذه أرضنا، لا أرضكم.
- الضَّابِط (بجُبْث): إن كانت أرضك، فلماذا تركها هارباً منها؟
- الرّجل العجوز: لم أهرب من وطني، أنتم من طردتموني وشعبي منه، كلما دفعتموني إلى البحر، عدتُ إلى وطني.

- المجنّدة: أيّ بحر تعني؟
- الرّجل العجوز: أطعمتموني للبحر مرّات عديدة.
- المجنّدة (بمقد): ليته التهمك منذ زمن طويل.
- الرّجل العجوز (بثقة وكبرياء): البحر لا يستطيع أن يتلعي.
- المجنّدة (بتحدّ): لكّته سيفعل ذلك الآن.
- الرّجل العجوز (ذاهلاً، ينظر إلى الأفق البعيد): كان عمري خمسة عشر عاماً عندما قذفتي الصّهانية إلى بحر غزّة جثّة تنزف حتى الموت، لكنّ البحر ضمّد جراحي، كان عمري عشرين عاماً عندما أطعمتني بيروت للبحر راحلاً بجراح الأهل والعروبة نحو تونس ليفتك الصّهانية باللاجئين الفلسطينيين العزل في مخيم (صبرا وشاتيلا)، كان عمري ثلاثين عاماً عندما جبت موانئ بيروت وتونس واليمن وقبرص ومالطا وموانئ الاغتراب جميعها أبحث عن وطن اسمه فلسطين.
- الضاباط (بمحق): إذن أنت فلسطيني؟
- الرّجل العجوز: ليس بالضرورة، قد أكون أردنياً أو عراقياً أو مصرياً أو مغربياً أو سورياً أو تونسياً أو هندياً أو باكسانياً أو ماليزياً حتى قد أكون كوبيّاً يحبّ فلسطين، ويبحث عنها في المنافي والمخيّمات والمعتقلات. كلّ من يحبّ فلسطين هو فلسطيني أصيل. أنا رجل يحبّ

العدالة والأرض حتى ولو كان دون عنوان. أنا الرجال أجمعون
والتساء كلهن في لحظة حقيقة وتضحية.

- المرأة الشابة (بإصرار): أريد ابنتي.

- الرجل الداهل: لم نكن نبغي البحر، هو من رجانا الحضور.

- المجنّدة (بعصبية): دعنا من جنونك وشعرك الآن.

- الضابط (بتحد): لماذا هربت إلى البحر، أيها الرجل العجوز؟

أتحشى الموت؟

- الرجل العجوز (باعتراز): الموت هو من يخافني، كنت أريد أن

أعيد رجاء.

- الضابط: من هي رجاء هذه؟

- الرجل العجوز: هي حفيدتي الوحيدة. كانت تعيش مع أبيها في

خيم (اليرموك) في ضواحي دمشق الياسمين والجمال والمحبة والأصالة،

بعد أن حاصر الموت والمجرمون المخيم، لقد قتلوا أمها، وهدموا بيتها،

والدها احتضنها، وهرب بها راكضاً نحو غابات (تركيا)، ومن ثم إلى

غابات (بلغاريا)، لقد ركض بها، وركض، وركض دون توقّف، حتى

أوصلها إلى الحياة، ولفظ آخر أنفاسه وحيداً في ثلوج الغابات في

(بلغاريا).

- المرأة الشابة (بأسى): هل نجت رجاء من الموت.
- الرجل العجوز (يغالب دموعه): رجاء لا تزال على قيد الحياة،
أمّا ابني، فقد مات متعباً متجمّداً في تلك الغابات البعيدة. لقد دفنه
الغرباء هناك في الثلج البارد القاسي على الغرباء.
- الضّابط (يصفق له مستهزئاً به): يا لها من قصة بطولة مؤثرة!
- الرجل العجوز (غير مبالي بسخريته): ليست قصة بطولة، هي
قصة أبوة.
- المجنّدة (تهمس في أذن الضّابط): لعلّك كنت من أولئك
الدّاعشين الذين هاجموا مخيم اليرموك إبان كنت الحاجّ عمران.
- الضّابط (بفخر): بالتأكيد. لا تفوتني فرصة للاستمتاع بالقتل
والفتك لاسيما بأولئك المهجّرين الفلسطينيين.
- المجنّدة: لعلّك كنت واحداً من الجنود الذين طردوا العجوز مرّة
تلو الأخرى نحو البحر.
- الضّابط: ربما.
- المجنّدة: لكنّك ستكون بالتأكيد من سيقتله الآن.
- الضّابط (بحماس): بكلّ تأكيد.

- الرَّجُلُ العَجُوزُ: لَنْ أَمُوتُ أَبَدًا قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى رَجَاءٍ،
وَأَعِيدُهَا إِلَى وَطَنِهَا؛ فَرَجَاءٌ فِي انْتِظَارِي، وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهَا مَهْمَا كَلَّفَنِي
الْأَمْرَ.

- المَرْأَةُ الشَّابَّةُ (بِإِصْرَارٍ): كَلَّنَا سَنَذْهَبُ مَعَكَ لِإِعَادَتِهَا إِلَى الْوَطَنِ.

- مَوْظَفُ الْإِغَاثَةِ (بِتَعَاظِفٍ وَحِمَاسٍ): يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ رَجَاءً.

- الضَّابِطُ (بِاسْتَهْزَاءٍ): رَوَيْدُكُمْ، لَا أَحَدٌ سَوْفَ يَسْتَرِدُّ رَجَاءَ هَذِهِ.

جَمِيعُكُمْ سَتَمُوتُونَ الْآنَ فِي وَسْطِ هَذَا الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْبَارِدِ.

- الْمَجْنُونَةُ (بِلُؤْمٍ): لَا تَقْلِقْ، أَيُّهَا الرَّجُلُ العَجُوزُ الْخَرَفُ، هُنَاكَ مِنْ

سَيَتَلَقَّفُ حَفِيدَتَكَ رَجَاءً، لَنْ تَعْدَمَ رَاغِبًا فِيهَا، قَدْ تَجَدَّهَا بَعْدَ سِنَوَاتٍ
عَامِلَةً بَارًا، أَوْ فَتَاةً تَعْرِ، أَوْ فَتَاةً لَيْلٍ، أَوْ عَضُو فِي عَصَابَةٍ مَا مِنْ عَصَابَاتٍ
أُورُوبَا. سَتَفْخَرُ بِهَا عِنْدئذٍ دُونَ شُكِّ.

- الرَّجُلُ العَجُوزُ (بِغَضَبٍ وَانْفِعَالٍ): أَخْرَسِي، أَيُّهَا الْمَجْرُمَةُ

الرَّخِيصَةُ. رَجَاءٌ لَنْ تَضِيْعَ كَمَا تَزْعَمِينَ، وَتَشْتَهِينَ، رَجَاءٌ سَتَعُودُ مَعِي
إِلَى الْوَطَنِ، سَأُرِييُهَا أَنَا، وَتَعَلَّمَهَا جَدَّتُهَا فَنُونَ الْحَيَاةِ وَالْحُبَّةِ وَالْخَيْرِ
وَالصَّلَاحِ وَحُبِّ الْوَطَنِ.

- الْمَجْنُونَةُ: هَذَا مَحْضُ حَلْمٍ وَأَوْهَامٍ. هُنَاكَ (رَجَاءَاتٍ) كَثْرٌ قَدْ

طَوَاهَنَّ الْقَهْرُ فِي دُرُوبِ اللَّجُوءِ وَالضِّيَاعِ وَالْمَعَانَاةِ. أَلَا تَدْرِكُ، يَا عَجُوزُ
الْتَّحْسِ، أَنْكُمْ جَمِيعًا قَدْ ضَعَعْتُمْ فِي دُرُوبِ الْأَرْضِ؟

- الرَّجُل العجوز: لا، نحن لم نضع في دروب الأرض، نحن نعرف
درب العودة، سوف نعود مهما طال الفراق.

- الضَّابِط: أنتَ واهم، أنتم لن تعودوا أبداً إلى أوطانكم، أنتم
ستكونون طعام البحر وسرّه الدّفين.

- الرَّجُل الدّاهل: بل نحن ترنيمّة العودة. بعد كلّ فراق ودرب
بعيد، سنعود إلى الوطن، جميعنا سنعود إليه.

- الرَّجُل العجوز: هدّي يا بحر هدّي،
طوّلنا في غيبتنا

ودّي سلامي للأرض اللّي ربّتنا

وسلّم لي على الزيتونة

على أهلي إلّي ربّوني

وبعدا أمّي الحنونة بتشمشم بمخدّتنا.

- المرأة الشّابة والرّجل الدّاهل (بصوت واحد):

هدّي يا بحر هدّي،

طوّلنا في غيبتنا

ودّي سلامي للأرض اللّي ربّتنا

وسلّم لي على الزيتونة

على أهلي إلهي ربّوني

وبعدا أمي الحنونة بتشمشم بمخدّتنا

- الضّابط: اخرسوا جميعاً. لا أحد منكم سوف يغادر البحر، أو يعود إلى وطنه في البعيد.

- الرّجل الدّاهل: جميعنا سوف نغادره، ونعود إلى أوطاننا، أمي تنتظر عودتي، هي تنتظرنني في قريتي الجميلة في ليبيا، سأعود إكراماً لها ولانتظارها، لا أستطيع أن أموت، وأتركها وحيدة محزونة في انتظارني، هي تتكلّم اللّغة العربيّة الفصيحة طوال الوقت، هي من حفدة عمر المختار، هي تعتزّ بذلك؛ ولذلك أسمتني عمر تيمناً بذلك المجاهد العظيم.

- المجنّدة (بفضول): إذن اسمك هو عمر.

- الرّجل الدّاهل: اسمي ليس عمر فقط، بل اسمي سالم، وزيد، وجبر، ورشراش.

- المجنّدة (باستهزاء): لك أسماء كثيرة!

- الرّجل الدّاهل: أحمل أسماء أصدقائي جميعاً الذين هربوا عبر البحر بحثاً عن وظيفة ولقمة هانئة في أوروبا.

- الضّابط (باحترار): إذن جميعهم متسلّون غير شرعيين؟

- الرَّجُلُ الذَّاهِلُ: بل جميعهم غرقى، لم يصل أحدهم إلى أكثر من سواحل جزيرة (لامبيدوسا) قبالة الشواطئ الإيطالية، جميعهم غرقوا في زوارق التسلل، ولم يصلوا إلى أحلامهم المرتجاة.

- الضَّابِطُ (بشماتة): ها قد لحقتَ بهم كي تموت مثلهم؟

- الرَّجُلُ الذَّاهِلُ (برفض): أنا لن أموت في هذا البحر، لا أستطيع أن أموت، أمي في انتظاري، يجب أن أعود إليها، أقسمت لها على القرآن الكريم أن أعود في أقرب وقت، وأنا لا أحنث بقسمي أبداً.

- الضَّابِطُ (بنشوى لئيمة): هذه المرّة سوف تحنث بقسمك مكرهاً، وسوف لن تعود إليها.

- الرَّجُلُ الذَّاهِلُ: بل سأعود إليها. أمي ستنتظرنى في كلّ صباح في باحة منزلنا تحت شجرة النخيل كما اتفقنا، وأنا سأعود إليها في القريب العاجل أحمل لها بعض المال الحلال لتشتري به أرضاً لنزرعها، ونعيش من طرحها وجناها.

- المرأة الشّابة: ستعود إليها، وستعود إلى زوجتك وأبنائك.

- الرَّجُلُ الذَّاهِلُ (بأسى): لا زوجة لي أو أبناء.

- المجنّدة (بفرح): هذا أفضل. أنتَ لي.

- الضَّابِطُ: بل هو للبحر.
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: لستُ للبحر أو للموت، أنا لأمي وللغة العربية التي أعشقها.
- المَجْنُونَةُ (باستهتار): وللشعر الذي تكتبه.
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: لستُ شاعراً، ولكنني أحفظ جلّ ما قالت العرب من شعر. أنا حافظ كبير للشعر العربيّ، وأحفظ القرآن كذلك. أمي من حفّظته لي.
- المَجْنُونَةُ (بتقرّز): أتعيش لأجل اللّغة العربيّة فقط؟
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: هي من تهبني حباً متدفّقاً للحياة؛ بها أفكر، بها أعشق، بها أحلم، بها أحيا، ولها أموت.
- الضَّابِطُ: قريباً ستموت بها أو دونها.
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: إن كان لا بدّ من أموت، فكفنونني بها.
- الضَّابِطُ (باستهزاء): فليكنّك البحر بما يشاء.
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: رداء العربيّة أجمل كفن كما هو أجمل رداء للحياة.
- المَجْنُونَةُ: تبا لك. من أين لك بهذا الحبّ للعربيّة؟ خلتُ أنّنا قتلناها في صدوركم منذ زمن طويل!

- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: هي لن تموت مهما اجتهدتم لقتلها.
- الضَّابِطُ (بتعالٍ): يا لك من متبجِّحٍ! أنتَ في أيدينا، وتعالى علينا؟
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: ذلك لأنني أرتدي العريِّية.
- الضَّابِطُ: لن تحميكَ العريِّية من أسنان الأسماك.
- المَجْتَدُّ (مداعبة لوجه الرَّجُلِ الدَّاهِلِ): يا وسيمي الجميل، لماذا لا تقل بي بعض أشعار الغزل؟
- الرَّجُلُ الدَّاهِلُ: هل انتهت معركة ذات الصَّواري؟
- الضَّابِطُ (ضاحكاً بشماتة): ها قد عاد إلى جنونه.
- الرَّجُلُ العجوز: هو ليس مجنوناً.
- موظَّفُ الإغاثة: عليكم أن تسلموننا إلى خفر السَّواحل، جميعنا في حاجة إلى رعاية صحيَّة، وهذا الرَّجُل (يشير إلى الرَّجُلِ الدَّاهِلِ) في حاجة إلى عناية صحيَّة ونفسيَّة كذلك.
- الضَّابِطُ (بسخرية، وهو يؤدِّي تحية عسكريَّة لموظَّفِ الإغاثة): أمركَ سيدي، الآن أفعل ما تشاء. هل عندكَ أوامر أخرى؟
- موظَّفُ الإغاثة (بجدية شديدة): قدِّم الماء لهم جميعاً، هم عطشى.

- الضَّابِط (بسخرية أكبر): حاضر، سيدي، بماذا تأمر أيضاً؟
- موظف الإغاثة: فكّ وثاقنا.
- الضَّابِط (باستهزاء): افعل ذلك بنفسك عندما ألقى بكم في البحر.
- موظف الإغاثة: لماذا ستقتلنا؟
- الضَّابِط (بصلف): لأنكم لا تروقون لي.
- المجنّدة: أنتَ بالتحديد لا تروق له؛ فقد كان يرجو أن يصطاد امرأة جميلة يطفئ بها جسده المحموم بالمشروب والشّبِق، فاصطادك رجاله الليلة الماضية، وخبّيوا ظنّه؛ ولذلك هو غاضب منك.
- الضَّابِط (ببرود أعصاب): ولذلك سأقتلك.
- المجنّدة: هو في الغالب يبيع من يصطادهم من لاجئين لمن يدفع أكثر فيهم، يبيعهم في الغالب لتجار الأعضاء والرقيق الأبيض وتجنيد المرتزقة، ولكن يبدو أنك قد أفسدت مزاجه إلى حدّ قتلك وقتلهم جميعاً مجاناً دون الحصول على أيّ دولار مقابل رؤوسكم البخسة.
- موظف الإغاثة: لكنكم جنود في جيوش حزب (التاتو)، وتنحصر مهامكم في القبض على اللاجئيين الهاربين، وإعادتهم إلى أوطانهم.

- المجتدة (بفخر): لك أن تقول إننا نهب أنفسنا المزيد من المهام والمسؤوليات والصلاحيات غير المشروعة.

- موظف الإغاثة (مشيراً إلى المقيدين): وما ذنبهم هم حتى تقتلهم؟

- الضابط: ذنبهم أنهم من تلك الأوطان التي نذبحها على مهل. يجب أن يموتوا بموتها، أو تموت هي بموتهم، صبرنا عليهم أكثر مما يجب، وعليهم أن يموتوا الآن بأي شكل وبأي ثمن.

- المجتدة: هم يحبون الموت، ويرونه فضيلة.

- الرجل الداهل: نحن انتصرنا في معركة ذات الصّواري. انتصرنا، وانتصر بحرنا على بحركم.

- المجتدة (بغنج مصطنع): حتى هذا الرجل الوسيم يجب أن يموت؛ لأنه منهم.

- الضابط (وهو يصرّ على أسنانه من شدة الغيظ والحقد): عليهم أن يموتوا جميعاً بالبحر، بالحرب، بالفرقة، بالعنصرية، بالحروب الطائفية بالتّورات، بالحصار الاقتصادي، بالجوع، بالمرض، بالجهل، بأيّ طريقة كانت عليهم أن يموتوا.

- المجتدة: نحن نساعدهم على الموت بالطرق جميعها، نعطيهم ألف سكين وسكين؛ لينحر أحدهم الآخر بها.

- الضابط: هم حمقى إلى الحدّ الذي يدفع أحدهم إلى قتل الآخر دون سبب سوى التناحر، ولا شيء غير التناحر.
- الرّجل الدّاهل: أين البحر؟
- المجنّدة (بغنج): إته أمامك، يا حبيبي؟
- الرّجل الدّاهل: أريد أن أذهب إلى البحر.
- الضابط (موجّهاً كلامه إلى موظّف الإغاثة): أسمعت؟ هو من يريد الموت، جميعهم يريدون الموت، ونحن نريد أعمارهم وحيواتهم وسنواتهم وأوطانهم.
- المرأة الشّابة: وطني كان في أرض الياسمين.
- المجنّدة (بشماتة): ها قد أصابها الجنون كذلك.
- المرأة الشّابة: كنتُ أعيش في دمشق، لا كنتُ أعيش في حيفا، لا، أنا من مدينة عدن، ربما أنا حقيقة من بغداد، أو لعلّي من حوريات الإسكندريّة، ربما أنا من بقايا الفنيق في صيدا وقرطاج، أو لعلّي من أميرات الطّوارق، ومن جميلات الأطلس، لستُ متأكّدة من أين أنا، لكنني من وطن الياسمين الممتدّ من الماء إلى الماء، كنتُ الأسعد، الأجل، الأكثر سعادة بزواجي وأولادي.
- المجنّدة (بغیظ): هل عندك أولاد غير هذه الطّفلة الميتة كسمكة متجمّدة؟

- المرأة الشابة: عندي ثلاثة أولاد ذكور، لم تمهلي الحرب لألد لهم أختاً تزين وجودهم.

- المجنّدة (بدهشة): إن لم تلدي بنتاً، فمن تكون هذه السمكة الصغيرة المتجمّدة الملقاة على أرض السفينة؟

- المرأة الشابة: هي ابنة امرأة سورية كانت معنا في الزورق، لقد غرقت في بداية الرحلة عندما هاجمتنا ريح عاتية، لم تقل لي إلا أنّ اسمها نور، أقسمت عليّ منذ التقينا في أوّل الرحلة أن أرى ابنتها إن حدث لها أيّ مكروه، بعد ذلك دسّنا رجال التهريب في ذلك الزورق، لقد كانت تشعر بأنّها ستغادر ابنتها سريعاً. لقد وعدتها بأن أرى ابنتها، لكنكم قتلتموها جوعاً وبرداً.

- الضابط (موجّهاً كلامه إلى موظّف الإغاثة): أرايت؟ هي سارقة أطفال كذلك. أليست تستحقّ الموت عقاباً على جرائمها؟

- المرأة الشابة: لست سارقة، لقد تركتها أمّها الغريقة أمانة في عهدي، لقد كنت أرهاها كما يجب أن تكون الرّعاية.

- المجنّدة: كان أولى بك أن ترعي أبناءك الثلاثة.

- المرأة الشابة (وقد بدأت تنتحب): لقد قُتلوا ثلاثتهم، قُتلوا بأشكال وحشيّة مختلفة، لقد قُتلوا دون رحمة، ذهبوا، وتركوني وأبيهم بقلبين محترقين. بعدها طردتنا العصابات من بيوتنا، لقد طاردونا حتى

البحر، لم يكن أماماً مهرباً وملجأً سواه، تركنا كلَّ شيء وراءنا، وركبنا البحر الذي غدر بنا كذلك.

-المجندة (تتصنع الحزن): مسكينة، أبناؤك قتلوا، وزوجك غرق في البحر، وهذه السمكة المتجمدة قد غادرتك أيضاً.

- الرَّجُل العجوز (بجزع وحرقة): أنتم قتلتم كذلك ذلك الشاب الذي ألقيتم به في البحر، لقد كان لا يزال حياً.

- الضَّابط (دون مبالاة): لا عليك، النتيجة واحدة، وهي الموت لكم جميعاً.

- الرَّجُل الدَّاهِل: ذات الصَّواري قادمة من جديد.

- موظف الإغاثة (موجهاً كلامه إلى الضَّابط): لن تنجو أبداً بفعلتك هذه؟

- الضَّابط (مقهقهاً): دائماً سننجو بأفعالنا الشريرة. هذا هو عالمنا وزماننا.

- موظف الإغاثة (باحترار): آن لزمانكم أن يولي.

- الضَّابط (باستهتار): دعني أفكر قليلاً في الزَّمان المولِّي هذا.

- موظف الإغاثة: لا تزال أمامكم فرصة للتراجع، أدخلوا سبيلنا.

- الضّابط (بسخرية): فرصة للتراجع؟ يا للهول! افرحوا، أيّها الجنود. أمامنا فرصة للتراجع.

- المجنّد ١: مرحى للفرصة الجديدة.

- المجنّد ١: كم أعشق الفرص الجديدة!

- المجنّدة (ساخرة): هل يمكن أن أحصل على مليون دولار وإقامة سياحية في منتجع في جزيرة بكر في الكاريبي؟

- موظف الإغاثة: يمكن أن تحصلي على ما هو أفضل من ذلك.

- المجنّدة (وهي ترتشف رشفة من المشروب من زجاجة الضّابط): وما هو ذاك؟

- موظف الإغاثة: المحبة للبشرية جمعاء.

- المجنّدة (ساخرة): يا لهذه المحبة الكنزا!

- الضّابط: أنا أكره المحبة.

- المجنّدة: وأنا أمقتها كذلك.

- موظف الإغاثة: عليكم أن تقبلوا بعرضي، إنه عرض ثمين لا يتكرّر.

- الضّابط (غاضباً): ما علاقتك أنت بهم؟ هم مجرد لاجئون عرب. دعهم يموتون، لماذا تنقذهم؟ أصلهم غير أصلك، لونهم غير

لونك، لغتهم غير لغتك، دينهم غير دينك، ثقافتهم غير ثقافتك، أرضهم غير أرضك، أحزانهم غير حزنك. فما شأنك بهم؟ لماذا تقف بيننا وبينهم؟ لماذا تعرّض نفسك للموت لأجلهم؟ دعهم يهيمون في البحر، ثم يموتون.

- موظف الإغاثة: لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع التخلي عنهم، هم أخوتي في الإنسانية، قضيتهم قضيتي، سأدافع عنهم حتى آخر رمق في حياتي.

- الضابط (بصرامة): إذن ستموت معهم.

- المجنّدة (بتودّد لموظف الإغاثة): أيّها الأشقر المثير، دعهم يموتون في البحر.

- موظف الإغاثة: إن غرقوا جميعاً في البحر، سيغدون لعنة تغرقنا جميعاً، وتصيب البشر أجمعين في إزاء صمتهم تجاه هذه الكارثة الإنسانية الرهيبة.

- المجنّدة (بدلال): هل تؤمن باللّعنات، أيّها الأشقر الوسيم؟

- موظف الإغاثة (بثقة ذات مغزى): أو من فقط بلعنة البحر.

- الرّجل الدّاهل: دعوني أعود إلى البحر.

- الرّجل العجوز: أنا لا أخشى البحر؛ إنّه ابتلع صديقي صادق، إنّه الصّياد اليمينيّ الأمهر في الصّيّد البحريّ، والأشدّ عروبة ووطنية

وإنسانيّة، كان يدعم القضية الفلسطينية بكلّ ما يملك، قالوا إنّهُ إرهابيّ، وقصفوا زورقه الصّغير، ففتتوا جسده وأسماكه الصّيد، هو تبخّر في البحر الذي يهواه، أمواج البحر تترنّم باسمه، إنّهُ هناك في ثنايا البحر وأسارره، عندما أتلاشى سوف ألتحم به، هو الأنقى روحاً.

- الضّابط: إذن تريد أن تموت؟

- الرّجل العجوز: لن أموت قبل أن أعود برجاء.

- الرّجل الدّاهل: وأنا سأعود إلى أميّ.

- المرأة الشّابة: اعيدوا طفلي الرّضيعة إليّ.

- المجنّدة (بلوّم): هي ليست ابتك، يا سارقة الأطفال.

- المرأة الشّابة: لستُ سارقة أطفال، أنا أمّها بالتّبنيّ.

- المجنّدة: أمّها تلك السّوريّة المجهولة التي غرقت في البحر.

- المرأة الشّابة (مشوشة): لعلّ أمّها كانت عراقية لا سوريّة. لم

أعد أذكر التفاصيل بالضّبط. لكنني أمّها الثّانية بعد موت أمّها الأولى.

- المجنّدة (بضجر): المهمّ أنّها ليست ابتك.

- المرأة الشّابة: أنا أمّها. أريد ابنتي.

- المجنّدة: أنتِ سارقة أطفال.

- المرأة الشّابة: أريد ابنتي.

- موظف الإغاثة: اعيدوا ابنتها إليها حتى لو كانت جثة لا حياة فيها.

- الضابط (بصبر فارغ): متى ستتوقف عن إلقاء الأوامر عليّ، أيها السيد الأسير؟

- موظف الإغاثة: لن أتوقف عن ذلك أبداً، لقد وعدتُ أخي بأن أحمل اللواء من بعده.

- الضابط (بفضول وقرع): أيّ لواء هذا؟

- رجل الإغاثة: لواء إغاثة كلّ منكوب.

- الضابط: هل حملك أخوك اللواء، وتفرد هو للمتعة؟

- رجل الإغاثة: أخي الآن في الجنة، لقد ترك الحياة وهو يقوم بواجبه تجاه المنكوبين، لقد كان رجل إطفاء، مات احتراقاً وهو ينقذ المحاصرين في النيران. كانت وصيته لي أن أحمل لواءه، وأنا الآن أحمل لواءه المقدس.

- المجنّد: يبدو أنّ لعنة النيران قد دفعتك إلى دوامة البحار.

- رجل الإغاثة (بصرامة): للمرة الأخيرة أقول لك: اطلق سراحنا جميعاً.

- الضَّابُط: هذا لن يكون، دعونا نبدأ حفل الإعدامات، هو
الفقرة المفضّلة عندي في هذه الإقامة الجبريّة في هذا البحر اللّعين.
- المجنّدة: دعني أقتل أحد الوسيمين، أحبّ أن أبدأ بذلك الوسيم
صاحب الأشعار البرّاقة.
- الرّجل الدّاهل: كم أحبّ البحر!
- الضَّابُط: لك ما تشائين، يا قطي المتوحّشة.
- رجل الإغاثة: إياكم أن تقتربوا منهم.
- الرّجل العجوز: لا عليك، يا بني، كلّ نفس ذائقة الموت.
- الرّجل الدّاهل: أنا لن أموت. يجب أن أعود إلى أمي. هي
تنتظرنني.
- الرّجل العجوز: أنا عطشان.
- المرأة الشّابة: أريد ابنتي.
- المجنّدة (تمسك بجثة الطّفلة، وتلقي بها في حوض المرأة الشّابة):
خذي هذه السمكة المتجمّدة المتعفّنة.
- المرأة الشّابة (وقد احتضنت جثة الطّفلة، وانهارت عليها
تقبيلاً): ابنتي الصّغيرة الجميلة، أولادي، زوجي سالم، بيتي، أهلي،
وطني، أحبّكم جميعاً.

- الرَّجُل العجوز: أنا عطشان.
- الضَّابِط (وهو يسكب بعض المشروب أمامه على أرض السفينة): هل تريد رشفة من هذا الشَّراب السَّحريِّ الممتع؟ إنَّه يجعل الموت رقيقاً ليناً.
- الرَّجُل العجوز: أريد ماء؟ أنا عطشان.
- الضَّابِط: ما رأيكم أن تموتوا الآن؟ البحر ينتظركم.
- المجنَّدة: هيّا إلى الموت.
- الرَّجُل الدَّاهل: أمي تنتظرنني.
- الرَّجُل العجوز (وقد انتصب على رجليه بصعوبة):
الله أكبر . . . الله أكبر
حيّ على الصَّلَاة
حيّ على الفلاح
- الضَّابِط (بصرامة، وهو يتحرك مضطرباً بقدمه العرجاء): حان وقت الموت.
- موظَّف الإغاثة: إيَّاكَ أن تفعل ذلك.
- الضَّابِط (بصرامة): سأفعله بكلِّ تأكيد.
- الرَّجُل العجوز: الله أكبر . . . الله أكبر

- حيّ على الصّلاة
حيّ على الفلاح
- الضّابط (أمراً المجنّدين): استعداد.
- المجنّدان (وقد صوبا سلاحهما صوب المقيدين): حاضر،
سيدي.
- الرّجل العجوز: الله أكبر . . . الله أكبر
حيّ على الصّلاة
حيّ على الفلاح
- الضّابط: استعداد.
- إطلاق عند الرقم ٣
- واحد.
- اثنان.
- . . .
- المجنّدة (بعجلة): توقّف رجاء، أريد أن آخذ معهم صورة
(سيلفي) أخيرة قبل إعدامهم .
- الضّابط (بضجر وضيق): لقد التقطتِ صورة معهم قبل وقت
ليس بالبعيد.

- المجتدة: هي صورة ليست لي، بل للبحر؛ فالبحر يجبّ صور
(السيلفي) كذلك.

- الضّابط (دون مبالاة برغبتها): استعداد. . .

(إعتماد خشبة المسرح)

- واحد.

- اثنان.

- ثلاث

- إطلاق. . .

(يعلو صوت الرّصاص، وصوت الأذان، ثم يسود الصّمت)

(صوت مرتفع يقول مخاطباً الجمهور: ابسموا جميعاً؛ سنأخذ

لكم صورة (سيلفي)؛ فالبحر يجبّ هذا النوع من الصّور)

ويسود الظلام والصّمت من جديد

انتهت المسرحية

(المسرحية الثالثة)
وجه واحد لاثنين ماطرين
(مسرحية من خمسة مشاهد)

لو كان حبِّي مطراً
أغرقتُ هذا الكونَ بالأمطار.

نزار قبّاني

شخصيات المسرحية

- هي: تلبس ثوباً طويلاً مقسوماً بشكلٍ طوليٍّ من أوله حتى نهايته، أحد شقيه لونه أبيض، والشق الآخر لونه أسود، وأحد كمييه طويل يكسو الذراع كاملة، أما الذراع الأخرى، فعارية لا يكسوها كم. شعرها منسرح مسدل مبعثر لا يظهر عليه أثر تسريح من زمن قريب، وتضع على وجهها قناعاً أبيضاً، يخفي كل ملامح وجهها، وتظهر منه عين واحدة بصعوبة، أما الأخرى فمطموسة بالقناع.

- هو: يرتدي بنظالاً وقميصاً مقسوماً كلاً منهما بشكلٍ طوليٍّ ما بين اللون الأسود في نصف، والأبيض في نصف آخر، ويضع على وجهه قناعاً أبيضاً، يخفي ملامح وجهه بشكلٍ كامل، وتظهر منه عين واحدة بصعوبة، أما الأخرى فمطموسة بالقناع.

المشهد الأول

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

خشبة المسرح فارغة من أي شيء خلا قطعة قماش متنوعة الألوان، مفروشة على الأرض في منتصف الخشبة بعبيثة دون ترتيب، وعليها صندوق خشبي قديم، وفي القرب منها طاولة صغيرة جرداء، لا غطاء عليها، أو زهرية فوقها، وإلى يسار الطاولة كرسي خشبي هزاز.

الخشبة خافتة الإضاءة حدّ الإظلام، وبقعة ضوئية خليط بين الأحمر والأزرق مسلّطة على قطعة القماش هي كلُّ ما في الخشبة من إضاءة.

موسيقى قلقة ترتفع وتخبو دون انتظام، وصوت رعد، ووهج برق يملأ فضاء المسرح كاملاً.

هما (هي وهو) متعانقان وقوفاً على قطعة القماش، ومتحاضنان حدّ الالتصاق دون أيّ حركة، وكأتهما تماثلان.

صمت

ثم ظلام

بقعة ضوء تتسلط على الجسدين (هو وهي). يتعد الجسدان عن بعضهما بحركات ميكانيكية رتيبة مرتعدة من صوت البرق، ووهج الرعد.

- هي (بضجر): اللعنة لقد تكسرت عظامي من هذا الاحتضان المنهك، تبأ لك، فأنت السبب في معاناتي كلها.

- هو (بضجر أكبر، وتأفف): أليس عنادك هو السبب في هذه المعاناة كلها؟

- هي (بدهشة ورفض): أنا السبب؟ ها قد عدنا من جديد إلى جنونك، هيا قل إن مأسيتك كلها بسببي، وقل كذلك إنك لا تفتأ تحتمل نزواتي جميعها، وقل...

- هو (مقاطعاً بعصبية): واحتمل كذلك عصبيتك المفرطة، وحساسيتك المرضية، ووحامك الطويل، وكآبة نفاسك وشره فترة إرضاعك، كما احتمل عصبية زيادة وزنك، ووزر تراجع إشراق بشرتك، واحتمل أيضاً أخطائك الطائشة جميعها، وأزماتك العائلية، ومشاحناتك مع الجيران والزملاء في العمل. من دون شك علي أن احتمل -دون مناص- عبء مللك الوجودي، وضيقك الأزلي من تغير الطقس، ومن ثم أموت كمدأ يا امرأة هي عقابي على خطيئتي السماوية.

- هي (بسخرية): أيّ خطيئة تعني؟
- هو (دون لامبالاة): بالتأكيد خطيئة حيّ لك.
- هي (بتشفٍ): لماذا لا تقول خطيئة طمعك وجحودك؟ أردتَ أن تشارك الخالق في علاه بالخلود. فانظر إلى أين وصلنا؟ هذا كلّه بسبب مرضك القاهر الذي اسمه الخلود والقوة والنفوذ. ألم أقل لك إنّك سبب معاناتي كلّها؟
- هو (بقرف): وانظري إلى أين وصلنا. نحن الآن في الأرض اللعينة. نحن هنا بسبب ...
- هي (مقاطعة): بسبب طمعك.
- هو (متلعثمًا): بل بسبب جسدك الجميل!
- هي (بدهشة): بسبب جسدي الجميل؟ و ما علاقة جسدي بما نحن فيه الآن؟
- هو (بتخبّط): لولا جسدك الجميل لما كُتّا الآن عارين في ليلة ماطرة دون وجهين.
- هي (تتفقد جسدًا بحركة سريعة من يديها): لكننا لسنا عارين!
- هو (مرتباكًا): إذن لولا جسدك الجميل لما كُتّا عارين في ليلة ماطرة دون وجهين.

- هي (بتفكر تتلوه نبرة سخرية): تبدو أكثر جنوناً بلا وجه في ليلة غير ماطرة.
- هو (بعناد): بل هي ليلة ماطرة.
- هي (بإصرار): هي ليلة غير ماطرة.
- هو (باستسلام): قد لا تكوني ماطرة، ولكنني ماطر بشدة.
- هي (بنبرة منكسرة): وأنا ماطر كذلك، ماطرة حدّ الغرق، ماطرة حدّ الفيضان، أنا شأيب لعنة من عند ربّة عانس وحيدة.
- هو (باحتياج): أحتاج إليك.
- هي (بنفور): الماطرون يحتاجون فقط إلى معاطف واقية من مطرهم الداخلي.
- هو (باحتياج أكبر): أحتاجُ إليك.
- هي: الماطرون في حاجة إلى وجوه يهبونها للمطر.
- هو: لكننا دون وجهين.
- هي (تضحك بهستيرية): لذلك نشعر بالبرد؛ لا يجوز أن نكون ماطرين دون وجهين، فالوجوه هي من تغمرنا بالدفء.
- هو: مرّة كان عندي وجه لعقود طويلة، بل لقرون ممتدة بلا نهاية، عندها كنتُ أشعر بدفء غامر.

- هي (باستهزاء): لكن لا بدّ أن تخلع هذا الوجه من وقت لآخر بغية غسله وتجفيفه تحت الشّمس كي لا يصيبه عطب الحقيقة.

- هو (بجماس): هذا ما كنتُ أفعله دائماً، إلى أن فقدتُ وجهي في حادثٍ ماعدتُ أذكر تفاصيله، ومن يومها أصبحتُ ماطراً دون توقّف.

- هي (دون مبالاة): أمّا أنا فقد أصبحتُ ماطرة بقرار القبيلة؛ قالوا عندها إنّ وجوه النساء أكثر فتنة من أجسادهنّ؛ لأنّها تقول الحقيقة حيث يجب أن تقتلها. ممتع أن أكون ماطرة، لكنني أشعر ببرد دائم يذكّرني بضرورة أن أملك وجهاً ولو لليلة قبل أن أموت.

- هو (بقلق): البارحة نموت، علينا أن نملك وجهين كي نشعر بالدّفء في هذه اللّيلة الباردة.

- هي (تضحك بغلّ): كم مرّة قلت لك إنّنا لا نملك غير هذين القناعين البلاستيكيين اللّذين نلبسهما طوال الوقت؟ لقد أضعنا وجهينا منذ زمن طويل.

- هو (باحتراس): أنا لم أضعه، لكنّه مات في حادثٍ أليم، أنت من أضاعت وجهها.

- هي (بهلع): أنا لم أضع وجهي؛ بل القبيلة من صادرته!

- هو (مكذباً): عن أيّ قبيلة تتكلمين؟

- هي (بخوف): أتحدّث عن قبيلة المطر.
- هو (باستغراب): هل هناك قبيلة للمطر؟
- هي (بثقة): ليس هناك قبيلة إلاّ للمطر.
- هو (وقد اقترب من الصندوق الخشبيّ، ويكاد يفتحه): هل تعرفين أين تحبّأ قبيلة المطر وجوه النّساء الماطرات والرّجال النّاجين من حوادث أليمة؟
- هي (بفضول، وقد تعلّقتُ بيديه): أين؟
- هو (بهمس): هنا في هذا الصّندوق.
- هي (بجماس): إذن لنفتح الصّندوق، ونستردّ وجوهنا؛ لقد طال اشتياقي لوجهي، أشعر ببرد عظيم، أحتاج إلى وجهي.
- هو (بضحك تعلوه شهقات منفعة): سنكون أوّل ماطرين يستردّان وجهيهما!
- هي (تصفّق، وتقفز في مكانها): مرحى لك، مرحى لي، أخيراً سنصبح ماطرين بوجهين بدل هذين القناعين القبيحين اللّذين نعيش بهما منذ زمن طويل بقوة الجبر والقسر.
- هو (يعالج فتح الصّندوق): إذن استعدّي لاسترداد وجهك.

(يفتح (هو) الصندوق، يشهق، ثم يصمت، هي تقرب من
الصندوق، وتشهق)

- هي (بصدمةٍ شديدةٍ): مستحيل! يبدو أننا لسنا أول ماطرين
يستردان وجهيهما!

- هو (مشدوهاً): كلانا سيكون آخر ماطر يسترّد وجهه. انظري،
ليس في الصندوق إلاّ وجهاً واحداً.

- هي (بفضول): أهو وجه امرأة أم وجه رجل؟

- هو (يقبّل الوجوه بين يديه): لن تصدّقي ما نوع ملامح هذا
القناع.

- هي (بخوف): ما نوعها؟

- هو (بسخرية): هذا قناع بلامح خنثى، لاهي ملامح رجل،
ولا هي ملامح أنثى، يصلح أن يكون وجهاً لرجل أو لامرأة!

- هي (برعب): أتقصد أن تقول إنه وجه واحد يصلح لاثنين
ماطرين في ليلة باردة؟

- هو (بأسى): نعم، هذا ما أقصد أن أقوله، هذا وجه واحد
يصلح لاثنين ماطرين في ليلة باردة.

- هي (وقد تكوّمت أرضاً منهارة): أتقصد أنّ على أحدنا أن يختار التنازل عن هذا الوجه للآخر؟
- هو (بهدوء): أو عليه أن يختار أن يستأثر بالوجه دون الآخر!
- هي (بجزن): لكن ما جدوى أن يكون أحدنا بوجه والآخر بقناع؟
- هو (بنبرة يائسة): لعلّ هذه هي حكمة المطر؛ أن يكون أحدنا بوجه، والآخر بقناع.
- هي (بجد): بل هي حكمة القبيلة التي تنزع الوجوه دون رحمها، وتهبها لمن تشاء، وتحرمها على من تشاء.
- هو (كأنه يحدث نفسه): هل عليّ أن أوثرك على نفسي بهذا الوجه؟
- هي (كأنها تحدث نفسها): هل عليّ أن أوثرك على نفسي بهذا الوجه؟
- هو (بانفعال): هل ستفعلين ذلك من أجلي؟
- هي (بقلق): بل هل ستفعل ذلك من أجلي؟
- هو (بجزم): لا يمكن لرجل ماطر أن يتنازل عن وجهه في ليلة مطارة.

- هي (بعد صمتٍ قصير): الحلّ إذن أن نتناوب على هذا الوجه، مرّة تلبسه أنت، وتخلع القناع، ومرّة ألبسه أنا، وأخلع القناع.
- هو (فرحاً بهذا الاقتراح): فكرة عظيمة. لكن من له حق ارتداء الوجه أولاً؟
- هي (بثقة): طبعاً أنا من يحقّ لي أن ألبسه أولاً.
- هو (بانزعاج): لكنني أنا من وجدته، وأنا الأقوى، وأنا الرّجل، ولذلك لي أن أرتديه أولاً.
- هي (بدلال أنثوي لتيم): لأتّك الرّجل، ولأتّك الأقوى، ولأتّك أول من وجدته عليك أن تسمح لي بأن أرتديه أولاً؛ فأنا المرأة الجميلة المدلّلة التي تشتهيها في هذه اللّيلة الباردة.
- هو (بقلق): ماذا لو أنّك رفضت أن تخلعيه؟ وهربت به بعيداً، هل أبقى حينها للأبد دون وجه؟
- هي (محاولة إقناعه): إلى أين يمكن أن أهرب بهذا الوجه البائس؟ هل تريد أن أصبح أضحوكة الجميع؟ كلّ ما في الأمر أنّي أشعر بالبرد الشّديد، سأرتديه قليلاً حتى أشعر بالدّفء، ثم أخلعه لتلبسينه.
- هو: ماذا لو أنّك لم تشعري بالدّفء عند ارتدائه؟

- هي (دون مبالاة): عندها سأعيده إليك إلى الأبد دون أن أفكر بارتدائه من جديد، وحينئذ يصبح ملكك وحدك.
- هو (بطمع): هل هذا وعد منك؟
- هي (بثقة): هذا وعد امرأة ماطرة؛ والمرأة الماطرة لا تكذب أبداً.
- هو (بتردد): سأصدقك هذه المرة إكراماً لجسدك الجميل.
- هي (بفرح ولهفة): هاته إذن.

ظلام

وصوت رعد ووهج برق

المشهد الثاني

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

- المشهد نفسه، إضاءة خافتة قليلاً.
- (هو) يجلس مخذولاً على الأرض، وحزمة نور مسلطة عليه،
و(هي) تجلس مخذولة فوق الطاولة، ورأسها بين كفيها.
- صوت رعد ووهج برق.
- هي (تلبس الوجه فوق قناعها، الوجه يحتوي على التفاصيل
كلها: فم، وأنف، وعينين): إذن هذا هو الوجه!
- هو (بقناع دون وجه. يسأل بفضول): هل تشعرين بدفء؟
- هي (بجنيبة أمل): وجهي يشعر بالدفء، أما جسدي فلا يزال
ماطراً، يسكنه البرد القارس.
- هو: إذن أنتِ تشعرين بالدفء؟
- هي (بانكار): لا، أبداً.
- هو: إذن أنتِ تشعرين بالبرد؟
- هي (ببرود): لا، أبداً.
- هو: إذن بماذا تشعرين؟

- هي: أشعر بالابتلال، ولا شيء غير الابتلال.
- هو (بتعجب): مبتلة بماذا؟
- هي: به.
- هو (بفضول): من هو؟
- هي (بشروء): كنتُ أعشقه، معه عرفتُ كيف تكون المرأة ماطرة. كان وسيماً بمعايير المطر.
- هو: كيف يكون الرجل وسيماً بمعايير المطر؟
- هي (بانتهاء): يكون وسيماً بمعايير المطر عندما يملك بحيرتين في عينيه، وتكون لمساته مائيّة، ولعابه بطعم الزبد، ولمسته تحمل عواصف وأمطار وبرد.
- هو: كنتُ تحببته؟
- هي (بابتسامة عميقة، وهي تحدّق في البعيد): هو من كان يحبّني، أمّا أنا، فكنتُ أعشقه. أتعرف ماذا يعني أن تعشق امرأة رجلاً قابلته لدقائق فقط في عمرها؟
- هو (دون مبالاة): يعني أنّها مجنونة.
- هي (دون اهتمام بما قاله): بل يعني أنّه قد أصبح هاجسها وحلمها، يعني أنّ تفاصيله كلّها مصنوعة من خيالها، يعني أنّه قال لها في

الأحلام كلّ ما انتظرته من كلمات في اليقظة، يعني أنّه جعلها تطر
عندما لمسها، يعني أنّه أنجب منها جيشاً من الأمراء والأميرات عندما
عراها، يعني أنّه خلقها من جديد على مهل عندما قبلها، يعني . . .

- هو (مقاطعاً): هل قبّلك؟

- هي: أنا من قبّلته طويلاً طويلاً طويلاً.

- هو: وماذا فعل هو؟

- هي (بفرح): هو ضاجعني، وذاق أوّل تنهداتي، كان صاحب
عذريتي، وباكتشافي دخل سفر الفاتحين، وأصبح من الخالدين.

- هو (باهتمام): ماذا حدث بعد ذلك؟

- هي (صمت):

- هو (بصوت أعلى): قل لي، ماذا حدث بعد ذلك؟

- هي (بشروء): كتبتُ له قصّة؛ فالرجال يحبون أن تكتب النساء
قصصاً عن بطولات فحولتهم.

- هو: أقصد ماذا فعل هو؟

- هي (بذهول): آه ماذا فعل هو؟ لقد تزوّج.

- هو: تزوّجك؟

- هي (ضاحكة بهستيريّة): بل تزوّج من امرأة أخرى غير ماطرة.

- هو (بتعجب): لماذا لم يتزوجك؟
- هي (بسخرية): كان عنده سبب وجيه لأن يتزوج غيري، قال (تقلد نبرة صوته) إنه يريد أن يتزوج امرأة بكرة لم يلمسها رجل غيرك.
- هو: لكنك بكرة، أقصد كنت بكرة حتى لمسك، وأصبحت...
- هي: لعله نسي أنه كان صاحب عذريتي، هكذا هو الرجل الماطر ينسى كل من يضاجع من نساء، وينسى عذرياتهن المسفوكة على جسده.
- هو (بانزعاج): يا له من حقير!
- هي: لا تقل ذلك عنه؛ فهو زوجي.
- هو (بتعجب): لكنّه لم يتزوجك!
- هي: لكنني تزوجته، ألف مرة في خيالي تزوجته، أنجبتُ منه مئات الأبناء والبنات أصحاب الأكف الماطرة والعيون المائية.
- هو: متى حدث ذلك؟
- هي: هناك حيث ذبحوني كنعجة؛ لأني امرأة ماطرة.
- هو (بفرع): هل قتلوك؟ هذا رهيب!
- هي: بل هو شعور لذيد، لذيد أكثر مما يمكن أن تتخيل، ليس هناك أجمل من أن تحزّ سكينه عنقك؛ لأنّ قلبك عاشق.

- هو (بتألم): أنتِ مجنونة!
- هي: أنا عاشقة، لقد عشقته منذ رأيتَه أوّل مرّة، عندما صافحته، نسيتُ كَفِّي في كَفِّه. تخيّل كيف تبدو الحياة بلا كفّ. هي صعبة جداً، أعني لذيفة جداً.
- هو (باستدراك): ماذا حدث بعد ذلك؟
- هي: بعد ماذا؟
- هو (بتحرّج): بعد أن قتلوكِ.
- هي: آه تذكرت. لم يحدث أيّ شيء.
- هو: أصبحتُ دون وجه، وهو أصبح دون قلب. معادلة عادلة. أليس كذلك؟
- هو: أعني هل توقفت عن حبّه.
- هي (بحكمة): لا قلب عاشق يتوقّف عن القرع باسم معشوقه. هذا هو قانون العشق الخالد.
- هو (بدهشة): لكّنك ميّنة.
- هي: العشق أقوى من الموت.
- هو (بعصبية): هذا جنون.

- هي: هذا هو جوهر العشق، هذا هو الجنون. أن تعشق يعني أنك تجنّ.

- هو (محرّضاً إيّاها ضده): لكّته كان السّبب في موتك!

- هي: القبيلة هي من كانت السّبب في موتي.

- هو: ماذا عنه؟

- هي: هو كان السّبب في أن أكون خالدة.

- هو (باستهزاء): خالدة أين؟

- هي: خالدة في سفّر النّساء الماطرت.

- هو (بسخرية): النّساء الماطرات ذوات الوجوه الضائعة.

- هي: من لها قلب عاشق لا تحتاج إلى وجه.

- هو (بلؤم): إذن لماذا صمّمتِ على أخذ ارتداء الوجه أولاً.

- هي (تنزع الوجه بعصبية): هاك، هذا الوجه اللّعين الذين

تريده.

- هو (يركض نحوها بانفعال، يدسّ رأسه في الوجه، تبقى هي

دون وجه، تعتمّ زاويتها، وتسلّط الإضاءة على وجهه): يحتاج كلّ

رجل إلى وجه يرتديه في كلّ صباح.

- هي (بفضول): هل تشعر بالدّفء في هذه اللّحظة؟

- هو (بصرامة مصنوعة): من يحتاج إلى الدّفء؟ أنا لا أحتاج إلى الدّفء، لقد تعودت على البرد منذ كنتُ هناك في الجبال، الصّقيع امتدّ إلى كلّ مكان في قلبي. أنا في حاجة الآن إلى المزيد من السّلطة والقوة والمال؛ فهي الدّفء الوحيد للقلوب المتجمّدة مثل قلبي.

- هي (بدهشة): ماذا عن العشق؟ ألا تحتاج إلى العشق؟

- هو (بطريقة تمثيلية استعراضية): أنا أعشق الوطن، لأجله عشت في الجبال خمسة عشر عاماً ثائراً على كلّ قوى الظلم والتمرد، آن لشعبي المسكين أن ينال حقوقه، وأن يتحرّر. آن للجبل أن يصبح وطناً، وللثائر أن يصبح حاكماً.

- هي (بخجل): ماذا عنها؟

- هو (بالطريقة الاستعراضية ذاتها): أتقصدين الوطن الحبيب؟

- هي: أقصدها هي؟

- هو (باستعراضية من يلقي خطبة): الواجب والإخلاص للوطن يحتم عليّ أن أنساها، المصلحة أوّلاً.

- هي: مصلحة من؟

- هو: مصلحة الوطن، مصلحتها، مصلحتنا جميعاً.

- هي: ومصلحة ماذا أيضاً؟

- هو (بعصبية): ومصلحتي أنا، لن أعرّض سلطتي ونفوذتي وأموالي وآمالي وأحلامي ومكاسبي للخطر من أجل بضعة قرعات في قلبي المتجمّد! أقول لك الحقيقة لا قلب لي، هذه هي الحقيقة. فلماذا تصمّم على أن أعيش بقلبها؟

- هي: أين قلبك إذن؟

- هو (بانكسار): هو هناك في الجبل، كلّ شيء خلعتَه هناك بقوة جبريّة.

- هي (بأسى): كلّ شيء؟

- هو (دون مبالاة): نعم كلّ شيء، خلعتَه هناك؛ كي لا تشعر في البرد في الجبال حيث الثلوج والصّقيع عليك أن تخلع جلدك، كي لا تشعر بالجوع عليك أن تخلع معدتك، كي لا تشعر بالحرمان عليك أن تخلع قلبك، كي لا تشعر بالانتظار عليك أن تخلع ذاكرتك، كي لا تشعر بالرغبة عليك أن تخلع فحولتك. الجبل أخذ مني كلّ شيء.

- هي: وأعطاك السّلطة والنّفوذ والجبروت.

- هو: هذا عدل. من يحتاج قلباً في هذا العصر الجليديّ؟

- هي: هي تحتاجه.

- هو: أمّا أنا فأحتاج السّلطة والقوة والنّفوذ.

- هي: من أجل الوطن؟
- هو (بتوتر وعدم ارتياح): بل من أجلي، دون سلطة سوف أقتل بعد ساعات. العري من التفوذ ومن القوة ضعف لا يطاق.
- هي (بقلق): من سيقترك؟
- هو (بريبة وهمس): الوطن من سوف يقتلني.
- هي: الوطن الذي عشت من أجله سنوات في الجبل؟
- هو (بنبرة صدق): بل الوطن الذي استرددت منه ثمن كل سنين الحرمان والعذاب والقهر والخوف والهرب.
- هي: وقلبك؟
- هو (بغضب): قلت لك إن قلبي هناك في الجبل. أنا بلا قلب.
- (يهمس): أقول لك إنني أيضاً دون فحولة. ماذا تريد امرأة ماطرة من رجل دون فحولة؟
- هي (ساخرة): لعلها تريد أن تكتب رواية عنك.
- هو (بزهو وحماس): هذه فكرة رائعة. قولي لها أن تكتب رواية عن بطولتي وعن الجبل وعن وطني الذي أكرهه حدّ الاشمتزاز. قولي لها أن تفعل ذلك، وسوف أهبها...
- هي (مقاطعة إياه): هل ستهبها قلبك؟

- هو (بمئل): قلتُ لك أن لا قلب لي. هكذا هم الأبطال المهزومون دون قلوب، هم يملكون فقط أيدي باطشة، وأرواحاً قاحلة لا ترتوي من الأخذ والمال والسلطة والقوة.

- هي: هم أيضاً دون وجوه.

- هو (دون مبالاة): نعم هم دون وجوه؛ لأنهم ماطرون.

- هي (بسخرية): لكن لماذا لا تشعر بالدفء؟

- هو (بتأفف): عدنا إلى هذا السؤال من جديد؟

- هي (بإصرار): مادمتَ ترتدي هذا الوجه، سأظلّ أسألك هذا السؤال دون توقّف.

- هو (يخلع الوجه ببرود وتمهّل استعراضياً): إذن سأخلع هذا الوجه اللعين لتتوقّفي عن هذا السؤال الأحمق.

يخلع الوجه،

ظلام للحظات،

المشهد الثالث

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

- صوت رعدٍ ووهج برقٍ.
- إضاءة حمراء خافتة مسلّطة على (هي) التي تجلس في الكرسي الهزاز، وتهزّ نفسها بعصبية، و(هو) يجلس على الأرض متربّعاً، وكفّاه إلى الأعلى على شكل صنم عابد.
- هي (ترتدي الوجه): كانت مأساتي ستكون أصغر لولا طبيعتي الماطرة بشدّة. ماذا كان سيخسر الإله لو كنت ماطرة باعتدال؟
- هو: ستصبح الأرض قاحلة لو كنّ النساء الماطرات أقلّ عدداً.
- هي: لو لم أكن مصممة على أن أحمل جمرتين في كفّ واحد لما احترقت؟
- هو (لا يزال محافظاً على جلسته وعلى هيئته): كان عليك أن تتخلّصي من جمرتيك كي لا تحترقي.
- هي (بتأفف): الجمرات قدر، لا أحد يستطيع أن يهرب من قدره.
- هو: هل هو إحدى جمرتيك؟

- هي (تهزّ رأسها): هو جمرتي، والآخر جمرتي كذلك.
- هو: أيهما محرّق أكثر؟
- هي: الجمرات كلّها محرقة أكثر.
- هو (باستغراب): هل تحترق امرأة ماطرة؟
- هي: نعم، تحترق وبشدة عندما تكون موزعة بين عالمي الفضيلة والخطيئة، تحترق دون رحمة عندما تخلص لرجل اسمه زوجها بجسدها، وتخلص لرجل اسمه حبيبها بقلبها وأزمانها ولحظاتها. فتمزّق بين قوتين لا ترحمان ضعفها.
- هو: كوني عاشقة لمن تحبين؟
- هي: عندها أكون خائنة لزوجي!
- هو: إذن كوني مخلص لزوجك.
- هي: عندما أموت حزناً لبعدي عمّن أحبّ.
- هو (بعثية): إذن استرديّ الزّمن الماضي، وكوني مع من تحبين.
- هي: سيهجرني مرّة أخرى من أجل امرأة تجيد الغنج والسكر وإلقاء القصائد بشهوة وهي عارية فوق طاولة قمار. أمّا أنا فلا أجيد سوى ترانيم الطّهارة.

- هو: إذن اهجره في الحاضر انتقاماً لنفسك من خذله لك في الماضي.
- هي: هجرته ألف مرة، وعدتُ إليه صاغرة ذليلة ألف مرة أخرى.
- هو: اقسمي أنه لن يكون حلمك.
- هي: هجرت التّوم كي لا يكون حلمي.
- هو: اقسمي أن لا يكون طيفك.
- هي: ماعدتُ ألقى نفسي كي لا أراه.
- هو (بارتياح مزعوم): إذن هو غير موجود.
- هي (بابتسامة ساخرة): بل هو من يسكن بين حدقتي العينين، وبين الإغفاءة والصّحوة. هو جمرتي. هو موجود في كلّ هدية اشتريتها له، ولم أجرؤ على أن أعطيها له، هو موجود في كلّ مفرق طرق انتظرتة عليه في ليلة معتمة دون قمر أو رفيق، هو موجود في تفاصيل قسّمات ابني الذي لم ألدّه منه، هو موجود في كلّ الضّحكات التي كان مذاباً في سرّها، هو موجود هنا في أعماق قلبي الماطر.
- هو: النّساء ذوات القلوب الماطرة عليهنّ أن يرتدين وجوهاً ضاحكة كي يخفين دموعهنّ الحرّى.

- هي (بجزع): وأين يخفين جمراتهن؟
- هو (بثقة): في قلوبهنّ الماطرة، فلا مطر يطفئ جمره، ولا جمره تجفّف قلب امرأة ماطرة!
- هي (بندم): لو كنتُ أقلّ تمسكاً بمبادئي لكنتُ أسعد.
- هو: بل ستكونين أشقى نساء الأرض.
- هي: أنا الآن الأشقى بلا منازع.
- هو (بثقة): كان من الممكن أن تكوني أشدّ شقاء لو احترفتِ التنقّل بين سريري جمرتيك.
- هي (كأنّها تحدّث نفسها): أعرف نساء يحترفن هذه اللّعبة الجهنّمية، ولا ضير عليهنّ.
- هو (يضرب كفّاً بكفّ): تلكم نساء غير ماطرت، هنّ نساء الوحل.
- هي: هنّ يملكن وجوهاً ملوّنة مبتهجة.
- هو: هي وجوه مستعارة.
- هي (بقرف): مثل وجهي هذا؟
- هو (بتعاطف): تستطيعين أن تنزعيه إن لم تكوني راغبة فيه.
- هي (بذل): وأظنّ دون وجه؟ سأشعر بالبرد دونه.

- هو: لكنتك تشعرين بالبرد وأنت ترتدينه. سيان عندك الأمران.
- هي: لكنتي أكره قناعي.
- هو: وتكرهين ملامح وجهك!
- هي: أنا أحترق الآن أكثر.
- هو (برود): اخلعي وجهك، فتنطفئ جمرتك.
- هي (مقهقة بهستيرية): يا لك من جاهل! الجمرات لا تسكن تفاصيل الوجه، بل تسكن القلب. خلع الوجه لا يخلع جمرات القلوب الحرى!
- هو (بسخرية): إذن احترقي بجمرتيك دون إزعاجي في هذه الليلة الماطرة الباردة.
يبقى على هيئته، وهي تتمدد في الكرسي الهزاز، وتنشد كأنها تخاطب حبيبها:
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر
تكاد يدي تندي إذا ما لمستها وينبت في اطرافها الورق الخضر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ألفين منها لا يروعهما نفر
وقد كنت آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لآخر الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجأة فأبهت لا عرف لدي ولا نكر

وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتها كما قد تُنسي لبّ شاربها الخمر
هجرتكِ حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا حبها زدني جوىً كلّ ليلة ويا سلوة الأيام موعداك الحشرُ^(١٣)

ظلام

صوت رعد ووهج برق

١٣ - شعر لأبي صخر الهذليّ.

المشهد الرابع

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

- (هو) يجلس أرضاً متربّعاً مرتدياً الوجه، و(هي) تضع رأسها على فخذيّه، وتتمدّد أرضاً، الإضاءة مسلّطة على قناعها، ولا إضاءة مسلّطة على وجهه. وصوت عزف قانون يصدح في المكان.
- هو (بنبرة متحدّية): من قال إنّ القلب لا يمكن أن يجمع بين عشقين؟
- هي: هذا اسمه شريك.
- هو: بل اسمه قلب تكاثر، فأصبح قلوباً، وعشقاُ تكاثر، فأصبح عشقاُ.
- هي: قلب الرّجل لا يتسع لغير عشقه لنفسه.
- هو: يا لك من جاهلة غرّة! قلب الرّجل يتسع دائماً لعشق عملاق اسمه الله، ولعشق مقدّس اسمه حواء.
- هي: أتعشقها؟
- هو (وهو يسمو بنظره إلى السّماء): بل أعشقه.
- هي: من؟

- هو: الخالق العظيم الذي خلقها على وفق ما أشتهي وأتمنى.
وجودها هو دليلي على وجود الله. من كان سيخلق كائناً خرافياً مثلها
سوى خالق عظيم. قبلها كنتُ ملحداً، وعندما عشقتها غدوت سلطان
العاشقين.

- هي: إذن أنت تعشقها.

- هو (وهو يداعب شعرها):

أحبك أنت؛ لأنك أنتِ لأني أنا قلتُ: كوني، فكنتِ
وكنتِ خلاصة أحلام عمري وما بين عيني وبينني سكنتِ
أحبّ الجنون، الجنونُ يوعّيفولا جنوني أنا ما جننتِ
- هي (مستغربة): عجباً! هل يكون الرجل عاشقاً مثل المرأة؟

- هو: عشقي يفني عشقي وفنائي استغراق

مملوكك لكّني سلطان العاشقين^(١٤)

- هي (بجيرة): لم أعد أفهمك، أنتَ عاشق لامرأة أم عاشق
موجدٌ إلهي؟

^{١٤} - شعر لابن الفارض.

- هو (بصوت رخيم هادئ): يا صغيرتي، لا رجلاً يتقن أن يعشق امرأة إن لم يكن عاشقاً للرب، العشق عملة واحدة، الوجوه كلها تحيل إلى بعضها. العشق كله في العشق حضور:

في حضرة من أهوى

عبثتُ بي الأشواق

حدقتُ بلا وجهٍ

ورقصتُ بلا ساق^(١٥)

- هي (بتعجب): أتريد أن تقول إنَّ عشاق التاريخ جميعاً كانوا عشاقاً للرب؟

- هو (بثقة): دون شكّ.

- هي: هل تريد أن تقول إنَّ عبّاد الربّ المخلصين جميعهم كانوا عشاقاً لنساء فانيات؟

- هو (بثقة أكبر): كوني على ثقة بذلك.

- هي (بخوف): أنت مجنون.

- هو (بانفعال): وأنت كافرة.

- هي: هل كانت امرأة مختلفة؟

^{١٥} - شعر محمد الفيتوريّ.

- هو: من تقصدين؟
- هي (بتأفف): تلك التي عشقتها.
- هو (يحدق في وجه هي): كانت تحبّ الأبيض.
- هي: وأنت؟
- هو: لأجلها آمنتُ باللون الأبيض؛ عندما تحبّ المرأة الأبيض، تكون تحبّ أصل وجودها الطاهر، أحببتها بشدة، لكنّها أحبّته.
- هي (بفجاعة): هل خانتك؟ وأحبّت غيرك؟
- هو: لم تخني؛ لأنها لم تحبني في يوم ولو للحظة واحدة. أساساً أنا لم أحدثها أبداً في حياتي، كنت أراقبها من بعيد، ولم تعلم أبداً بوجودي.
- هي: يا لك من رجل مجنون! كنت متأكّدة منذ البداية من أنك مجنون، لماذا لم تخبرها بحبك؟
- هو (يبكي منتحياً): لأنّ من نحبهم أجهل عن بعد!
- هي: إذن، سعد رجل آخر محظوظ بحبّها؟
- هو: لم يكن محظوظاً؛ فقد رفض حبّها، فقد كان عاشقاً لأخرى.
- هي: يا للمهزلة! وماذا فعلتَ عندها؟

- هو: لم أفعل شيئاً؟
- هي: إذن ماذا فعلتُ هي؟
- هو (ينتحب من جديد): انتحرتُ حزناً على صده لها.
- هي (بفزع، وقد غيّرت هيئة ضجعتها، وتربعت في مكانها): انتحرتُ؟ هذه فاجعة.
- هو (بنبرة حاقدة): ولذلك قتلته؛ لأنه كسر قلب المرأة التي أعشقها.
- هي (بدهشة): كلّ لحظة أتأكد من أنك مجنون. هل كنتُ تريده أن يبادها حباً مجبّب؟ ماذا عنك؟
- هو (بصدق شديد): كانت ستبقى حينها على قيد الحياة. لقد عشقتها فوق عشقي لنفسي، كان سيكفيني أن تبقى على قيد الحياة؛ لأظلّ سعيداً وراضياً.
- هي (تنتحب، وتلقي برأسها على صدره): أنتَ مجنون، جميعكم مجانين. ياالله هذا ألم عظيم!
- هو: لقد رحل الله من قلبي منذ رحلتُ. أنا الآن دون قلب، ومن هو دون قلب هو دون ربّ.
- هي: أنتَ كافر مجنون.

- هو: بل ميّت ميّت. لماذا كان عليّ أن أرتدي هذا الوجه الشؤم في هذه الليلة؟ كنتُ سعيداً بقناعي الذي يخفي أحزاني وكفري وألمي.
- هي: كيف تكون ماطراً، ولا إله في قلبك؟
- هو: لا وجود لي أو لقلبي المحترق، بل الباقي مني هو اسم الربّ الذي سكن يوماً قلباً كان قلبي.
- هي: مجنون.
- هو: كلّنا مجانين، كلّهم مجانين، أنتم (يشير إلى الجمهور) مجانين، أنتِ مجنونة، هذا المخرج المتوارى خلف الكواليس مجنون كبير، تلك الكاتبة المأفونة التي رسمتنا بكلماتها مجنونة، تلك المجهولة التي تشرب قهوتها على وقع قراءتنا كلمات قبل أن نكون شخوص مسرحية هي مجنونة أيضاً، جميعنا مجانين.
- هو (يتصب على قدميه): الجنون هو الحقيقة الوحيدة في هذه الحياة، حتى هذا الوجه الذي أرتديه، وأجهل لمن يكون هو مجنون مجنون .
- هو (يلخلع وجهه، ويرمي به أرضاً، ويتمتم):
- أنا أحبّك فوق الماء أنقشها وللعناقيد والأقداح أسقيها (١٦)

١٦ - شعر لنزار قبّاني.

المشهد الخامس

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

- (هو) و(هي) جالسان أرضاً، أحدهما يدير ظهره للآخر، ويسند ظهره على ظهر الآخر، كلاهما بلا وجه، والوجه ملقى على الأرض. وحزمة ضوئية دائرية بيضاء مسلطة عليهما.

- هي (بجزن): ماذا كان يمكن لامرأة مثلي أن تعمل؟ كيف كان يمكن أن أكل ثلاث وجبات، وأن أنام على سرير، وأن أقفل بابي عليّ دون أن يكون لي عمل؟

- هو (ينظر إلى البعيد): هي أفضل مني في كل شيء، عندها الجمال والعمل والعائلة العريقة والضحكة المشدودة إلى القلب والنية الطيبة والبيت الجميل والسيارة الفاخرة، ومحبة الناس لها. وأنا ماذا عندي؟ أنا لاشيء، أنا محض رجل يقف على حافة الانتظار على أمل أن تتغير نواميس الكون، فيمتطي جواداً مجنحاً، ويطير إلى سدرة المنتهى دون عمل أو حساب أو موت.

- هي (بانفعال): لم يرحمني أحد في هذا العالم المتوحش. ماذا كان يمكن أن أعمل سوى أن أبيعهم جسدي الصغير؟

- هو (بحيرة): أنا لا أعرف أبداً لماذا تحبني امرأة كهذه؟ لا أملك أي شيء سوى فشلي وسني عمري التي جاءت راکضة تتوجني بغابة شعر بيضاء آيلة للسقوط.

- هي (بصوت أعلى نبرة): هل تعرف أن للجوع أسناناً قاطعة تقضم الروح كما تقضم الأمعاء؟ أنا كنت جائعة للطعام؟ وهم كانوا جائعين لجسدي. أنا اكتفيت بلقيمات قليلة، ولكنهم ما شعبوا متي حتى أكلوا عظامي، وداسوا على أشلائي.

- هو (باستهزاء): كانت مسرحية هزلية تلعبها الحياة عندما جعلتها تحبني، وجعلتني أحبها.

- هي (بمرارة): ليس البشر جميعهم ولدوا من أرحام أمهاتهم، ولا من أصلاب آبائهم؛ فأنا وُلدتُ لا شك من رحم نبات شيطاني، ينمو وحده، ويموت بقراره، لم أعرف لي أسرة أو أهلاً أو أقارب. ولا أتذكر متى رمتني الأيدي إلى الشارع لأول مرة.

- هو (بنبرة حاملة): هل كان من حقّي أن أحبّ نجمة في السماء؟ أم أنّي كنتُ مجرد صبي مغرور يراهن على حصان لا يستطيع أن يلمسه حتى في أشدّ أحلامه جموحاً؟

- هي (بفجاعة): لكنني أتذكر بالتفصيل وبالصرخة وبالألم متى كانت أول مرة دُبحتُ فيها من أجل دراهم قليلة. وأتذكر كذلك وجه

ذلك الدّابح، كان حيواناً برأس بشريّ قبيح، ليلتها رأيت ذيله، أقسم على أنّه كان بذيل مشعور غليظ.

قال لي في ليلتها إنّني قبيحة جداً، وبزق في وجهي، احتجاجاً على قبحي، لكنّه على الرّغم من ذلك صمّم على أن يأخذ مقابلاً لدراهمه الحقيرة، ذبحني، وهو لا يقوى على أن يحدّق في عينيّ.

- هو (بفخر): كانت تحبّني بحقّ، كنت أرى ذلك في عينيها، في لمساتها، في لهفتها.

- هي (بنفس متوتّر): قبل أن يذبحني قلتُ له إنّني فقيرة، والجوع يدفعني إلى حضنه، كنتُ أمل أن يرحمني، وأن يعطيني دراهمه القليلة دون مقابل، ما كان ذلك بأمر عسير عليه، فقد كانت محفظته تعجّ بالأوراق التّقديّة، وقلادته الذهبية التي تتدلّى من رقبتة الجاموسيّة يمكن أن تنفق عليه ببذخ لأشهر طويلة.

عندها قال لي بصوته الثّوري: كلّ النّساء أمثالك يقلن هذا لزبائنهنّ كي يحصلن على المزيد من المال، لكنني لن أزيدك درهماً على ما دفعتُ. أنتِ قبيحة، وبالكاد تستحقين ما أعطيتك من دراهم.

- هو (بجسد): لقد كانتُ محظوظة؛ حصلت على الأشياء كلّها التي تريدها، هي تقول إنّها مجتهدة، وهذا نصيبها لقاء عملها الدّؤوب، وأنا أقول إنّها كانت محظوظة، لقد حصلت على كلّ ما أرادت،

وأصبحت تحمل لقب معاليها، وأنا لا أزال عالقاً في لقب المعلم، ومتورطاً في أحلامي التي لم تتحقق، ولن تتحقق، فلا أحلام تصبح حقيقة إكراماً لرجل أصبح عمره خمسين عاماً.

- هي (بفخر داعر): اكتشفتُ سريعاً أنني أملك حضوراً جنسياً مثيراً على الرغم من قبحي، الرجال يقولون إنَّ النساء تتساوى في الظلام، لكن هذا غير صحيح، بل إنَّ هناك نساء تتفوق في الظلام، وتأسر الرجل من رأسه حتى أخمص قدميه، وأنا أفخر بأنني أكثر النساء إثارة في الظلام. لا رجل ذاقني، إلاّ وعاد ذليلاً إلى حضني، وعندها كنتُ أضع شروطي، وعليه أن يقبل بها، وإلاّ فلن يحظى بي مرةً أخرى.

- هو (بجسد أكبر): أكرهها بقدر ما أحببتها، وأنا أحببتها كثيراً؛ ولذلك كرهتها أكثر، لن أغفر لها أبداً أنّها تفوقت عليّ. كي أكرهها، وكي أهين أنوثتها كنتُ أخونها مع سفلة النساء، كنتُ أشترين من أجل أن أكوي قلبها، وأن أدوس على كرامتها وكبريائها.

- هي (بصلف): على كلّ رجل يريدني أن يقبل قدمي أولاً، الكثير من الرجال المتعجرفين يرفضون ذلك، لكن أكثرهم يرضى ذليلاً بشروطي الوحيد. فلا حيلة لمن يذوقني على أن يقاوم سطوتي.

- هو (بانفعال): في البداية ثارتُ وغضبتُ، عندها سعدتُ؛ لأنني عدّبتها بقسوة. عندما سألتني عن سبب خياناتي خرستُ تماماً. تبأ لها، ألا تعرف أنني أهينها؛ لأنها تفوّقت عليّ؟ لو كانت تحبّني لما تفوّقت عليّ، ألا تعرف أنّ الصّدارة يجب أن تكون للرجل؟ فكيف تدلّني، وتتفوّق عليّ؟ ما كان يجب أن تفعل ذلك، لذلك يجب عليها أن تتألّم جزاء على تفوّقها، ولي أن أسعد بعذاباتها.

- هي (بشماتة): بعد سنين جاء ذلك الثور الذي ذبّحني كي يشتريني لليلة، هو لم يعرفني، لكنني عرفته، كان شرطي أن يقبل قدمي كي أهبن نفسه لليلة، وبعد أن قبلهما رفته، وطلبتُ من رجالي أن يقذفوه في الشارع بعد أن بصقتُ عليه، ورميتُ عليه دراهمه التي نقدني إيّاها قبل زمن طويل لقاء شراء روحي.

- هو (بمقد): لكنّها كعادتها قد تفوّقتُ عليّ، ساحتني المرّة تلو الأخرى، ساعدتني في الكثير من الأمور، لكنّ الفشل بقي حليفي القسري. كلّما كانت أكثر عطاء، كنتُ أكرهها أكثر. لا أستطيع أن أهبها شيئاً، فعندها كلّ شيء، إذن لأهبها المأ مقيماً في نفسها؛ فأنا لا أملك غير الألم لمن يحبونني، وما أقلّ الذين أحبّوني في حياتي البائسة!

- هي (بارتياح): منذ زمن طويل لم أعرف الجوع، ولا أخال إنني سأعرفه في يوم؛ فعندي الكثير من الأموال والمدّخرات، فالفتاة القبيحة الساقطة سلعة رائجة أكثر ممّا تتخيل.

- هو (بانفعال): في كل مرةٍ ساحتني فيها كرهتها أكثر، لكن عندما هجرتني، وتزوجت رجلاً آخر يجيد العدو أمامها في مضمارها، كدتُ أسامحها؛ فقد عرفتُ حينها أنّها ما عادتُ قادرة على أن تهبني المغفرة، أخيراً عجزتُ عن شيء، أخيراً لم تكن تملكُ أمراً ما، وهو أن تسامحني.

- هي (بدلال): الآن، أنا أمارس مهنتي من باب الهواية لا أكثر. تمرّ أيام دون أن يغريني زبون بأن أقضي ليلتي معه؛ فأنا انتقائية جداً الآن فيما يخصّ اختيار زبائني.

- هو (بتفجع): قالتُ لي عندما هجرتني إنّني مريض نفسيّ، وإنّني في حاجة إلى علاج، يومها حنقتُ عليها أكثر من أيّ وقت. لكن بعد سنين من ترددي على نساء الشارع عرفتُ أنّني مريض نفسيّ، نعم أنا مريض بامتياز، لقد اكتشفت أنّي رجل مزبلّة؛ لذلك لا ترضيني إلاّ النساء الموحلات حدّ الأنوف. أتصدّقين أنا أفضلك في هذه اللّحظة عليها، وعلى طهارتها المقرّزة، وعلى نجاحتها الباهرة؟ أنفاسك بطعم فشلي، وإذلالك لي بطعم هزيمتي، أنا أحبّك يا هذه. . . (ملفتاً إليها): ما اسمك يا امرأة؟

- هي (بضحكة مصطنعة): يعجبني الزبائن المثقّفون؛ فلهم طباع وسلوكيات ترفّه عني، وتكسر رتابة عملي، وتدهشني.

- هو (بنبرة ميكانيكية): تقريباً أنا لم أحبّ بشراً أو شيئاً غيرها في الحياة.

- هي (بضحكات ساخرة): دعني أحكي لك بعض طرائف زبائني المثقفين.

- هو (وكأنه، لا يسمع كلمة مما تقول له): أنا مثلاً لا أحبّ العطور؛ فعندي حساسية شديدة من الروائح التّفاذة، لاسيما روائح العطور.

- هي (بضحكات متعالية): مرّة طلب مني زبون أن أقرأ عليه قصيدة من ديوان شعر أحضره معه!

- هو (يتحسّس بطنه): كذلك أنا لا أحبّ البهارات والمنكّهات؛ فعندي قرحة معويّة ملازمة.

- هي: زبون آخر طلب مني أن أرسم على جسده بالفرشاة وبالألوان!

- هو (بقرف): كذلك أنا لا أحبّ السّكاكر والحلويات؛ فهي تصيبني بالغثيان.

- هي (بدهشة): أتصدّق أنّ زبوناً طلب مني أن أحّمه بالعسل!

- هو (بتقرّز): أنا لا أحبّ حفلات الأعراس والزيارات الأسريّة وحفلات الأصدقاء.

- هي: أذكّر أنّ زبوناً مثقفاً أحقق صمّم مرّة على أن أركبَ فوق ظهره، وهو ينهق كالحمار!
- هو: عموماً أنا لا أحب الموالح أو المعجنات.
- هي: مرّة ضربني زبون؛ لأنه اكتشف أنّي لا أقرأ عاموده الأسبوعيّ في الصّحيفة الرّسميّة حيث ينشره ترهاته التي يطلق عليها اسم نقد اجتماعيّ.
- هو (يشدّ على منخريه بأطراف أصابعه): أكره البصل والثوم والتّعنّاع وإكليل الجبل.
- هي (تحدّق في قناعه): لكنني أعترف بأنك الأكثر طرافة من زبائني المثقّفين؛ فلعبة الوجه والأقنعة أمتعني تماماً. لكن هذا لا يعني أبداً أنّي لن أتقاضى منك ثمن هذه اللّيلة مضاعفاً كما وعدتني.
- هو (بتوجّع): لماذا يحترف البشر تضييع الأشياء الجميلة؟
- هي (تمسك بالوجه الملقى على الأرض، وتتفرّسه): هل يمكن أن أحفظ بهذا الوجه الغريب؟
- هو (دون فضول): ما حاجتك إليه؟
- هي (بجماس): أحبّ جمع الأشياء الغريبة؛ فمنذ زمن طويل لم أرَ وجهاً، لا أرى من البشر سوى الأقنعة.

- هو: أتخبين الحقيقة؟
- هي: أحبّ العراء؛ لأنه قمة الحقيقة. من خبرتني المتواضعة أقول لك: إنّ البشر وهم عراة يكونون في قمة صدقهم؛ لذلك قليلاً ما أقابل كاذبين؛ فأنا لا أقابل البشر إلاّ عراة. هذه مميّزة من ميزات عملي.
- هو (يقهقهه عالياً بقرف): كم أنا كذبة كبيرة!
- هي (تقهقه بصخب حزين): أنا أيضاً كذبة، ولكن كذبة صغيرة جداً، بل كذبة حقيرة وقذرة ونجسة.
- هو (برجاء): هل تخبيني؟
- هي (بعد تفكير قصير): هناك ممنوعان أساسيان في عملي، وهما: الحبّ والتّقبيل!
- هو (بجزن عميق): أعطيك الوجه على أن تخبيني.
- هي (بتردد): هل تقبل قدمي أيضاً؟
- هو (بقهقهة صاخبة): نعم، أقبل قدميك.
- هي (بحماس): الآن؟
- هو (بهدهوء شديد): عندما يتوقّف المطر عن الهطل؟
- هي (بنبرة ذات حكمة): المطر لا يتوقّف عن الهطل في عوالم الماطرين!

- هو (يبتسم على مضض): لقد انتهت اللعبة. ألا تزالين تلعبين لعبة المطر؟

- هي (بحماس مفتعل): أتعرف أنني كنتُ أكتبُ الشعر وأنا صغيرة؟

- هو (يصمت قليلاً، ثم يجيب): نعم، أعرف ذلك، أعرفه جيداً؛ فالماطرين كلهم يكتبون الشعر. (يدخل في قهقهة هستيرية دون توقّف):
ها ها ها ها ها ها

يرتفع صوت القهقهات، ويرتفع، ويرتفع.

تعتم الخشبة، وتستدل الستارة

وصوت القهقهات مجلجلاً في المكان

انتهت المسرحية

(المسرحية الرابعة)
محاكمة الاسم (X)
(مسرحية من فصلين)

أسمائنا هي ظلال أرواحنا ورائحة وجودنا، فطوبى للأسماء
الطاهرة النقية الزكية.

شخصيات المسرحية

- المدعي العام: رجل في منتصف الأربعين من عمره، فظّ الطباع عصبيّ المزاج، أحمق التصرفات، يلبس بذلة من النوع الرخيص، ويضع نظارة على عينيه، ويحمل حقيبة جلدية كبيرة وقديمة.
- كاتبة المدعي العام: امرأة في منتصف العمر، متواضعة الجمال والأناقة، تلبس نظارة سميكة العدستين، عدائية وهجومية.
- الشرطي: سمين وقصير، قليل الفطنة، ظاهر الفظاظة، ومطيع دون تفكير.
- المرأة: امرأة جميلة رومانسية في منتصف العقد الثالث من عمرها، هندامها جميل، وشعرها منسدل على كتفيها.
- الرجل: رجل قويّ الجسد والشكيمة، تدلّ ملابسه وحركاته على أنه يمارس العمل العسكريّ بشكل دائم، يلفّ رأسه بـ (حطة).
- المرأة العجوز: امرأة في الستين من عمرها، تلبس ثوباً فلسطينياً شبه مهترئ، وتغطي رأسها بالمنديل الفلسطينيّ الطويل الشفاف الأبيض اللون.

- الشَّاب: شاب وسيم ضعيف البنية، تظهر عليه علامات الجنون والذهول الدائم.
- الطَّفلة: في الثالثة عشرة من عمرها، نحيلة، لها ضفيران ناعمتان طويلتان، تلبس ثوباً قديماً مهترئاً، وتنتعل نعلًا بلاستيكيًا قديماً، وتحمل دمية محشوة بالقطن على شكل قطّ كبير.
- الصَّبي: في السادسة عشرة من عمره، أسمر وقصير، وله شعر ناعم طويل.
- الطَّيب: رجل في الخمسين من عمره، يلبس لباس طيب، ويلبس النظارات الطَّيبية بشكل دائم، ويعلّق سماعة طَّيبة في رقبته.
- الممرّض: شاب صغير في منتصف العشرين من عمره، رقيق الشكل والطَّباع، يظهر على خشبة المسرح، وهو يحمل سجل المرضى.
- الطَّفل الصَّغير: طفل في الأشهر الأولى من عمره، يتيم، كثير البكاء، تعني المرأة العجوز به.

الفصل الأول

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستارة على خشبة مسرح معتمة تماماً، إلا من بقعتي ضوء، إحداهما مسلّطة على امرأة في ثياب غير أنيقة، تلبس نظارة سميكة العدستين، وأمامها آلة كاتبة معدنية قديمة فوق طاولة خشبية كبيرة، وهناك الكثير من الملفات المختلفة اللون فوق تلك الطاولة وعلى الأرض، والمرأة تجلس على يمين الطاولة، وتمسك بسماعة الهاتف.

أما البقعة الضوئية الأخرى فمسلّطة على رجل يلبس بذلة غير أنيقة، ويمسك بيمنه حقيبة جلدية كبيرة، ويدخن سيجارة من النوع الرخيص، وهو ينطلق بثقل من يسار خشبة المسرح نحو المرأة (الكاتبة الخاصة به في المحكمة) التي تجلس إلى الطاولة.

- الكاتبة (بفرح، وهي تتكلم بدلال، وتشرب من الشاي الموجود في قده تمسكه): لكنني عاتبة عليك.

-

(الأصوات الرجالية والتسائية تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، أعيدوا لنا أسماءنا).

- الكاتبة (بانزعاج): يا شرطيّ، اسكتْ أولئك الرّعاع. أريد إكمال مكالمتي بهدوء.

- (صوت غليظ يقول من خارج خشبة المسرح): حاضر، يا سيدة توحيدة. اخرسوا يا متّهمين يا مجرمين. إنْ سمعتُ أصواتكم من جديد سوف أطلق عليكم الكلاب الجائعة لتنهش أجسادكم دون رحمة.

- الكاتبة (تكمل مكالمتها بدلال): قلتُ لك إنّني عاتبة عليك كثيراً.

..... -

- الكاتبة: أنتَ تعرف السّبب.

..... -

- الكاتبة (بضحكة غير بريئة): أنتَ لم تنفّذ وعدك لي.

..... -

- الكاتبة: سأنتظر وأرى، البحر يكذب الغطّاس.

..... -

- الكاتبة (بضجر): اللّيلة أنا مشغولة، ربما في اللّيلة المقبلة نستطيع

اللقاء، أو في ليلة نهاية الأسبوع.

..... -

- الكاتبة (بقلق محاولة إنهاء المكالمات): أسمع صوت أقدامه،
نتحدث في وقت آخر، إلى اللقاء.

-

- المدعي العام (يصل إلى الطاولة حيث الكاتبة، ويقول بانزعاج
وتذمر، وهو يطنفئ سيجارته في منفضة موجودة على الطاولة): صباح
الخير، يا توحيدة. ألا يزال الهاتف يشغلك؟

- الكاتبة (تضع سماعة الهاتف جانباً، وتقول بدلال مصطنع):
صباح الخير، يا سوسو.

- المدعي العام (بمجرد واستياء): تعقّلي، يا توحيدة. نحن الآن في
التيّابة العامة. أقسمتُ عليكِ أن لا تفضحيننا. لا تناديني بسوسو أبداً.

- الكاتبة (بهمس ودلال أكثر): حاضر، يا سوسو.

- المدعي العام (باستياء محاولاً تغيير الموضوع): ألا تمّلين من هذا
الحديث عبر الهاتف؟

- الكاتبة (بتلعثم): هي اتصالات من بعض المراجعين الذين
يسألون عن معاملاتهم.

- المدعي (باستهزاء وخبث): هل أصبحتِ فجأة عطوفة معنية
بالردّ على استفسارات المراجعين؟

- الكاتبة (بجث و احتقار): إنهم متهمون لا مراجعون، سيدي المدعي العام.
- المدعي العام (باحقار): هل حضرتك من تملكين أخبار الثيابة العامة، يا توحيدة؟
- الكاتبة (بنبرة ذات مغزى): أنا صندوق الأسرار في هذا المكان، يا سوسو.
- المدعي العام (بتضجر وهو يشعل سيجارة): أنت صندوق الأسرار، والمراجعون يتكاثرون يوماً تلو يوم، أكاد أختنق من التحقيق في هذه القضية الغريبة.
- الكاتبة (باهتمام مصطنع): الدّنب هو ذنب من أثار هذه القضية السخيفة، وفتح ملف التحقيق فيها.
- المدعي العام: لو أنني أعرف من يكون لكنت قتلته.
- الكاتبة (هامسة): يقولون إنّ فتح ملفّ هذه القضية ليس أكثر من مناورة سياسية.
- المدعي العام (بهمز ولمز): هل هو من أخبرك بذلك؟
- - المدعي العام (بنبرة ذات مغزى): بالله عليك ألا تعرفين ما هو الهدف من فتح ملف التحقيق في الاسم (X)؟

- الكاتبة: كيف لي أن أعرف ذلك؟
- المدعي العام (بتكذيب للكاتبة): توحيدة!
- الكاتبة (بتحدّ للمدعي العام): سوسو!
- المدعي العام: ألسن صندوق الأسرار في هذا المكان؟
- الكاتبة: لكن لا سطوة لي في الوزارات الأخرى حتى أوافيك بالمعلومات التي تريدها؟
- المدعي العام (بقرف، وهو يشعل سيجارة من التّوع الرخيص): ولم لا توسعي دائرة صندوق أسرارك؟ أم أنّ صحتك لا تحتمل ذلك؟
- الكاتبة (باستهزاء): قد أفعل ذلك في الخطة التطويرية القادمة.
- المدعي العام (ساخراً، وهو يرفع يديه إلى السماء): كان الله في عونك، يا أميرة يا بنت الأمراء.
- الكاتبة (بكيد): اللهم آمين.
- المدعي العام (بجركة تمثيلية): سترك اللهم.
- الكاتبة (بنبرة ذات معنى): أسأل الله السّتر لك أيضاً؛ فأنت في حاجة إليه أكثر منّي.
- المدعي العام (بامتعاض): توحيدة!

- الكاتبة: سوسو!
- (أصوات رجالية ونسائية تتعالى في المكان)
- صوت ١: نريد أن نقابل المدعي العام.
- صوت ٢: إلى متى ننتظر دورنا في التحقيق؟
- صوت ٣: بأيّ تهمة نحن موقوفون؟
- صوت ٤: يا سعادة المدعي العام، أين أنت؟
- صوت ٥: إلى متى نظلّ موقوفين؟
- صوت ٦: نحن جياع وعطشى ومتعبون.
- صوت ٧: هذا ظلم بين.
- صوت ٨: الطفل الرضيع يكاد يموت من الجوع.
- صوت ٩: ما هي تهمتي لتوقيفي؟
- صوت ١٠: أنا مريضة، أنا في حاجة إلى الطبيب.
- (صوت خارج خشبة المسرح يجرهم قائلاً): اخرجوا، يا متهمين، يا أولاد كلب، من سأسمع صوته سألهبه بسوطي هذا، وأقدمه طعاماً للكلاب المسعورة. أقسم على ذلك.
- المدعي العام (بتأفف وهو يطفئ سيجارته في مطفاة السجائر):
ألا يزال هناك الكثير من الموقوفين على ذمة هذه القضية؟

- الكاتبة (بقرف): هم كُثر، سيّدي المدّعي العامّ.
- المدّعي العامّ (بقلق): يبدو أنّ هذه القضية سوف تفسد مزاجي لكثير من الأيام القادمة، كما أفسدته طوال الأسبوعين الماضيين.
- الكاتبة (بضجر): من كان يعلم أنّ الاسم (X) سوف يسبّب لنا هذا الإرباك كلّهُ؟
- المدّعي العامّ (هامساً بخوف): لعن الله من فتح هذا الملفّ الملعون.
- الكاتبة: يقولون إنّ جهات حقوقية هي من فتحت هذا الملفّ.
- المدّعي العامّ (بفضول): هل هذه معلومة من صندوق أسراركَ؟
- الكاتبة (دون اهتمام): لا، هذا ما يُتداول على ألسنة النَّاس هنا وهناك.
- المدّعي العامّ (بجد): هذا الجهات الحقوقية أفسدت الدّنيا علينا.
- الكاتبة: البعض يزعم أنّ لجان برلمانية هي من فتحت هذا الملفّ.
- المدّعي العامّ: هذا جائز.

- الكاتبة: لكن الشائعات الأقوى في وزارة العدل تزعم أنّ فتح هذا الملف ما هو إلاّ مناورة سياسيّة من العيار الثّقيل، وهي ستنتهي بانتهاء الصّراعات الكبرى هناك (تشير بأصبعها إلى أعلى بقلق).
- المدّعي العامّ (بفضول): فوق أين؟ في السّماء؟
- الكاتبة (تلتفت يسرة ويمّنة بقلق): فوق في جهات حكوميّة عليا. اللّهم اجعل كلامنا خفيفاً عليهم.
- المدّعي العامّ (ضاحكاً): أهمّ عفاريت تخشين أن تتلبّسك، يا توحيدة؟
- الكاتبة (بجوف): بل هم من أسوأ من ذلك؛ إنهم يخطفون الأرواح، ويقتلون الأجساد.
- المدّعي العامّ (بجوف): تأدّبي، يا توحيدة، ودعينا من هذا الكلام. نحن لا نبحث عن المشاكل والورطات. دعينا في شأننا. افتحي الملفّ لنعود إلى عملنا.
- الكاتبة (بطاعة مصنوعة): أمرك، يا سوسو.
- المدّعي العامّ (بامتعاض): توحيدة!
- الكاتبة: أمرك، يا سيّدي. بأيّ ملفّ نبدأ اليوم؟

- المدعي العام (بعصبية مفاجئة، وهو يشعل سيجارة أخرى بشكل تمثيلي): هل فقدت ذاكرتك فجأة، يا توحيدة؟
- الكاتبة: عذراً سيدي. هل أفتح ملف الاسم (X)؟
- المدعي العام: طبعاً. وهل عندنا شغل شاغل غير هذا الملف؟
- الكاتبة (تفتح ملفاً كبيراً، وتقلب في أوراقه): الملف جاهز، سيدي.
- المدعي العام (ينادي الشرطي بصوت متضجر): يا شرطي، ادخل المتهم الأول.
- الشرطي (بصوت أجش): حاضر سيدي. لكنهما متهمان، لا متهماً واحداً.
- المدعي العام: لماذا هما متهمان اثنان لا واحد؟
- الشرطي: جاء أمر القبض عليهما في لائحة واحدة.
- المدعي العام: لا بأس، ادخلهما معاً.
- الشرطي (بصوت جهوريّ أمر): ادخلا، أيها المتهمان.
- (يدخل رجل قويّ الجسد يلبس لباساً شبه عسكريّ، ويلف رأسه بحطة) غامقة اللون، ومعه امرأة رشيقة جميلة بادية الخوف والقلق والارتباك).

- الشرطيّ: المتهمان، سيّدي.
- المدّعي العامّ (بنبرة أمرة للرجل والمرأة): تقدّما.
- الشرطيّ (يدفع الرجل والمرأة بعنف باتجاه المدّعي العام):
تقدّما، أيها المتهمان.
- (الأصوات الرجاليّة والنسائيّة تتعالى من جديد)
- صوت ١: اخرجونا من هنا.
- صوت ٢: ألا يسمعنا أحد؟
- صوت ٣: لمَ نحن هنا؟
- صوت ٤: يا ظلمة، الطّفّل الرّضيع سيموت من الجّوع.
- المدّعي العامّ (منزعجاً موجّه كلامه للشرطيّ): اذهب إلى
أولئك الكلاب، واخرسهم بطريقتك.
- الشرطيّ (بجماس): حاضر، سيّدي.
- الكاتبة: هل أفتح صفحة جديدة، يا سيّدي؟
- المدّعي العامّ: نعم، افعلي ذلك.
- الكاتبة (وقد استعدّت للطباعة على الآلة الكاتبة): أنا جاهزة،
يا سيّدي.

- المدعي العام: اكتبني: إنه في يومه وتاريخه أستدعي المتهمان،
وعند سؤالهما أجابا.
- المدعي العام (ملتفتاً إلى الرجل): اسمك وعمرك ومهنتك
ومكان سكنك؟
- الرجل (بفخر وثقة): اسمي (X) ، وعمرى ٥٣ عاماً، وعملي
وطني تائر في الجبال، وأسكن شواهدق الجبال والتضال.
- المدعي العام (بهممة مجهولة المعنى): إذن أنت من الجبال؟
- الرجل (بفخر): نعم، أنا من الجبال.
- المدعي العام (مدعياً المعرفة): من الجبال الشرقية أم الغربية؟
- الرجل: لا فرق، كلها جبال الوطن.
- المدعي العام: ماذا تقول في التهمة المنسوبة إليك بتضييع
اسمك عن سبق إصرار وترصد؟
- الرجل (باستهتار): أنكر هذه التهمة المنسوبة إليّ، يا سيدي.
- المدعي العام (ملتفتاً إلى الكاتبة): اكتبني أنه اعترف بالتهمة
المنسوبة إليه.
- الرجل (بغیظ): لا، أنا لا أعترف بهذه التهمة الجائرة. ألم تسمع
ما قلته للتو، يا سيدي؟

- المدّعي العامّ (بتجاهل لسؤال الرّجل): ما دفاعك عن نفسك،
يا متّهم؟
- الرّجل (بانفعال): هم من سرقوا اسمي؟
- المدّعي العامّ: من هم؟ تكلم بوضوح يا متّهم؟
- الرّجل: هناك في الجبال حيث وطني، جاء الغرباء وسرقوا
اسمي وأسماء أبناء شعبي.
- المدّعي العامّ (بريبة): كيف سرقوا اسمك وأسماء أبناء
شعبك؟
- الرّجل: جاء الغرباء مدجّجين بالسّلاح، حاربونا، أحرقوا
الأراضي، جرفوا البساتين، قتلوا الأطفال، سبوا النّساء، وحرّموا لغتنا،
وأجبرونا على التكلّم بلغتهم.
- المدّعي العامّ (بملل وضيق): وماذا حدث بعد ذلك؟
- الرّجل: ثم سرقوا أسماءنا.
- المدّعي العامّ (بفضول): كيف فعلوا ذلك بالضبط؟
- الرّجل: الغرباء قالوا إنّ لغتنا عار، وإنّها تحرّضنا على التّضال
ضدّهم؛ لذلك منعونا من أن نسمّي أبناءنا بأسماء من لغتنا.
- المدّعي العامّ: إذن كيف تُختارون أسماءكم؟

- الرَّجُل: دولة الغرباء هي من تختار الأسماء لنا، وتفرضها علينا ضمن قائمة محدّدة من الأسماء التي لا يجوز لنا اختراقها. ومن يخترق هذه القائمة ينتظره السّجن والعذاب والتّفي وأحياناً القتل.
- المدّعي العامّ (بجماس): رائع، بدأنا نقرب من الهدف. وماذا اختارت دولة الغرباء اسماً لك؟
- الرَّجُل: لقد أحرقتُ ذلك الاسم في الجبل، وما عدتُ أذكره.
- المدّعي العامّ (بظفر): إذن هذه هي تهمتك الثانية.
- الرَّجُل (بدهشة): تهمتي الثانية؟ وما هي هذه التّهمة، يا سيّدي؟
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه إلى الكاتبة): اکتبي أنّ الإدعاء العامّ يجرّك ضدّه تهمة إحراق اسمه القانونيّ مع سبق الإصرار والترصدّ.
- الرَّجُل (باستنكار): وكيف يكون هذا الأمر تهمة؟
- المدّعي العامّ: لقد أحرقت اسماً اختارته لك الدّولة، ولذا يكون سلوكك جريمة ضدّ القانون دون شكّ.
- الرَّجُل: هي لم تكن دولة، بل عصابة من المغتصبين.
- المدّعي العامّ: بغض النّظر عن هذا الأمر، فاسمك اسم رسميّ، وليس من حقّك أن تحرقه.

- الرَّجُل: لكنّ هذه الدّولة دولة غاشمة ظالمة!
- المدّعي العامّ (بغضب): هذه دولة صديقة، ولنا معها اتّفاقيات سلام، ولا يجوز أن أسمح لك بالانتقاص منها، أو من هيبتها.
- الرَّجُل: لكنّهم سرقوا اسمي، وسرقوا أسماء أبناء شعبي.
- المدّعي العامّ: دعنا نعد إلى موضوع إحراقك لاسمك الرّسميّ.
- الرَّجُل (بكبرياء): كان يجب أن أحرق هذا الاسم المفروض عليّ بالقهر.
- المدّعي العامّ: ها أنت تعترف من جديد بحرق الاسم.
- الرَّجُل: حدّد موقفك، يا سيّدي. هل أنا متّهم بتضييع الاسم أم بإحراقه؟
- المدّعي العامّ (بمخرج): أنت متّهم بالجريمتين.
- الرَّجُل (بثقة): لا يجوز هذا الاتّهام المزدوج.
- المدّعي العامّ: ما المانع؟
- الرَّجُل: إمّا أن أكون قد ضيّعت اسمي، أو أن أكون قد أحرقته. لكن كيف لي أن أحرقه بعد أن ضيّعته على حدّ قولك؟ وإن كنتُ فعلاً قد أحرقته، فهذا يعني أنّي لم أضيّعه، وبالتالي أنا برئ من التّهمة الأولى، وهي تهمة تضييعه، وطالما أنّ التّهمة الثّانية مبنية على

التهمة الأولى، فهذا يعني أنها التهمة الثانية باطلة كذلك؛ لأنّ التهمة الثانية المبنية على تهمة أولى باطلة تبطل هي كذلك بالتداعي المنطقي. أليس حجاجي هذا قانوني تماماً؟

- المدعي العام (وهو مشوش لا يجيد فهم ما سمع): دعك من هذا الجدل البيزنطيّ العقيم.

- الرجل (بثقة): إنه ليس جدالاً بيزنطياً عقيماً، إنه تداعٍ منطقيّ يُضغع لمنطق القانون.

- المدعي العامّ (باستخفاف): هل حضرتك محامٍ أو قاضٍ أو حتى مدعٍ عامّ؟

- الرجل: لستُ أيّ من ذلك، إلا أنّ القانون ملك للجميع.

- المدعي العام (باحترار): هكذا علّموك في الجبل؟

- الرجل: هناك في الجبل علّمتُ نفسي بنفسي.

- المدعي العامّ: كيف؟

- الرجل: عبر القراءة بالتأكيد.

- المدعي العامّ (بدهشة): هل عندكم كتب في الجبل؟

- الرجل: بكلّ تأكيد، عندنا في الجبل مكتبة متنقلة لتثقيف الثوّار.

- المدعي العامّ (بدهشة): مكتبة في الجبل؟

- الرَّجُل: بِالطَّبْعِ، لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الثَّائِرَ جَاهِلًا.
- المدَّعي العام: هل هذه الكتب هي من علّمتك أن تحرق اسمك الرَّسْمِيّ؟
- الرَّجُل: هي من علّمتني أن أرفض الدّل والاستلاب والاستهانة.
- المدَّعي العام (يقول للكاتبه): اكتبي أنّه قد اعترف بحرق اسمه الرَّسْمِيّ.
- الرَّجُل: إنّه اسم غير رسميّ، بل هو من اختيار العصابة التي فرضته عليّ، وعلى أبناء شعبي.
- المدَّعي العام: إن كنت قد أحرقت اسمك الرَّسْمِيّ الذي وهبته لك العصابة على حدّ تعبيرك، فأين ذهبت باسمك الضّائع؟
- الرَّجُل: اسمي الحقيقيّ الذي أعترف به هناك في الجبل حيث أهلي وأصدقائي يناضلون في سبيل الحرّية. لقد خبأته هناك كي لا يصادره المغتصبون.
- المدَّعي العام: إذن تقرّ بتضيق اسمك عن سبق إصرار وترصد؟
- الرَّجُل (بإصرار): قلتُ لك إنني لم أضيع اسمي، إنّه هناك في الجبال يناضل حتى أعود إليه؛ لأكمل معه درب النّضال.

- المدّعي العامّ (بلوّم): هذه جريمة ثالثة: الاعتراف بالانخراط في الأعمال الإرهابية في الجبال. اکتبي ذلك، يا توحيدة.
- الكاتبة (تطبع على الآلة الكاتبة بمهارة وحماس): قد كتبتُ ذلك، سيّدي.
- المدّعي العامّ: إذن أنت إرهابيّ من إرهابي الجبال؟
- الرّجل: لستُ إرهابيّ، إنني نائر من الثّوار.
- المدّعي العامّ: ماذا تسمّي عملك هذا؟
- الرّجل (باعتراز): إنّه دفاع شريف عن الوطن.
- المدّعي العامّ (بتجريم): بل هو إرهاب وإجرام.
- الرّجل (بإصرار): بل أنا نائر.
- الكاتبة (بجنّث ولؤم، وهي تطبع على الآلة الكاتبة): هل أكتب أيضاً أنّه يملك اسماً غير قانونيّ؟
- المدّعي العامّ (بحماس): نعم، اکتبي ذلك.
- الرّجل (بتحدّ): اکتبي أيضاً أنّ اسمي الوحيد الذي أعترف به هو الاسم الذي وهبه أهلي لي بلغة شعبي.
- المدّعي العامّ (باستدراج): ما هو هذا الاسم؟

- الرَّجُل: إني لا أبوح لكم به خوفاً من أن تحرقوه، كما أحرقتم شعبي من قبل.
- المدعي العام (باستنكار): نحن لم نحرق شعبك؟
- الرَّجُل: بل أحرقتموه.
- المدعي العام: متى كان ذلك؟
- الرَّجُل: عندما قصفتم شعبي بالكيماويّ.
- المدعي العام: نحن لم نفعل ذلك، الحكومة من فعلت ذلك.
- الرَّجُل: لكنكم جميعاً صفتكم لمن قصفنا، ولم تستنكروا هذا الجريمة النكراء التي قتلت الأبرياء العزل.
- المدعي العام: أنتم السبب في ذلك.
- الرَّجُل: كيف؟
- المدعي العام: لو لم تثوروا في الجبال لما قُصف شعبكم.
- الرَّجُل: لو لم تقصفوا شعبنا الأعزل لما ثرنا في الجبال.
- المدعي العام (بغضب): هل أنت هنا لتحقق معي، أم لأحقق معك؟
- الرَّجُل: صاحب الحق هو من يجب أن يَحقق مع المجرم.
- المدعي العام: إذن أنا من يجب أن أحقق معك.

- الرَّجُل: الله والتَّاريخ والعدالة تعرف أنَّكم المجرمون، وأنا وشعبي أصحاب الحقّ.

- المدَّعي العامّ (بجزم محاولاً أن يهرب من الجدال مع الرَّجل):
إذن أنت تعترف بوضوح بأنك قد ضيّعت اسمك مع سبق الإصرار
والترصّد؟

- الرَّجُل (بصرامة): بل أتهمكم بأنكم قد سرقتم اسمي؛ لأنّه
بلغتي التي تناضل ضدّ قتلها وضدّ الاحتلال والظلم.

- المدَّعي العامّ (بغضب مفتعل): هل تتهمنا بكلّ وقاحة بسرقة
اسمك؟

- الرَّجُل (بشجاعة): نعم، أنتم من سرقتم اسمي، أنتم من سرقتم
لغتي، أنتم من جتتم من البعيد لتسرقوا أرضي وأهلي وجبلي. اسمي
هناك غريب ضائع خائف في الجبال، وأنا هنا دون اسم، لقد أجبرتموني
على أن يكون اسمي (X)، وهناك في الجبل اسمي باسم الثّورة
والثّور. المستعمرون كلّهم عبر التَّاريخ الإنسانيّ هم من سرقوا أسماء
الأبطال والمناضلين والثَّائرين في كلّ مكان.

- المدَّعي العامّ (أمراً الكاتبة): اكتبي أنّه اعترف بأنّه من أضاع
اسمه مع سبق الإصرار والترصّد.

- الرَّجُل (بشموخ): بل اكتبي أنّ اسمي ثائر.

- المدّعي العامّ (باستدراك قبل أن تطع الكاتبة ما قاله الرّجل):
لا تكتبي ما قاله هذا المجرم، اكتبي أنّ اسمه (X).
- الرّجل (بإصرار): بل اكتبي أنّ اسمي ثائر.
- المدّعي العامّ: بل اكتبي أنّ اسمه (X)، وأنّه يعترف من جديد
بأنّه قد ضيّع اسمه عن سبق إصرار وترصدّ.
- الرّجل (بتحدّي): بل اكتبي أنّي اتهمكم بسرقة اسمي، نعم،
أولئك الغرباء سرقوا اسمي وأسماء أبناء شعبي وأسماء المناضلين
أجمعين عبر التّاريخ، ووهبونا جميعاً اسم (X)؛ لنكون الغرباء في
أوطاننا.
- المدّعي العامّ: نقرّر تجديد توقيف المتّهم (X) لأسبوع آخر على
ذمّة التّحقيق.
- الرّجل: اكتب أيضاً أنّي اتّهم التّاريخ بتزوير الحقائق، وسرقة
اسمي؟
- المدّعي العامّ: هل أنت مجنون أيّها المتّهم؟
- الرّجل: هل أنتم عاقلون عندما تتهمونني بتضييع اسمي؟
- المدّعي العامّ (بإصرار): لكنك أضعته.
- الرّجل (بثقة): بل هم من سرقوه منّي.

- المدّعي العامّ (بإنكار شديد): هم لم يسرقوه منك.
- الرّجل: بل هم من سرقوه منّي.
- المدّعي العامّ: من هم؟
- الرّجل (بتأفف): الأعداء الذين يغيرون على الأمنين، ويسرقون بلادهم، ويعتدون على أملاكهم، هم من سرقوا اسمي، وسرقوا أسماء المظلومين جميعهم.
- المدّعي العامّ (باستنكار): هل أنت مظلوم؟
- الرّجل (باعتراز): أنا مناضل في الجبال ضد أعداء وطني. فهل هذه جريمة في نظرك؟
- المدّعي العامّ (باستدراج): هل قتلت الأعداء وأنت في الجبال؟
- الرّجل: قتلت الكثير منهم، وسأقتل التاريخ الذي يظلمني، ويظلم شعبي؟
- المدّعي العامّ (بسخرية): هل تطلب أيضاً أن نجرّم التاريخ لأجلك أيها القاتل المتوحّش؟
- الرّجل: التاريخ مجرم بحق. وأنا لستُ قاتلاً، بل أنا أدافع عن وطني وشعبي واسمي وحقّي في الحياة.
- المدّعي العامّ (باستهتار): كيف؟

- الرَّجُل: أَدافع عن قضيتي بيدي هاتين.
- المدَّعي العامّ (باستهزاء): وماذا عن الكتب؟ ألن تُقاتل الأعداء بها كذلك.
- الرَّجُل (بعزم وصلابة): سأقاتل أعدائي بجسدي ودمي وثقافتي وقلبي وعمري وأحلامي وصبري وحقّي وإيماني.
- المدَّعي العامّ (يهمس للكاتبة): من الواضح أنّه رجل مجنون.
- الكاتبة: بكلّ تأكيد هو كذلك.
- المدَّعي العامّ: قرّرنا إحالة المتهم (X) إلى الطَّبيب المختصّ لمعاينة قواه العقليّة.
- المرأة (باعتراض): لكنّه ليس مجنوناً.
- المدَّعي العامّ: بل هو كذلك.
- الكاتبة (بشهوة حيوانيّة): أنا أراه مثيراً جدّاً، وهو مجنون.
- المرأة: بل هو عاقل صاحب حقّ.
- المدَّعي العامّ: بل هو مجنون ومجرم.
- الكاتبة: كم يبدو شهياً وهو مجنون! جسده رائع ومثير، وعيناه بفضاء لا حدود له.
- المدَّعي العامّ (مشمئزاً): هذا ليس وقت الغزل، يا توحيدة.

- الكاتبة (بشبق): لكتّه مثير جداً، لا بدّ أنّه فحل متوحّش.
- المدّعي العام (بصرامة): صه.
- الكاتبة: ليتك تأمر بأن يُسجن معي في سجن انفراديّ ليوم كامل.
- المدّعي العام (هامساً لنفسه): ليتني أستطيع أن أسجنك في الجحيم حتى أبد الدهر.
- الرّجل: أنا أفضل أن أموت ألف ميتة على أن أعاشر هذه القبيحة.
- الكاتبة (بمقد): تستحق مصيرك الأسود الذي ستلقاه الآن.
- المرأة: إنّهُ بطل.
- المدّعي العامّ: لقد اعترف قبل دقائق بأنّه مناضل في الجبال.
- المرأة (باستغراب): هل النّضال جنون؟
- المدّعي العام: بكلّ تأكيد.
- المرأة (باستهجان): كيف؟
- المدّعي العامّ: النّضال جعله يضيّع اسمه، هو الآن دون اسم، إذن هو في محنة، بل هو متورّط في جريمة ضدّ القانون؛ لذلك هو مجنون.

- المرأة (بازدراء): ما هذا الهراء؟
- الكاتبة: تأدّبي، يا امرأة. أنتِ في حضرة سعادة المدّعي العامّ الأول في العاصمة.
- المدّعي العامّ (بنبرة أمرة محاولاً ردّ اعتباره): يا شرطيّ، خذ هذا المتهم إلى السّجن إلى حين عرضه على الطّبيب المختصّ.
- (يدخل الشرطيّ، ويسحب الرّجل الذي يصرخ دون توقّف: لقد سرقتم اسمي، لقد سرقتم اسمي، يا سارقون، اعيدوا لي اسمي، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المرأة (بجماس): نعم، أعيدوا لنا أسماءنا.
- الكاتبة (بتفوّز): مجرمون.
- المدّعي العامّ (بطريقة تمثيلية): بل مجانين.
- (الأصوات الرّجالية والنسائية تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المرأة (بجماس أكبر): نعم، نريد أسماءنا.
- المدّعي العامّ: اخرسي، يا متّهمة. لا تتكلّمي إلّا عندما أسألك.
- المرأة (بتحدّ): إذن اسألني لأجيبك، ولأخرج من هذا المكان القميء.

- الكاتبة (مستهزئة): هي متفائلة بقرب خروجها من هنا.
- المدعي العام: اکتبي إته في يومه وتاريخه أستدعيت المتهمه، وعند سؤالها أجابت.
- الكاتبة (تطيع على الآلة الكاتبة بمهارة وسرعة، وتقرأ آخر كلمة طبعتها): أجابت...
- المدعي العام: اسمك؟ وعمرك؟ ومهنتك؟ ومكان سكنك؟
- المرأة: اسمي (X)، وعمري ٣٢ عاماً، وليس لي مهنة، وأسكن في الوطن العربي.
- المدعي العام: إن لم يكن لك مهنة، فكيف تعاشين؟
- المرأة: حبيبي ينفق عليّ.
- الكاتبة (باهتمام): يجب على الرجل أن ينفق على خليلته.
- المرأة (باستدراك): أنا لست خليلته، أنا زوجته.
- الكاتبة (بحيية أمل): هو زوجك إذن؟
- المدعي العام: إن لم يكن عندك مهنة، فكيف تقطعين أيامك؟
- المرأة (بفخر): أقطعها بالعشق، فأنا امرأة عاشقة.
- المدعي العام (بسخرية): هل العشق مهنتك؟
- المرأة (بنبرة حاملة): شيء من هذا القبيل.

- الكاتبة (بمكر): هل كلمة عاشقة تعني عاهرة؟ هل أكتبُ أنّ مهنتها هي عاهرة؟

- المدّعي العامّ (بارتباك): ربما.

- الكاتبة (بغضب، وهي تكاد تنقضّ على الكاتبة): يا مجرمة، اکتبي عاشقة، ألا تعرفين معنى عاشقة؟ إنّها كلمة تعني أن تكوني امرأة كاملة الوجود، هي أن لا تكوني قبيحة ووحيدة وقاسية وفضّة، عاشقة تعني أنّك إنسانة حقيقية تملك قلباً نابضاً، عاشقة تعني أنّ هناك قلب رجل في هذا الكون يقرع لك دون غيرك من نساء الأرض.

- المدّعي العامّ (محاوفاً فضّ الجدل بين الكاتبة والمرأة): اسكتي، يا توحيدة، اخرسي أيها المتهمّة الوقحة.

- المرأة: بل هي الوقحة.

- المدّعي العامّ: ويحك، اخرسي، إن نطقت بكلمة واحدة أخرى دون أن آذن لك، فسوف ألقى بك في السّجن من جديد.

- الكاتبة (بكيده ولؤم): ليتك تفعل ذلك، يا سيّدي. بل يجب أن تفعله.

- المدّعي العامّ (هامساً للكاتبة): أعدك بأنني سأفعل ذلك، ولكن هي لي بعض الهدوء حتى أنهي التّحقيق معها.

- الكاتبة (بجنت وتعال): أسرع في ذلك، لا أطيق رؤيتها أمامي.
- المدعي العام (موجهاً كلامه للمرأة): أنت متهمه بتضييع اسمك مع سبق الإصرار والترصد. هل تقرين بهذه التهمة المنسوبة إليك؟
- المرأة (بإصرار): أنكر هذه التهمة جملة وتفصيلاً.
- الكاتبة (بلؤم وكيد): هل أكتب أنها قد اعترفت بالتهمة المنسوبة إليها؟
- المدعي العام (هامساً لها): نعم، اكتبي أنها قد اعترفت بها.
- الكاتبة: هل أكتب أنها كانت تمارس الدعارة.
- المدعي العام: دعيني أفكر في الأمر.
- المدعي العام: هل تنكرين تهمة الدعارة؟
- المرأة: عن أي دعارة تتكلم؟ أنا أنكر تهمة تضييع اسمي.
- المدعي العام (بفضول): إذن ما هو اسمك؟
- المرأة (بجزن): اسمي هو (X).
- المدعي العام: إذن تقرين بأنك دون اسم.
- المرأة: أنا لم أضيّع اسمي، المجتمع هو من سرق اسمي.

- الكاتبة (بجماس): يا سيدي، هل أكتب أنها تقدح في مقامات عليا؟

- المدعي العام (برضا): تبدو لي هذه تهمة مناسبة لهذه المرأة الوقحة.

- المرأة: يا سيدي، أنا لا أقدح في أيّ مقامات عليا، لكنّ المجتمع هو من سرق اسمي، العادات والتقاليد هي من سرقت اسمي.

- المدعي العام: أيضاً تقدحين في العادات والتقاليد؟ سجّلي أقوالها بكلّ دقة، يا توحيدة؛ كي ندينها بالحجّة الدامغة أمام القاضي الذي سيحاكمها.

- الكاتبة (بجماس): حاضر، سيدي.

- المدعي العام (باستهزاء): لماذا يسرق المجتمع والعادات والتقاليد اسمك يا هذه؟

- المرأة (بفخر وثقة): لأنني عاشقة.

- المدعي العام: هل يسرق المجتمع أسماء العاشقين؟

- الكاتبة: ألم أقل منذ رأيتها أنها عاهرة؟ أنا أعرف هذا الصّنف من النّساء الرّخيصات.

- المدعي العام (بنبرة ذات معنى): أثقّ تماماً في أنّك تعرفين جيداً صنف النّساء الرّخيصات.

- الكاتبة (بتهديد): ماذا تقصد بكلامك هذا؟
- المدعي العام (بتحرّج): أقصد أنّها كما وصفت.
- المرأة (بتوسّل): ياسيدي، أرجوك لا تظلمني. اسمعني بإنصاف أولاً، ثم أصدر حكمك.
- المدعي العام (يحاول تكمّص دور الحيادي): لست أنا من يصدر الحكم في قضيتك، إنّ المحكمة هي المخوّلة بذلك، إنّما أنا أحقّق في ملف اتّهامكم جميعاً بتضييع أسمائكم، وبمجرّد الانتهاء من التّحقيق معكم سوف أرفع الملف إلى القاضي المختصّ ليقضي في هذا الأمر.
- الكاتبة (بشماتة): لا بدّ أنّ قضيتكم ستُرفع إلى محكمة أمن الدّولة.
- المدعي العام: أعتقد أنّي سأرفعها إلى محكمة الجنايات الكبرى.
- المرأة (بسخرية): محكمة الجنايات الكبرى؟
- المدعي العام: بكلّ تأكيد؛ فتضييع اسم وهبتك الدّولة إيّاه هو جريمة تستحقّ العقاب الشّديد عليها.
- الكاتبة (بتأكيد): العقاب الشّديد دون رحمة.
- المرأة: إذن عليك أن تعاقب المجتمع الذي سرق اسمي.

- المدعي العام: المجتمع لم يسرق اسمك، بل أنت من أضعت هذا الاسم الرسمي.

- المرأة: هذا غير صحيح.

- المدعي العام (متحدياً): إذن ما هو اسمك؟

- المرأة (بانكسار): لا أعرف. بحق لا أعرف ما هو اسمي.

- المدعي العام (بانتصار): ألم أقل لك إنك أنتِ المسؤولة عن

اسمك؟

- المرأة: بل المجتمع سرقه مني؛ لأنني عشقتُ.

- المدعي العام (باستغراب): هل يسرق المجتمع أسماء العاشقات

والعاشقين؟

- المرأة: نعم، إنه يسرق أسماء النساء العاشقات، ويعاقبهن بشدة.

- المدعي العام: يعاقبهن على ماذا؟

- الكاتبة (باحترار): يعاقبهن على الخطيئة بكل تأكيد.

- المرأة: لا، أنا لست خاطئة، بل عاشقة.

- المدعي العام: إذن اسمك عاشقة؟

- المرأة مجزن: لا، المجتمع لا يسميني عاشقة، بل يسرق اسمي،

ويتركني دون اسم عندما أعشق. يفعلون ذلك دائماً مع كل امرأة عاشقة.

- المدّعي العامّ: ماذا يسميكِ أهلك؟
- المرأة (بأسى وانكسار): لم يعد أهلي يذكرون اسمي، لقد نسوه تماماً، منذ عشقتُ وهربتُ مع من أعشقه، وتزوَّجتُ به دون رضاهم وهم قد نسوا اسمي، بل نسوا أنّي ابنتهم.
- المدّعي العامّ: إذن هم من أضاعوه؟
- المرأة: المرأة (مدافعة عن أهلها): لا، أهلي لم يضيعوا اسمي، المجتمع هو أرغمهم على ذلك، فنسوا اسمي، لقد عبّروهم جميعاً بي، وأجبروهم على لفظي إلى الأبد.
- المدّعي العامّ: لماذا؟
- الكاتبة: لأنّها خاطئة دون شكّ.
- المرأة: لا، لستُ خاطئة، لم أقترف الخطايا في حياتي كلّها، ولكنّهم أرادوا أن يجبروني على الزواج بمن أرادوا، وأنا أردتُ أن أتزوَّج من أحبّ قلبي.
- المدّعي العامّ: إذن خرجتِ عن رغبتهم؟
- المرأة (بجزن): فعلتُ ذلك مكرهة، لقد أجبروني على ذلك، لقد هربتُ منهم نحو الرّجل الذي أحبه.

- الكاتبة (بشماتة): يا للعار! لقد نكّست رؤوسهم أمام الجميع. تستحقّين الموت. ومن المؤكّد أنّ حبيبك قد رفض الزّواج بك بعد أن قضى وطره منك.
- المرأة: هذا غير صحيح، لقد تزوّجنا منذ دهر. وأنا أحمل طفلنا الأوّل في أحشائي هذه.
- الكاتبة: هو طفل سفاح لاشكّ.
- المرأة: بل هو طفل شرعيّ، هو ثمرة زواج شرعيّ.
- المدّعي العامّ: إذن أين المشكلة؟ هو زوجك الآن، وهذا الجنين في أحشائكما هو ثمرة زواج شرعيّ.
- المرأة: لقد أصبح زوجي، لكنّ أهلي لم يغفروا لي أنّي عشقته، وهربتُ معه، وظلّوا يعدّون زواجي بمن أحببتُ سفاحاً.
- المدّعي العامّ: هذه جريمة أخرى تضاف إلى جريمتك الأولى.
- المرأة (دون مبالاة): ما هي هذه الجريمة؟
- المدّعي العامّ (متلعثماً بكلامه يحاول أن يبحث عن الكلمات المناسبة): أعتقد أنّها جريمة هدم أسرة، لقد هدمتِ أسرتكِ بهروبك مع هذا الرّجل.

- المرأة (بثقة): أليس من حقّي أن أحبّ، وأن أختار الرّجل الذي سأعيش معه طوال حياتي؟
- المدّعي العامّ: يجب أن لا تخرجي عن رغبة أهلك.
- الكاتبة (بجثث): المرأة الشّريفة تطيع أهلها في الأمور جميعها.
- المدّعي العامّ (يكرّر الكلام كاللبغاء): نعم، المرأة الشّريفة تفعل ذلك.
- المرأة (باستسلام): لكن قلبي يعشق رجلاً آخر.
- المدّعي العامّ: المرأة العفيفة لا تعشق أيّ رجل كان.
- المرأة (ساخرة ومستنكرة): إذن المرأة العفيفة تكون جماداً يُباع، ويُشترى دون أدنى احتجاج منه.
- المدّعي العامّ (بتصنّع): المرأة العفيفة لا تعرف العشق إلّا بعد الزّواج.
- الكاتبة (بجثث): لا فوضّ فوك، يا سوسو.
- المدّعي العامّ (باحتجاج، موجهّاً كلامه للكاتبة): لا تناديني باسم سوسو.
- الكاتبة: المرأة العفيفة لا تعرف العشق إلّا بعد الزّواج.

- المرأة: هذا ظلم، أنتم ظالمون مثل هذا المجتمع الذي سرق اسمي. كان اسمي في الماضي جميلاً رقيقاً رخيماً، لكنني الآن دون اسم، لقد سرق المجتمع اسمي، لقد تبرأت أسرتي مني، ولفظني أقاربي جميعهم، وطرّدوني من حياتهم؛ لأنني صمّمت على أن أتمسك بالرجل الذي أعشقه.

- الكاتبة (بكيده ولؤم): كان عليك أن تعشقي الرجل الذي اختاره أهلك لك.

- المرأة: أيتها الحمقاء الجاهلة من يملك قلبه ليحكمه؟ العشق فوق كلّ قرار.

- الكاتبة: يا سيدي، ألم أقل لك أنّها امرأة خاطئة آثمة ملوثة؟

- المدعي العام: نعم، هي كذلك بكلّ تأكيد.

- الكاتبة: هذا ما سيثبت القضاء، ويقرّ به القانون.

- المرأة: في مجتمعاتنا يقتلون كلّ شيء باسم القانون، حتى الحبّ يقتلونه باسم القانون.

- المدعي العام: القانون لا شأن له بجريمتك. أنت من أضعت اسمك.

- المرأة (بغضب): لا، لم أضعه، قلتُ لك ألف مرّة إنّ المجتمع هو من سرقه منّي.

- المدعي العام (بعصبية وانفعال): هل عليّ أن أحقق مع المجتمع كلّهُ لأجلك؟

- المرأة: ما الضير في ذلك، التحقيق مع المجتمع كلّهُ مهمّة ليست مستحيلة بالنسبة لك، لا سيما أنّ هناك الكثير من رجال المجتمع ونسائه موقوفون في سجن النيابة العامّة على ذمّة تحقيق ما!

- المدعي العام (مدافعاً عن نفسه): هؤلاء متّهمون بتضييع أسمائهم.

- المرأة: المجتمع كذلك متّهم بسرقة اسمي.

- المدعي العام: أنتِ من خرجتِ على أعراف المجتمع.

- الكاتبة: فاستحققتِ عقابه القاسي.

- المرأة: لم أقترف فعلاً سوى العشق، فقط العشق، فعاقبني المجتمع عليه، عائلي أنكرتني، وسرقوا اسمي منّي، وعدّوني لم أكن، وها أنذا وحيدة في هذه الحياة دون عائلي، ودون اسمي؛ لأنني عاشقة!

- الكاتبة (شامته): بسبب الحبّ أصبح اسمك (X).

- المرأة: بسبب الحبّ أنا الآن أملك الأسماء كلّها.

- المدعي العام (يقلب الأوراق التي أمامه بقلق بعد أن وضع نظارته على عينيه): كيف تملكين الأسماء كلها، محاضر التحقيق الأولية التي أمامي تقول إنك دون اسم، وإنك تُدعين تجاوزاً باسم (X)، فكيف تزعمين أنك تملكين أكثر من اسم؟

- الكاتبة: أعتقد أنها جريمة أخرى قد اقترفتها.

- المدعي العام (بضجر): أعتقد أننا قد أسندنا إليها الكثير من التهم.

- الكاتبة (بمقعد): هي تستحقّ الجحيم.

- المدعي العام: أعدك بأنني سأفعل ذلك في أقرب فرصة.

- الكاتبة: أنا أنتظر تنفيذ وعدك في أقرب وقت.

- المدعي العام: هل تملكين أكثر من اسم أيتها المرأة؟

- المرأة: سيدي المدعي العام، من تعشق تتلبسها أرواح العاشقات عبر التاريخ، تملك دفعة واحدة أسماء العاشقات جميعهن، أنا الآن كلّ امرأة عاشقة مرّت في تاريخ الإنسانية، أنا نساء العشق جميعهنّ، أنا ليلي المجنون، وبثينة جميل، وعزة كثير، وعفراء عروة، أنا النساء العاشقات كلهن.

- الكاتبة (بتحريض): إنها امرأة مجنونة دون شكّ.

- المدّعي العام: هل قلتِ لي أنّك تملكين أسماء النساء العاشقات جميعهنّ؟
- المرأة (بفخر): بكلّ تأكيد.
- المدّعي العام: هل أنتِ بثينة؟
- المرأة: نعم.
- المدّعي العام: هل أنتِ ليلي؟
- المرأة: نعم.
- المدّعي العام: هل أنتِ عزّة؟
- المرأة: نعم.
- المدّعي العام: هل أنتِ عفراء كذلك؟
- المرأة: بكلّ تأكيد.
- المدّعي العام: هل أنتِ متأكدة من ذلك؟
- المرأة (بثقة): سيّدي، أخبرتك سابقاً أنّي أجمع في أعماقي نساء الكون العاشقات، وأنّني أتطهّر بأسمائهم جميعاً، وأنّني طريدة أهلي، ولكّني عشيقة العاشقين جميعاً.
- الكاتبة (بحماس): إنّها تقرّ من جديد بممارسة الرّذيلة، هي قالت بلسانها إنّها عشيقة العاشقين أجمعين.

- المدعي العام: اکتبي اعترافها.
- الکتابة (بتشف): لقد فعلتُ للتو.
- المدعي العام: اکتبي كذلك: أقرّر تجديد حبس المتهمّة (X) إلى حين عرضها على الطّبيب المختصّ للتأكد من قواها العقلية.
- المرأة (تضحك بهسيّرية): إذن أنا مجنونة؟
- الکتابة (شامتة): بكلّ تأكيد.
- المرأة (هازئة): هذه التّهمة تناسبني جدّاً، أنا الآن مجنونة وعاشقة. هذا جميل جدّاً؛ العشق يناسبه الجنون، والجنون يناسبه العشق.
- المدعي العامّ (بحث): إذن أنتِ تعترفين بالتّهم الموجهة إليك؟
- المرأة (باستخفاف): هل أصبحت تهمني مجموعة تهم؟ كنت أظنها تهمة واحدة لا غير.
- الکتابة: بل أصبحت التّهمة مجموعة تهم. تستحقين الإعدام حتى دون محاكمة.
- المدعي العامّ: تهمة تضييع اسمك، وتهمة الجنون، وتهمة الدّعارة.
- المرأة (باستخفاف): هل الجنون تهمة أم مرض؟

- المدّعي العام (يشعر بالإحراج): يا شرطيّ، خذ هذه المتهمة إلى السّجن، وأدخل المتهم التّالي.

- المرأة: مرحى لك، أيّها المدّعي العامّ العادل.

- المدّعي العامّ (بعصبية وقلق): ماذا تقصدين بكلامك هذا؟ لعنة الله عليك.

- المرأة: أنا مجنونة لها أن تهذي بما تشاء، أتعرف كيف يبدو حبيبي؟

- الكاتبة (بفضول): كيف يبدو يا هذه؟

- المرأة (حاملة و وهى): حبيبي أرقّ من نسمة، وأجمل من قصيدة، وأقرب من زفرة، إنّه رائق مثل بحيرة صافية، قويّ كجبل، ضعيف كوجلة قلب، إنني أنتظره منذ ألف عام، حبيبي خُلق بطريقة قادرة على إسعاد قلبي، لقد خُلق من أجلي، وخُلقت من أجله.

- الكاتبة (بجسد): كان عليك أن تقاومي هذا الحبّ.

- المرأة: حاولتُ ذلك مراراً وتكراراً.

- المدّعي العامّ (باستهزاء): هل نجحتِ في ذلك؟

- المرأة (بعجز واستسلام): لا، لقد عجزتُ عن مقاومة من أعشقه؛ فالعشق يسكن ما بين الحشا والروح، هو يسرق الروح، ويأكل الأنفاس، ويقتل الصّبر.

- الكاتبة (بغيرة): هل هو فارس مثل الفارس الذي أحلم به؟
هل يبدو مثل ذلك الثائر الذي أرسلناه للتو إلى الجنون؟
- المرأة: الفرسان جميعاً متشابهون، إلا أنّهم مختلفون.
- الكاتبة: وماذا عن فارسك؟
- المرأة: ليس الأجهل، ليس الأطول، ليس الأكثر وسامة، ليس الأكرم، لكنّه الأكثر شهامة وصبراً ووفاء، قلبه اتسع لحبّ وطنه، وشملي بهذا الحبّ، هو يعرف كيف يسعدني بكلمة واحدة، وكأنّه هو من ربّاني، هو الأشرس مع البشر كلّهم، لكنّه الأضعف أمام عشقتنا، أحبّ شراسته بقدر حبّي لضعفه الأسر.
- المدعي العامّ (بحق ذكوريّ واضح): أنتِ مخدوعة به، بالتأكيد هو ليس فريد عصره، لا بدّ أنّ هناك الكثير من الرجال الذين يستحقّون عشقك.
- الكاتبة (باستهزاء): مثلك؟
- المدعي العامّ (بتلثم): لا أعني نفسي.
- المرأة: كلّ شيء كان مخطّط له بدقّة، الله خلقني بطبيعة عاشقة له دون سواه، لأجله حفظتُ كلام العشق كلّهُ.
- الكاتبة (بشماتة): ولأجله خسرتِ أهلك ومجتمعك؟

- المرأة: ما كنتُ أعرفُ أنّ العشيرة تكفر بالحبّ، وأنّ مجتمعاتنا الشرقيّة تطعم العاشقين للنّار؛ إنّهُ مجتمعٌ ينجل من الحبّ، ويجاهر بالكره.

- الكاتبة: كان عليك أن تهربي من هذا العشق.

- المرأة: قلتُ إنّني حاولتُ ذلك، ولكنني لم أنجح في تحقيقه.

- المدّعي العامّ: كان عليك أن تحاولي أكثر.

- المرأة: لقد فعلتُ ذلك، هربتُ منه، ثم عدتُ إليه؛ لأنني لم أعرف كيف أحصل على الصبر، البعد عنه كان مؤلماً كشوكة، قاسياً كصاعقة، بارداً كصخرة، وأنا قرّرتُ أن أمرّ في هذه الحياة بوزر العشق.

- الكاتبة (بشماتة): ها قد ضيّعتِ اسمك لأجل هذا الحبّ.

- المرأة: أنا لم أضيّعه. المجتمع من سرقه.

- الكاتبة: عادت هذه المرأة إلى هذيانها من جديد.

- المدّعي العامّ: يا شرطيّ، خذها إلى سجن الثّياب العامّة.

- المرأة (بظرب وسعادة): يا إلهي، كيف نستسلم للحبّ؟

ونعطيه مفاتيح الأمان؟

وإليه نحمل الشمع وعطر الزّعفران؟

كيف ننهّار على أقدامه مستغفرينا؟

- كيف نسعى لحماه قابلينا؟ كلّ مايفعل فينا*
- المدّعي العامّ: المتّهم (X) الذي يليها.
 - الشرطيّ: حاضر سيّدي.
 - المدّعي العامّ: اسرع في إحضاره.
 - الشرطيّ (بارتباك واستدراك): لكنّهم جميعهم يحملون اسم (X)، فمن أحضر منهم؟
 - المدّعي العامّ: احضر أيّاً منهم.
 - الشرطيّ: سمعاً وطاعة، يا سعادة المدّعي العامّ.
 - (الأصوات الرّجاليّة والنّسائيّة تتعالى من جديد خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
 - المدّعي العامّ (أمراً الشرطيّ): اسكتْ أولئك المجرمين.
 - الشرطيّ (بصراخ غاضب): اخرسوا، يا أولاد الكلب.
 - المدّعي العامّ (يدندن بصوت منخفض): كيف نسعى لحماه قابلينا؟ كلّ ما يفعل فينا.
 - الكاتبة (مستهجنة ترديده لأشعار المرأة): سيّدي، ماذا تقول؟

* - من أشعار الشاعر نزار قباني.

- المدّعي العامّ (مخرجاً): لاشيء. مجرد كلمات عالقة في ذهني.
- (يدخل الشرطيّ من جديد يدفع أمامه شاباً طويلاً القامة أشعث الشعر، ومعه امرأة عجوز تحمل طفلاً رضيعاً يبكي دون توقّف).
- المدّعي العامّ: من هؤلاء أيّها الشرطيّ.
- الكاتبة (بنبرة العارف لكلّ شيء): إنّهم جميعاً متهمون بتضييع أسمائهم.
- المدّعي العامّ (موجّها كلامه للشرطي): لماذا لا تدخلهم عليّ فرداً فرداً؟
- الشرطيّ: أمر اعتقالهم جاء مشتركاً.
- المدّعي العامّ (مشيراً للشاب): تقدّم.
- المرأة العجوز (وقد تقدّمت خطوة، وهي تمسك بذراع الشاب، وتحثّه على أن يخطو خطوة إلى الأمام): سيّدي، إنّه فاقد لذاكرته، ولا يدرك ما يدور حوله.
- المدّعي العامّ: ومن تكونين له؟
- المرأة العجوز: أنا أمّه.

- المدّعي العامّ: وهذا الطّفل المزعج الذي يبكي دون توقّف من يكون؟
- المرأة العجوز: هو طفل وجدناه في بين ركام الحرب.
- المدّعي العامّ: أيّ حرب؟
- المرأة العجوز: حرب اليهود على غزّة في رمضان؟
- المدّعي العامّ: أيّ رمضان؟
- المرأة العجوز: رمضان عام ٢٠١٤.
- المدّعي العامّ (باستغراب): هل كان هناك حرب على غزّة في رمضان؟
- المرأة العجوز (باستهزاء): يبدو أنّك لا تتابع الأخبار التي تحدث في العالم. هناك حرب موصولة على غزّة في كلّ وقت.
- المدّعي العامّ (بتعالم): بل أتابعها بشكل جيّد.
- المرأة العجوز (باستخفاف): تتابعها، ثم لا تدري أنّ هناك حرباً جائرة ومدمّرة شتّت على أهل غزّة لواحد وخمسين يوماً؟
- المدّعي العامّ (يميل نحو الكاتبة، ويهمس لها): أين تقع غزّة هذه التي تتكلّم عنها هذه العجوز؟

- الكاتبة (بغنج ودلال): وما أدراني أنا بهذا الأمر؟ أنا غير معنيّة في الجغرافيا الأرضيّة. أحبّ فقط جغرافيا الأجساد الدّكوريّة.
- المدّعي العامّ: ألا تقع غزّة في جزيرة ما؟
- الكاتبة (بتعلم وزهو): لعلها تقع بلد في إفريقيّ أو في جزيرة في المحيط الهادي.
- المدّعي العامّ: لم هذا الطّفل معك؟
- المرأة العجوز: لقد أسّتشهد أهله أجمعين تحت الأنقاض بعد أن قصف الطّيران الصّهيونيّ الغاشم بيت عائلته، ولم يبقَ له أحد في الدّنيا، فأخذته تحت جناحي أراعاه حتى يكبر، وينتقم لأهله الشّهداء الذين قتلهم الصّهاينة وهم صوّام قوّام.
- المدّعي العامّ: ماذا كان اسم عائلته؟
- المرأة العجوز: قبل استشهادهم لم أكن أعرف اسم عائلته، ولكن بعد استشهاد أفراد أسرته أجمعين حملوا جميعاً اسم الشّهيد.
- المدّعي العامّ: إذن هذا الطّفل دون اسم؟ هو الطّفل (X).
- المرأة العجوز (باستنكار): هذا طفل لا يحتاج إلى اسم محدّد.
- المدّعي العامّ (بتعجّب): ولم ذلك؟

- المرأة العجوز: هو فلسطيني، وهذا اسم جامع مانع، من اسمه فلسطيني لا يحتاج إلى اسم آخر.
- المدعي العام (بانزعاج): هل أنت مجنونة يا هذه؟
- المرأة العجوز (بتأفف وتقزز): بل أنت يا سيدي من لا تعرف تاريخ الأسماء والحقائق.
- الكاتبة (بغضب مصطنع): تأدبي يا عجوز البين، أنت في حضرة المدعي العام الأول في العاصمة.
- المدعي العام (محاوياً تغيير الموضوع): أيتها المرأة العجوز، أنت وهذا الشاب وهذا الطفل متهمون جميعاً بجرمة تضييع أسمائكم. فماذا تقولين بهذه التهمة المنسوبة إليكم أجمعين؟
- العجوز (وهي تهزّ الطفل لتسكته غير آبهة بالتهمة المنسوبة إليها): يا سيدي هذا الطفل سيموت من الجوع. هل يمكن أن تأمر أحد رجال الشرطة بتقديم الحليب له.
- المدعي العام (بتعالٍ): لك ذلك، لكن بعد أن ينتهي التحقيق معك.
- المرأة العجوز (باحتراس): سيموت الطفل حتى ذلك الوقت.

- المدّعي العامّ (هازناً): أليس طفلاً فلسطينياً؟ عليه أن يكون شجاعاً صبوراً مثل أهله الذين -وفق كلامك- لا يحتاجون إلى الأسماء.

- المرأة العجوز (باحقار): هل عليك أن تكون متريثاً ظلوماً مثل العالم بأسره؟

- المدّعي العامّ (بغضب مصطنع): ماذا تقولين؟ أيتها العجوز الشّمطاء.

- المرأة العجوز (بجراً وثبات): أردّ على سؤالك يا سيّدي.

- المدّعي العامّ (بغضب): أكرّر سؤالي للمرّة الأخيرة: ماذا تقولين بالتّهم المنسوبة إلى ثلاثتكم بشأن تضييع أسمائكم عن سبق إصرار وترصد؟

- المرأة العجوز: أقول ربنا لم يروه، ولكن بالعقل أيقنوا بوجوده.

- المدّعي العامّ (بغباء): لم أفهم معنى كلامك!

- المرأة العجوز: سيّدي الكريم، امرأة عجوز وطفل رضيع وشاب مريض فقد ذاكرته بين التعذيب وبين الدفن حيّاً في نفق من أنفاق المجاهدين في غزّة كيف لهم أن يضيعوا أسماءهم؟

- المدّعي العامّ (بفضول): إذن من أضعائها؟

- المرأة العجوز: لم يضعها أحد، وكيف يضع فلسطيني اسمه؟ هذا لا يكون، إنما أسماؤنا جميعها قد سُرقت.
- المدّعي العامّ (دون مبالاة): ومن سرقها يا ترى؟
- المرأة العجوز: سرقها العالم الصّامت عن احتلال فلسطين وإبادة شعبها.
- المدّعي العامّ (بقلق): هذا كلام خطير. عليك التراجع عنه.
- المرأة العجوز: وسرقها الصّهاينة كذلك.
- المدّعي العامّ (بجوف وقلق): هذا يستحيل، هم حلفاؤنا، بيننا وبينهم عهد سلام ومواثيق حسن جوار.
- المرأة العجوز: منذ متى هناك عهد ومواثيق مع الصّهاينة؟
- المدّعي العامّ (بفرع): إياك أن تسجّلي حوارنا هذا، يا توحيدة. هذه المرأة المجنونة سوف تأخذنا إلى الجحيم الذي لا طاقة لنا به.
- المدّعي العامّ (بصرامة وفضافة): أيتها العجوز الخرفة، من يكون هذا الشّاب لك؟
- العجوز الشّمطاء: قلتُ لك إنّ ابنه الوحيد.
- المدّعي العامّ: ألا يتكلّم؟
- المرأة العجوز: أحياناً يفعل ذلك.

- المدّعي العامّ: هل هو فاقد لذاكرته أم لنطقه؟
- العجوز: هو فاقد لذاكرته، ويعاني من مشاكل صحيّة ونفسيّة كثيرة بسبب تعذيبه بشكل وحشيّ في المعتقل الصّهيوونيّ.
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه للشّاب): يا هذا ما اسمك؟
- الشّاب (بفرح غامر، وهو ينظر إلى الأفق): أنا اسمي فلسطينيّ.
- المرأة العجوز (تزرعد بفرح): الله أكبر! ألم أقل لك يا سيّدي إنّهُ فلسطينيّ؟ إنّهُ ابن بطني، لقد نسي كلّ شيء إلاّ أنّه فلسطينيّ.
- المدّعي العامّ (بقلق): اكتبي، يا توحيدة أنّ اسمه (X)، هذه المرأة الشّمطاء وابنها المجنون سوف يجربان بيتي، ويضيّعان مستقبلتي.
- المرأة العجوز: كيف تكتب أنّ جميعنا نحمل اسم (X)؟ قلتُ لك جميعنا نحمل اسم فلسطينيّ.
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه للكاتبة): اكتبي أنّ أسماءهم جميعاً هي (X).
- المرأة العجوز: هل أنت أصمّ أم مجنون؟
- المدّعي العامّ (بتجاهل): هل كتبتِ يا توحيدة أنّ أسماءهم هي (X)؟
- الكاتبة: نعم، لقد كتبتُ ذلك.

- المرأة العجوز (باستنكار): لا بدّ أنّه أصمّ.
- الشاب: إنّهُ أصمّ الضّمير يا أمي. دعيه، لن يسمعك مهما اجتهدت كي يفعل ذلك، لا يسمع صوت الفلسطينيّ إلاّ من عنده ضمير مرهف السّمع.
- الكاتبة: ضمير مرهف السّمع؟ يبدو أنّها امرأة مجنونة.
- المدّعي العامّ (باستعجال كي ينهي التّحقيق، ويمنع المرأة العجوز من الكلام): جميعهم مجانين.
- الكاتبة: من هم؟
- المدّعي العامّ: كلّ من يصمّمون على أن يحملوا اسم فلسطينيّ.
- الكاتبة (وهي تغمز المدّعي العامّ): ما هو قراركم سيّدي بشأن ثلاثتهم؟
- المدّعي العامّ (بجزم ولؤم): يُحوّل ثلاثتهم للتّو والسّاعة إلى مستشفى الأمراض العقليّة للتأكّد من قواهم العقليّة.
- المرأة العجوز (وهي تهزّ بيديها الطّفل الباكي الذي تحمله): وماذا عن الحليب للطّفل الصّغير الجائع؟
- المدّعي العامّ (دون مبالاة): هو طفل فلسطينيّ شجاع صبور يستطيع احتمال الجوع.

- المرأة العجوز (باشفاق على الطفل الذي يبكي دون توقّف):
نعم، معك حقّ، هو طفل فلسطينيّ شجاع صبور يستطيع احتمال
الجوع، ولا حاجة له مجلبك المتعفنّ الجبان.
- الشاب (ساهماً سعيداً): لكنّه على الرّغم من الجوع لم يضيّع
اسمه، فاسمه فلسطينيّ.
- المرأة العجوز: لا يجدر بالفلسطينيّ أن يضيّع اسمه؛ دونه هو
ضائع بحقّ.
- الشاب (يأخذ الطفل الرضيع من أمّه، ويحمله بين ذراعيه): هيا
بنا، يا أمّي.
- المرأة العجوز: هيا بنا، يا أمّي.
- (الأصوات الرّجاليّة والنّسائيّة تتعالى من جديد خارج خشبة
المسرح هائفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المدعي العامّ (يضع يديه على أذنيه، ويصرخ كالمجنون):
اخرسوا جميعاً، وإلاّ أطلقتُ عليكم الكلاب الجائعة لتقطّعكم إرباً إرباً.
- الشرطيّ (يصرخ): اسكتوا، يا أولاد الكلب.
- الكاتبة (تطبع على الآلة الطابعة بفرح): اسكتوا يا أولاد
الكلب.

- المدّعي العامّ (بانفعال): لا تكتبي السّباب في محضر التّحقيق.
هل جننت لتفعلي ذلك؟! !
- الكاتبة (دون مبالاة): لكنّي قد كتبتّه، وما كان كان.
- المدّعي العامّ: مزّقي ما كتبت، وابدئي من جديد.
- الكاتبة (تمزّق الورقة التي طبعتها، وتضع ورقة جديدة في الآلة الكاتبة): الآن نبدأ من جديد.
- المدّعي العامّ: اكتبي إنّه في يومه وتاريخه أستدعي المتهمون الثلاثة، وعند سؤالهم أجابوا.
- الكاتبة (تطبع على الآلة الكاتبة بمهارة، وتقرأ آخر كلمة طبعتها): أجابوا.
- المدّعي العام (موجّهاً كلامه للمرأة العجوز): ما أسماؤكم؟ وما أعماركم؟ وما مهنتكم؟ وأين مكان سكناكم؟
- المرأة العجوز: جميعنا نحمل اسم فلسطينيّ، عمري بعمر القضية الفلسطينية، وعمر ابني بعمر الانتفاضة الفلسطينيّة، وعمر هذا الطّفل بعمر أيام حرب رمضان عام ٢٠١٤ على غزّة، جمعنا نعمل في الدّفاع عن الوطن، ونسكن في غزّة الإباء.

- المدّعي العامّ (بتأفف)، وهو يسحق سيجارته المشتعلة تحت نعل
حذاءه): اكتبي أنهم جميعاً يحملون اسم (X).
- (صوت بكاء الطفل يتعالى، الأصوات الرّجاليّة والنسائيّة تتعالى
من جديد خارج خشبة المسرح هائفة بصوت واحد: نريد أسماءنا،
اعيدوا لنا أسماءنا).
- المرأة العجوز (تقبّل الطفل الصّغير، وتقول له، وهي تمسّد على
شعره بحنان): كفّ عن البكاء أيّها الفلسطينيّ الصّغير الشّجاع.
- المدّعي العامّ (بخوف): لا تكتبي ما قالته، يا توحيدة، لا تكتبي
أنّ اسمه فلسطينيّ، اكتبي أن اسمه (X)، ولا شيء غير (X).
- الكاتبة (مرتبكة): لكنتني أخطأتُ، وكتبتُ ما قالته.
- المدّعي العامّ (بهمس): إذن مزّقي الورقة، وتابعي الطّباعة على
ورقة أخرى.
- الكاتبة: حاضر، سيّدي.
- المرأة العجوز (بإصرار): تمزيق ورقة، واستخدام أخرى لن
يغيّر من حقيقة أنّنا جميعاً نحمل اسم فلسطينيّ.
- (الأصوات الرّجاليّة والنسائيّة تتعالى من جديد خارج خشبة
المسرح هائفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).

- المدعي العام: يا شرطي، ادخل متهماً آخر.
- الشرطي (وهو يدفع أمامه طفلة صغيرة نحيلة بضميرتين ناegmentين طويلتين، وتلبس ثوباً قديماً مهترئاً، وتنتعل نعللاً بلاستيكيّاً قديماً، وتحمل لعبة محشوة بالقطن على هيئة قط كبير): ادخلي أيتها الشقية.
- الطفلة (بتوجع): آه، لقد آلمتني. ابعد يدك عني.
- الشرطي (بتجبر): اخرسي، أيتها الطفلة الوقحة.
- المدعي العام (بفضول): ما تهمة هذه الصغيرة.
- الشرطي: إنها متهمة كذلك بتضييع اسمها.
- المدعي العام: من أين أتيتم بها؟
- الشرطي (وهو يقلّب على عجل ملف بين يديه): أتينا بها وبكثير من المتهمين غيرها من المخيم.
- المدعي العام: أيّ مخيم؟
- الشرطي (بارتباك، وهو يقلّب على عجل في الملف ذاته): لست متأكداً من ذلك يا سيدي؛ هذه المعلومة ليست مدونة في هذا الملف.

- المدّعي العامّ (يلتفت إلى الكاتبة، وهو يشعل سيجارة): هل مكتوب في الملفّ الذي عندك من أيّ خيم أتوا بهذه الطّفلة الصّغيرة؟
- الكاتبة (دون مبالاة): هذه المعلومة غير مكتوبة في الملفّ.
- المدّعي العامّ: هذا استهتار.
- الكاتبة: ما عليك بهذه المعلومة. فكلّ المتّهمين سواء أمام القانون مادامت تهمهم هي تضييع أسمائهم، وما داموا يحملون الاسم (X).
- الشّرطيّ (يتنفس الصّعداء، ويحاول أن يتخلّص من مأزقه): معها حقّ يا سيّدي، كلّهم مجرمون أضاعوا أسماءهم، ويحملون الآن اسماً واحداً، وهو (X).
- المدّعي العامّ (بنبرة عليها مسحة حنان مصطنعة): ما اسمك يا صغيرة؟
- الطّفلة (بألم): لستُ صغيرة.
- المدّعي العامّ (بجدية قاسية، وقد اختفت مسحة حنانه المصنوعة): إذن ما اسمك، أيّتها الكبيرة؟
- الطّفلة (بارتباك): لقد سرقوا اسمي.

- المدعي العام (بتضجر): عدنا إلى هذا الهراء. دعك من هذه الترهات. اكتبي، يا توحيدة، إنه في يومه وتاريخه أستدعيت الطفلة المتهمة، وعند سؤالها أجابت.

- الكاتبة (تطبع على الآلة الكاتبة بمهارة، وتقرأ آخر كلمة طبعتها): أجابت...

- المدعي العام: اسمك؟ وعمرك؟ مهنتك؟ ومكان سكنك؟

- الطفلة: اسمي (X)، وعمرى ثلاثة عشر عاماً، ولا مهنة لي، وأسكن في المخيم.

- المدعي العام: إذن لا اسم لك.

- الطفلة: لقد سرقوا اسمي يا سيدي، انقذني، وانقذ كل من في المخيم. ممن سرقوا أسماءهم.

- الشرطي (باحجاج): هذه الطفلة الشقية تحاول أن تقلب الحقائق، تريد أن تحوّل نفسها من متهمة إلى مجني عليها.

- الطفلة: لكن هذه هي الحقيقة.

- المدعي العام (بجفاف): أنت متهمة بتضييع اسمك عن سبق إصرار وترصد، وهذه جريمة يُعاقب القانون عليها. هل تُقرين بهذه الجريمة النكراء.

- الطّفلة (بإصرار): أنا لم أضع اسمي، هم من سرقوه. اعيدوا لي اسمي.
- (الأصوات الرّجاليّة والتّسائيّة تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- الطّفلة: نعم اعيدوا لنا أسماءنا، نريد أسماءنا.
- المدّعي العامّ (بعصبية وتجاهل): من أنتم؟
- الطّفلة (بجزن): نحن أهل المخيم.
- المدّعي العامّ: أيّ مخيم؟
- الطّفلة: المخيم الذي نعيش فيه.
- المدّعي العامّ (بتضجّر): من أنتم؟
- الطّفلة: نحن الذين طردنا من بيوتنا، وهربنا من الموت، ولجأنا إلى الوحدة والتّشرّد والخيمة والحزن والخوف والعذاب.
- المدّعي العامّ: من الذين طردوكم من بيوتكم؟
- الطّفلة: طردنا العدو الصّهيوني من بعض المناطق، وطردنا المتأمرون علينا من مناطق أخرى، وطردنا الأطراف المتنازعة المسلّحة من معظم المناطق، لقد طردنا من يزعمون أنّهم جنود الله، وطردنا اللّصوص الكبار في بلادنا، وطردنا الفقير، وطردنا الجوع، وطردنا

التصحر، وطرردنا الأحوال الجوية القاهرة. الأشرار جميعاً تكالبوا علينا لطرردنا.

- المدعي العام (باهتمام مزور): أين يقع مخيمكم هذا؟

- الطفلة (بأسى): هذا المخيم يقع في كل مكان، في الكثير من الدول العربيّة، داخل مدنها، في صحاريها، في جبالها في هضابها على حدودها الفاصلة، إنه زمن الرّحيل والتّشردّ والمخيّمات واللاجئين، إنه زمن اللّجوء والدّلة والمهانة في تاريخ العرب.

- المدعي العامّ (دون مبالاة): دعينا من هذه التّفاصيل المضلّلة. ولنعدنا إلى قضيتنا الأساسيّة. كيف أضعت اسمك؟

- الطفلة (ببراءة): أنا لم أضع اسمي، هم من ضيّعونا، هم من أضاعوا أسماءنا جميعها.

- المدعي العامّ: عدنا إلى هذا الهراء، من هم الذين أضاعوا أسماءكم.

- الطفلة: أمي تدعو عليهم، وتسميهم أولاد الحرام.

- الكاتبة (بخوف): اخرسي، يا صغيرة. سوف تحريين بيوتنا بهرائك هذا.

- المدعي العامّ (بقلق): دعينا ممّا تقوله أمك. وقولي لي كيف أضعت اسمك؟

- الطفلة: جميعاً في المخيم قد فقدنا أسماءنا بالطريقة ذاتها.
- المدعي العام (باستدراج): ما هي هذه الطريقة أيّتها الطفلة الذكيّة؟
- الطفلة: هناك في المخيم تُسرق أسماءنا جميعاً، لا يعود للإنسان اسم أو هويّة، جميعنا هناك دون أسماء، دون مستقبل دون أمن. جميعنا خائفون ووحيدون على الرغم من الزحام.
- المدعي العام (محاوفاً تغيير الموضوع): إن شاء الله سوف تُحلّ المشاكل جميعها.
- الطفلة: كلهم يخذعوننا بهذا الوعد.
- المدعي العام: من هم الذين يخذعونكم؟
- الطفلة: الذين لا يابهون بعداباتنا.
- الكتابة (بنبرة المسؤول المهيمن): كلنا نأبه بكم. أنا شخصياً قد تبرّعت بالمال والملابس المستعملة للكثير من المخيمات.
- الطفلة (هازئة): نحن لسنا في حاجة إلى بضعة دراهم ومزق الملابس البالية، نحن نحتاج إلى أوطاننا، إلى بيوتنا، إلى أهالينا، إلى أعمالنا؟ إلى أسمائنا.
- الكتابة (بجد): هل أنت طفلة أم حرباء طويلة اللسان؟
اخرسي، أيها الصغيرة اللعينة.

- المدّعي العامّ: عدنا من جديد إلى الموضوع الأساسيّ، وهو الأسماء. من سرق أسماءكم؟ أعني كيف ضيّعتم أسماءكم؟
- الطّفلة: لم نضيّعها يا سيّدي، قلتُ لكم إنهم سرقوها منّا، غدونا دون أسماءنا دون ملامح أو مستقبل أو هدف، إنّنا نعيش دون هدف، إنّنا في انتظار الموت.
- المدّعي العامّ (باستخفاف): أنت تكبرين الأمور، بعض التّأقلم مع الواقع يحلّ المعضلة برمتها.
- الطّفلة: هكذا أنتم تستحقّون عذاباتنا؛ لأنكم لم تعيشوا عذابات المخيمّ ومعاناته.
- الكاتبة (باستعلاء): ولن نعيشها أبداً.
- الطّفلة (ترفع يديها إلى السّماء، وتتمتم بدعاء ما): من يدري قد تعيشونها في القريب إن شاء الله.
- الكاتبة: احرص، أيّتها الطّفلة الوقحة.
- الطّفلة (باستهزاء): من قال لك إنّني طفلة؟ من قال لكم إنّ صغار السنّ في المخيمّ هم أطفال؟ لقد سرق المخيمّ طفولتنا، نحن شيوخ وكهول بسبب المعاناة والظلم.

- الكاتبة (بتكذيب واحتقار): أي طفولة مسروقة تتكلمين عنها أيتها الطفلة الكاذبة؟ انظري إلى الدمية التي تمسكين بها.
- الطفلة (بأسى)، وهي تمسّد على الدمية المحشوة، وتحّدق نحو البعيد): هذه ليست دميّتي، إنّها دمية ابن عمّي.
- الكاتبة (بنبرة تحقيقيّة): ولم ترك لعبته معك؟
- الطفلة: هو لم يتركها معي، هو لا يعطيها لأيّ أحد، تظلّ دائماً معه، لكنّها وقعت منه عندما أخذه أولئك الغرباء عنوة في سيارتهم، وذهبوا به نحو البعيد، ولم يعد إلى المخيم حتى الآن.
- المدعي العامّ (دون مبالاة، وهو يشعل سيجارة): أين ذهبوا به؟
- الطفلة: لا أحد يعرف ذلك، لكنّه منذ أشهر لم يعد إلى خيمته، أمّه المسكينة تبحث عنه ليل نهار، وأبوه كذلك، جميعنا بحثنا عليه، ولكننا لم نجده.
- المدعي العامّ (بتأفّف): وأين تراه ذهب ذلك الولد الشقيّ؟
- الطفلة: لقد جاء الغرباء إلى المخيم، وأخذوا الكثير من الأطفال نحو المجهول، ثم لم يعودوا. دميته هذه حزينه على فراقه، وأنا أحفظها له حتى يعود، سيحزن إن لم يجدها في انتظاره، فليس من السهل أن يحصل طفل في المخيم على دمية ما.

- المدعي العام (بغضب مزور): هذا أمر مخيف لا يُسكت عليه.
- الطفلة: لا أحد يبالي بمصير أحد من أهل المخيم. ليس ابن عمي فقط من اختفى دون عودة، كذلك صديقنا في مدرسة المخيم قد وقع في حفرة امتصاصية مفتوحة، وغاص فيها، ولم يخرج منها أبداً، وجارتنا ذهبت مريضة في سيارة الإسعاف، ولم تعد إلى الخيمة أبداً، وظلّ أطفالها وحيدين دون رعاية، كذلك قدم خالي قد ذهبت دون عودة عندما انقطعت في العمل القديم، والمؤن التي كانت تصلنا انقطعت منذ زمن، ولم تعد تصل إلينا، في المخيم كل شيء يختفي، ولا يعود للظهور.

- المدعي العام (مستدرجاً): هل اسمك قد ضاع منك هناك؟
- الطفلة (بإصرار): قلت لك إنّ اسمي قد سُرق مني، بل إنّ أسماءنا جميعها قد سُرقت منا.

- المدعي العام: ما جدوى أن تُسرق أسماؤكم؟
- الطفلة: عندما تُسرق أسماؤنا تُسرق حقوقنا، تُسرق أنسابنا، لا يعود لنا حقّ في العودة إلى أوطاننا، أو في المطالبة بحقوقنا، باختصار دون أسمائنا لا مستقبل لنا أو حقّ، عندما تُسرق أسماؤنا تُسرق أحلامنا، اعيدوا لنا أحلامنا.

- المدعي العام (بتأفف): هل المطلوب منّي أن أعيد إليكم الأحلام المسروقة أيضاً؟
- الطفلة: أستم الحكومة؟ من يحمينا إن لم تفعلوا ذلك؟
- المدعي العام (بإحراج شديد): ليست هذه قضيتنا، القضية هنا هي أين أضعت اسمك؟
- الطفلة (بجذب): من قال لكم أنّ اسمي قد ضاع؟
- المدعي العام (يتنحج برتابة، ثم يطفى سيجارته بارتباك): جهات عليا هي من قالت ذلك.
- الطفلة (براءة): إذن لماذا لا تسألوا تلك الجهات العليا عن مكان أسمائنا؛ فهي دون شك تعرف مكان الأشياء الضائعة كلّها، وهي بكلّ شيء أعلم.
- المدعي العام (بغضب): هل تتلهين بنا، أيتها الشيطانة الصّغيرة الخبيثة؟
- الكاتبة (بلؤم): يا سيّدي، لقد أفسحتَ صدرك لها أكثر ممّا يجب. هي دون شكّ من أضاعت اسمها بسبق الإصرار والترصد.
- المدعي العام: معك حقّ.

- الكاتبة: ماذا أكتب ختاماً لهذا التحقيق مع هذه الطفلة المشاكسة؟

- المدعي العام (وهو يشعل سيجارة جديدة بعصبية): اکتبي أنّ الطفلة (X) قد أقرت بتضییع اسمها مع سبق الإصرار والترصد.

- الطفلة (براءة): ماذا عن هذه اللدّية؟

- المدعي العام (بغیظ): هي أيضاً متّهمة بالجريمة ذاتها؟

- الطفلة: وأمّي؟

- المدعي العام (بانتقام): هي كذلك متّهمة بالجريمة ذاتها.

- الطفلة: وأبي وأخوتي؟

- المدعي العام: هو جميعاً متّهمون بالجريمة ذاتها.

- الطفلة: وأهل المخيمات جميعها؟

- المدعي العام (بصوت مزلزل): هم جميعاً مجرمون.

- الطفلة (بأسى): لكن أمّي قد ماتت، ورحلت إلى السماء.

- المدعي العام (بعصبية): لكنّها على الرّغم من ذلك مجرمة.

- الطفلة: وأبي المسكين مريض لا يقوى على الحركة أو التّطق.

- المدعي العام: وأخوتي الثلاثة قد غرقوا في البحر، وهم

يحاولون الهروب عبر البحر إلى بلد ما في الشّمال البارد.

- المدعي العام: هم على الرغم من ذلك كله مجرمون آثمون دون استثناء.

- الطفلة (بدهشة وفزع): لم هم جميعهم مجرمون دون استثناء؟

- المدعي العام (وقد فقد السيطرة على أعصابه من شدة الغضب): لأنهم يسكنون المخيمات.

- الطفلة (بجزن، وهي تحتضن دميها): الذين سرقوا أسماءنا هل هم مجرمون، يا سيدي؟

- المدعي العام: لم يسرق أحد أسماءكم، أنتم تزعمون ذلك كذباً وجوراً كي تتملصوا من جريمتكم النكراء.

- الطفلة: سيدي. لماذا أنتم مهتمون بالبحث عن أسمائنا مادمتم غير معنيين بحياتنا أو بمعاناتنا؟

- المدعي العام (مصدوماً، وقد هاله السؤال): اخرسي أيها الصغيرة اللعينة. من أين لك بهذا السؤال الجهنمي؟

- الكاتبة (هامسة للمدعي العام): يجب أن نتخلص منها بأسرع ما يمكن.

- المدعي (مؤيداً كلامها بشدة): يجب أن نفعل ذلك.

- الكاتبة: أمّا المخيم، فهناك من سيقضي على كل من فيه عاجلاً أم آجلاً.
- المدعي العام: إن كانوا جميعاً من صنف هذه الشيطانة الصغيرة، فهم يستحقّون الفناء.
- الكاتبة (بابتسامة شريرة): هل نرسلها في نزهة إلى الجحيم؟
- المدعي العام (بتردد): لكنّها لا تزال صغيرة.
- الكاتبة: الصغيرة سريعاً ما تكبر، وتسبب الإزعاج لنا جميعاً.
- المدعي العام (وقد اقتنع برأيها): هل ترغبين أيها الصغيرة في الذهاب إلى مكان جميل؟
- الطفلة (بنضول): هل هو مكان بعيد عن المخيم؟
- المدعي العام: نعم، هو مكان بعيد عنه.
- الطفلة: هل سترسلني إلى مخيم آخر من مخيمات الحدود؟
- المدعي العام: لا.
- الطفلة: هل سترسلني في قارب ما لأتسلل مع لاجئين آخرين إلى بلد آمن؟
- المدعي العام: لا.

- الطفلة: إذن هل سترسلني إلى معمل أو مصنع لأعمل في تغليف
السكاكر مقابل بعض الطعام؟
- المدعي العام: لا، أبداً.
- الطفلة (بقلق): إذن لا تقلّ إنك سوف تزوّجني لرجل كبير
سمين من بلد عربيّ ثريّ. أنا لا أزال صغيرة على الزواج، أريد أن
أكمل دراستي في المدرسة.
- المدعي العامّ (ضاحكاً ملء شذقيه): من أين لك بهذه الأفكار
الغريبة؟
- الطفلة: هذه هي الأماكن التي يذهب إليها الذين يغادرون
المخيم.
- المدعي العامّ: هل هذه هي الأماكن التي يذهبون إليها دون
غيرها؟
- الطفلة: هناك نساء يختفين دون أن نعرف إلى أين ذهبن، وهناك
رجال يقتادهم الجنود المسلّحون إلى أماكن مجهولة، وهناك غرباء
يخطفون الأطفال، ويذهبون إلى المجهول.
- المدعي العامّ (بجث): ثقني تماماً أنّي سأرسلك إلى مكان أفضل
من الأماكن التي تعرفينها.

- الكاتبة (هامسة للمدعي العام): بل هو المكان الأسوأ في هذا العالم.
- المدعي العام: قررنا إحالة الطفلة (X) إلى مستشفى الأمراض العقلية والنفسية للتأكد من قواها العقلية.
- الطفلة (بسعادة): هل لهذا المكان سقف وجدران ونوافذ؟
- المدعي العام: بكل تأكيد.
- الكاتبة (محتجة): ظننتك سوف ترسلها إلى الملجأ الحكومي للأطفال؛ فهو مكان أسوأ من مستشفى الأمراض العقلية والنفسية. وأنا أتمنى الأسوأ لهذه الطفلة المزعجة.
- المدعي العام: لكن في مستشفى الأطفال سيعلو صوتها، ويصدّقها الكثيرون، أما في مستشفى الأمراض العقلية والجسدية، فلا صوت أو لسان لمن يُسجن فيه. هناك سأدفن ملف الاسم (X) للأبد.
- الكاتبة (برضا): يا لك من ذكي محنك! يا سوسو.
- الطفلة: وماذا عن الذين سرقوا أسماءنا؟ ستغضب أمي في قبرها إن نسيتُ عهدي لها بأن أبحث عن اسمي.
- المدعي العام (بتضجّر): عدنا إلى الهراء. يا شرطيّ، خذها من أمامي.

- الشرطيّ (مهرولاً بسرعة نحو المدّعي العامّ بعد أن أدّى له التّحيّة العسكريّة): أمرك، سيّدي.

- المدّعي العامّ (بإجهاد، وهو يفرك جبهته بتعب): يا شرطيّ، أحضر لي معك فنجان قهوة دون سكر، وأدخل متّهماً آخر للتّحقيق معه، سيكون المتّهم الأخير الذي أحقق معه لهذا اليوم؛ لقد تعبتُ كثيراً من التّحقيق في هذا الملفّ اللّعين.

- الشرطيّ: أمرك، سيّدي.

(الأصوات الرّجاليّة والنّسائيّة تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).

- المدّعي العامّ: ألا يملّون من هذا الطّلب وهذا الصّراخ؟

- الكاتبة (باحترار): إنّهم أوباش، لا تبال بهم.

- المدّعي العامّ: إنّهم يغمرون نفسي بقرف جارف.

- الكاتبة (بقرف): لا بدّ أن تنتهي من التّحقيق في قضيتهم في

القريب العاجل.

- المدّعي العامّ: ليت هذا يكون في القريب، ولكنهم يتكاثرون

يوماً تلو الآخر، في كلّ يوم هناك المزيد من المتّهمين الذين يحملون اسم

(X)، وأنا ما عدتُ أعرف كيف أتعامل مع هذا المأزق الذي أعيشه، عليّ أن أطيل فترة التحقيق أكثر ما يمكن قبل أن أرسلهم إلى المحاكمة.

- الكاتبة (باستدراج): هل هم من طلبوا منك ذلك؟

- المدعي العام (بتعجّل دون تفكير): نعم.

- المدعي العام (بندم): لا، لم يطلب أيّ أحد أن أفعل ذلك.

- الكاتبة (باهتمام، وهي تشير إلى فوق): وماذا عنهم؟

- المدعي العام (بخوف وبنفس متقطّع): لا علاقة لهم بهذه

القضية.

- الكاتبة: بدأنا نكذب، يا سوسو.

- المدعي العام (بانفعال): قلتُ لك ألف مرّة لا تناديني باسم

سوسو.

- الكاتبة (بضحكة مقهقة ذات معنى): هذا الاسم أفضل من أن

يكون اسمك (X).

- المدعي العام (بتوتر): ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

- الكاتبة: أقصد ما فهمته تماماً.

- الشرطيّ (وقد دخل إلى الحجرة يحمل بيده فنجان قهوة، ويسير

خلفه صبيّ قصير أسمر بشعر ناعم طويل): المتهم (X) يا سيّدي.

- المدّعي العامّ (بملل): تقدّم أيّها الصّبيّ.
- الشّرطي (بصوت أمر): اطعْ سعادة المدّعي العامّ، أيّها الصّبيّ.
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه للكاتبة): اکتبي إنّه في يومه وتاريخه
أستدعي المتّهم، وعند سؤاله أجا ب...
- الكاتبة (تطبع على الآلة الكاتبة بمهارة، وتقرأ آخر كلمة
طبعتها): أجا ب...
- المدّعي العامّ: اسمك؟ وعمرك؟ ومهنتك؟ ومكان سكنك؟
- الصّبيّ: اسمي (X)، عمري ستة عشر عاماً، لا مهنة لي، أنا في
الصّف الحادي عشر، كنتُ أسكن في الملجأ، ولكنني الآن دون مأوى.
- المدّعي العامّ: إذن أين تسكن الآن؟
- الصّبيّ (بجرح): أسكن في الشّارع.
- المدّعي العامّ: لماذا تركت الملجأ؟
- الصّبيّ: لم أتركه، بل هو من تركني، لقد طردوني منه؛ لأنني
بلغتُ سن السادسة عشر من عمري، وهو السنّ الذي يجب أن أغادر
الملجأ فيه.
- المدّعي العامّ: ماذا كان اسمك عندئذ قبل أن تترك الملجأ؟
- الصّبيّ (بأسى): دائماً كان اسمي (X).

- المدّعي العامّ (بدهشة): هل أسماك أهلك (X)؟
- الصّبي (بألم): لم يكن لي في يوم أهل ليهبوني اسماً، لقد تخلّوا عني حتى قبل أن أولد، وعندما وُلدت ألقوا بي لقيطاً في إحدى الزقاق، فالتقني الناس، وأودعوني في ملجأ الأيتام، ومن يومها بات اسمي واسم أبي واسم جدّي واسم عائلتي هو (X).
- المدّعي العامّ (دون تأثر): مفهوم.
- الصّبي: لكنّهم قد سرقوا اسمي، يا سيّدي.
- المدّعي العامّ (بعصبية): عدنا من جديد إلى هذا القيثارة. من سرق اسمك يا هذا؟
- الصّبي: سرقه أبي وأمي والمجتمع كلّه.
- المدّعي العامّ (بفضول): كيف؟
- الصّبي: أنا وليدة لحظة لقاء غير شرعي بين اثنين، هما أبي وأمي، لقد تنكرا لهذه اللحظة ولي أيضاً، لقد تخلّيا عني، وألقيا بي في الشارع. لقد سرقا اسمي ثم سرقا عمري، لقد عانيت كثيراً دونهما، وحدي واجهت المجتمع الذي عاقبني؛ لأنني لقيط دون نسب. ما ذنبي أنا في هذا كلّه؟ أنا ضحية لهما وللمجتمع الذي لا يغفر لمن هو دون اسم أو نسب.

- المدّعي العامّ: ألم يهبك الملجأ اسماً ما؟
- الصّبي: لقد وهبني اسماً، ولكن المجتمع يسمّيني (X)، لا يراني إلاّ اسماً مجهولاً غارقاً في الخطيئة. ما ذنبي أنا بخطيئة اقترفها والداي في لحظة جموح جسديهما؟
- الكاتبة (بقسوة): ذنبك أنّك الثمرة الشاهدة على هذه الخطيئة.
- الصّبي (بخيبة أمل): المجتمع كلّه يراني خطيئة لا تُغتفر. ولكن ما ذنبي أنا في ذلك كلّه؟
- المدّعي العامّ (بضجر): هل المجتمع هو من أضع اسمك؟
- الصّبي: بل هو من سرق اسمي. أنا لم أضعه، وما كنت لأضعه، ولكن المجتمع هو من سرقه منّي.
- المدّعي العامّ: ماذا تقول بالتهمة المنسوبة إليك؟
- الصّبي (بدهشة): ما هي هذا التهمة؟
- المدّعي العامّ (بصوت آليّ لا حياة فيه): تهمة تضيع اسمك عن سبق إصرار وترصد؟
- الصّبي (بدهشة): سيّدي، أنا لم أملك يوماً اسماً كي أضيعه.
- الكاتبة (بلوّم): كلّهم يقولون كلامك هذا في بداية التحقيق.

- الصَّبِي: أقول لكم الصّدق، أنا لم أملك يوماً اسماً، الطّفْل اللّقيط في مجتمعنا هو مجرم بالوراثة، هو محكوم عليه بالإعدام وهو على ذمّة الحياة.

- المدّعي العامّ (بغضب): إذن أنت تنكر التّهمة المنسوبة إليك؟
- الصَّبِي (بإصرار): طبعاً. المجرمون الحقيقيون في هذه القضيّة هم والداي والمجتمع.

- المدّعي العامّ (مستهزئاً): هل تريد منّي أن أحقق مع المجتمع كلّهُ لأجلك؟

- الصَّبِي: بل أريد أن لا تعاقبني بجرم لا يد لي فيه.
- المدّعي العامّ: إذن، قل لنا ما اسمك وما اسم والديك لتثبت براءتك.

- الصَّبِي: ليتك تفعل أنت ذلك، وتخبّرني من أكون.
- المدّعي العامّ: كيف لي أن أعرف من هما والديك؟
- الصَّبِي: وكيف لي أن أعرف من يكونان، وهما قد ألقيا بي في الشّارع وفرّاً بعيداً إلى الأبد؟

- المدّعي العامّ: هذه مشكلتك، لا مشكلتي.

- الصَّبِي (بجزن شديد): حتى أنتَ تراني المسؤول عن هذه الجريمة البشعة؟ يا لكم من ظلمة!

- المدَّعي العامّ (بغضب مصطنع): تأدّب أيّها اللقيط الضّائع التّسب.

- الصَّبِي (بجزن): كنتُ الأوّل في صَفِّي، وكنتُ أخفي حقيقة أنني لقيط، ولكن عندما عرف المعلمون والطّلبة بحقيقتي رفضوني، وأجبروني على أن أهجر المدرسة والدّراسة، حتى أمل قد تنكّرت لي.

- المدَّعي العامّ (بفضول): من هي أمل هذه؟

- الصَّبِي: هي أجمل فتاة في الكون.

- الكاتبة (بدلال وفضول): هل كنتَ تحبّها؟

- الصَّبِي: كنتُ أحبّها، وكانت تحبّني، كنتُ أكتب لها أجمل القصائد.

- الكاتبة (بفضول): هل لا تزال تكتبُ القصائد لها؟

- الصَّبِي: لا، فقد مات الشّعري في نفسي منذ علم والداها بأنني لقيط وأجبرها على هجري، لقد نقلها إلى مدرسة بعيدة، ومن يومها لم أرها أبداً، ولم أكتب أيّ قصيدة.

- المدَّعي العامّ: لذلك أضعت اسمك؟

- الصبي (بدهشة): سيدي، أنا لم أضع اسمي، والدادي هما من سرقاه.
- المدعي العام (بحمق): ومن هما والدك لنعاقبهما على هذه الجريمة؟
- الصبي: أنتم أعلم.
- المدعي العام: نحن من؟
- الصبي: أنتم الحكومة، لا بد أنكم تعرفون من هما والدادي.
- المدعي العام: وكيف لنا أن نعرف من يكونان؟
- الصبي (بعصبيّة): وكيف لي أن أعرف من يكونان؟
- المدعي العام: أنت ابنهما.
- الصبي: وأنتم الحكومة والسلطة.
- المدعي العام (باستهزاء): أنت ماذا تعرف؟
- الصبي: أعرف أن اسمي (X)، وأني لقيط وحيد في هذه الدنيا، وأعرف كذلك أن أمل باتت حلاماً بعيداً.
- المدعي العام (بملل وتأفف): ماذا تعرف أيضاً؟
- الصبي: أعرف أنهم سرقوا اسمي، وأنا أطالب الحكومة بأن تسترد اسمي.

- المدعي العام: يبدو أنّك تفهم الأمور على غير حقيقتها. أنت لست هنا لأجل أن تتقدّم بشكوى ما، بل أنت هنا لأنك متّهم بجريمة ما.

- الصّبي (باستنكار): ما هي جريمتي؟

- المدعي العام: هل أنت معتوه يا هذا؟

- الكاتبة (موجهة كلامها للمدعي العام): هو دون شك كذلك. هل تفكّر بما أفكّر به؟

- المدعي العام: بكلّ تأكيد.

- الصّبي (بتوسّل): ألا يمكن أن تساعداني في البحث عن والدي؟

- الكاتبة (بقسوة): دعك من البحث عنهما، لو كانا يريدانك ما كانا تخلياً عني.

- الصّبي (بأمل): لعلهما كانا مجبرين على التخلي عني.

- المدعي العام: هل تعتقد أنّهما يبحثان الآن عنك؟

- الصّبي: لعلهما كذلك.

- المدعي العام: أنت مجنون بكلّ تأكيد.

- الكاتبة: حان الوقت لإنهاء التحقيق معه.

- الصبي (بالمزيد من التوسّل): أرجوكما ساعداني في البحث عن والدي.
- المدعي العامّ (وهو يشعل سيجارة جديدة): إن وعدناك بذلك هل تعترف بجريمة تضييع اسمك؟
- الصبي: لكنني لم أضعه، أقسم لكما على ذلك.
- الكاتبة: لا فائدة من الجدل معه، يا سوسو.
- المدعي العامّ (هامسا للكاتبة): لا تناديني بهذا الاسم السخيف. (الأصوات الرجالية والتسائية تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المدعي العامّ: لقد عادوا من جديد إلى نباحهم، أنا الآن مصاب بصداع قاتل.
- الكاتبة (بنبرة ذات مغزى): أنت في حاجة -دون شك- إلى تدليك لذيد.
- المدعي العامّ: دعك من هذه الخدع الرخيصة.
- الكاتبة: سامحك الله.
- المدعي العامّ (بعد أن أخذ رشفة طويلة من فجان القهوة): أيها الشرطي، خذ هذا الصبي إلى سجن النياية.

- الكاتبة: هل أختم محضر التحقيق معه؟
- المدعي العام: اكتبي: في يومه وتاريخه أغلقنا محضر التحقيق مع الصبي (X)، ونوصي بتحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية والنفسية لعرضه على الطبيب المسؤول للتأكد من قواه العقلية.
- الصبي (غير مبال والشرطي يمسك بذراعه ليخرجه من المكان):
أخيراً سأجد مكاناً ما لأنام فيه بدل النوم في الشوارع.
- الكاتبة (مغتظة من كلام الصبي): ألم أقل لك إنه صبي مجنون؟
(صوت الهاتف يرنّ، إظلام خشبة المسرح إلا من بقعة نور مسلّطة على الطاولة حيث يجلس المدعي العام وكاتبته، والأصوات الرجالية والنسائية تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المدعي العام: ردّي على الهاتف، يا توحيدة.
- الكاتبة: رأسي يؤلمني من كثرة الاتصالات.
- المدعي العام (ساخراً): المعجبون كثرياً أجمل الجميلات! ردّي على من يتصل بك.
- الكاتبة (ترفع سماعة الهاتف، وتردّ بدلال أنثويّ داعر): مرحباً.

- الكاتبة (تصمت للحظة، ثم تقف في مكانها مضطربة، وتقول لمن يكلمها عبر الهاتف): إنه موجود بالقرب مني. حاضر، سيدي.
- الكاتبة (وهي تمدّ سماعة الهاتف للمدعي العام): المكالمة لك.
- المدعي العام (بقلق): من؟
- الكاتبة (وهي تشير بإصبعها إلى فوق): جهات عليا.
- (يقف المدعي العام في مكانه بعد أن يسمك بسماعة الهاتف، ويسمع الصوت الذي يكلمه، وتضيق بقعة الضوء حتى تسلط على وجهه فقط، ويغيب وجه الكاتبة).
- المدعي العام (بذل): نعم، سيدي، أنا هو، أنا تحت أمركم.
- (صوت غليظ يجهر في فضاء خشبة المسرح دون رؤية صاحبه)
- الصوت الغليظ: قضية الاسم (X) .
- المدعي العام (يحدق في سقف المسرح، ويقول بذل): ما شأنها سيدي؟
- الصوت الغليظ: اقض بتجريم كل من يحمل اسم (X).
- المدعي العام: لكنني غير مخول بأمر القضاء في القضايا التي أحقق فيها، ومن ثم أكيفها؛ المحكمة والقضاة هم المخولون بذلك.
- الصوت الغليظ: هذا الأمر استثناء.

- المدعي العام: لكته استثناء غير قانوني.
- الصوت الغليظ (بغضب): هذا أمر من أرفع جهة مسؤولة في الدولة. عليك أن تنفذ الأمر بسرعة.
- المدعي العام: لكن...
- الصوت الغليظ (مقاطعاً): دون لكن، افعل فوراً ما أمرت بفعله.
- المدعي العام (بذل وضعف): حاضر، سيدي.
- (ينقطع الاتصال، ويظلّ صوت الخطّ المشغول يملاً فضاء الخشبة)
- المدعي العام (بحيرة): لكن هذا السلوك غير قانوني. أنا لست قاضياً، أنا المدعي العام، وظيفتي تنحصر في أن أحقق في الجرائم المنظورة بين يدي، وأن أكيف تسمياتها، القضاء هو من عليه أن يصدر أحكامه في شأن القضايا كلها.
- (الأصوات الرجالية والنسائية تتعالى خارج خشبة المسرح هاتفة بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).
- المدعي العام (يضع كفي يديه على أذنيه كي لا يسمع أي صوت): اخرسوا يا كلاب، قلت لكم اخرسوا. سوف أدمركم جميعاً.

أنتم السّبب في الورطة التي أنا فيها الآن. خربتم بيتي، وضيّعتم مستقبلتي.

- الكاتبة (صوت دون ظهور): سوسو، هل تريد أن أعمل لك تدليكا؟

- المدّعي العامّ (بعصبية شديدة): اخرسي، اخرسوا جميعاً.

الفصل الثّاني

التّوصيف المكانيّ والضّويّ والصّوتيّ لخشبة المسرح

تُفتح الستارة على خشبة المسرح حيث هناك سريران على يمينها، كما هناك طاولة خشبيّة واحدة عارية من غطاء أو أيّ زينة أو أدوات، وحوّلها عدّة مقاعد خشبيّة، والجميع يلبسون قمصان نوم نزلاء مستشفى الأمراض العقليّة، وهي بيضاء اللّون، وشعورهم جميعاً شعثاء، وغير ممشّطة.

المدّعي العامّ وكاتبته يجلسان على أرض خشبة المسرح، والشّاب والرجل كلّ منهما يستلقي على أحد السّريّين، والمرأة العجوز والمرأة يداعبان الطّفل الصّغير، في حين أنّ الطّفلة تحمل دميتها، وتقف إلى جانب الصّبيّ وهما مستغرقان في حديث طويل، وغير مسموع، ولكن يبدو أنّه حديث وديّ.

- المدّعي العامّ (يقف منتصباً كخشبة، ويقول): أنا أوّجه لكم تهمة تضييع أسمائكم مع سبق الإصرار والترصد، أنتم مجرمون، نعم، أنتم مجرمون.

- الكاتبة (بدلال): سوسو، هل أعمل لك تدليكاً؟

- المدّعي العامّ (كأنه لا يسمعها): نعم، سيّدي، أمرك، سوف أنفذ الأوامر.

- الكاتبة (بجثث): سوسو، دعك من حركات المجانين، ودعني أعمل لك تدليكاً مثيراً يبهج جسدك.

- المدّعي العامّ (يقول بصوت المسؤول غليظ الصّوت الذي اتّصل به سابقاً): هل أنت المدّعي العامّ (X)؟

- المدّعي العامّ (يقول بصوت بذل وضعف): نعم، سيّدي، أنا هو، أنا تحت أمركم. وفي خدمتكم دائماً.

- المدّعي العامّ (يقول بصوت المسؤول غليظ الصّوت الذي اتّصل به سابقاً): قضية ملف (X).

- المدّعي العامّ (يسأل بصوته): ما شأنها، يا سيّدي؟

- المدّعي العامّ (يقول بصوت المسؤول غليظ الصّوت الذي اتّصل به سابقاً): اقض بتجريم كلّ من يحمل اسم (X).

- المدعي العام (يحتج بصوته): لكتني غير مخول بأمر القضاء، المحكمة والقضاة هم المخولون بذلك.
- المدعي العام (يقول بصوت المسؤول غليظ الصوت الذي اتصل به سابقاً): هذا الأمر استثناء.
- المدعي العام (يحتج بصوت مرتبك وذليل وخائف): لكنه استثناء غير قانوني.
- المدعي العام (يقول بصوت المسؤول غليظ الصوت الذي اتصل به سابقاً): افعل ما أمرت بفعله.
- المدعي العام (يقول بذل وضعف): حاضر، سيدي.
- الكاتبة (بقرف): لطالما كنت جباناً خسيساً.
- المدعي العام: اخرسي.
- الكاتبة: هل أعمل لك تدليكاً لذيذاً؟
- المدعي العام (وقد انتصب على قدميه يزهو): أقرّر، أنا المدعي العام الأول للعاصمة، أنّ المتهمين جميعاً في قضية الاسم (X) هم مذنبون مع سبق الإصرار والترصد بجريمة تضيع أسمائهم. وبذلك أقضي بإعدامهم جميعاً، والحكم عليهم بأن يظلّوا أحياء بعد إعدامهم كي يعيشوا عذاباً لا يعرف نهاية مع الأشغال الشاقة.

- الكاتبة (بزهو، وكأنتها كبيرة قاضي القضاة): وأنا أصادق على هذا القرار ليكون قراراً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطعن، ويُعمل به من ساعته.

- المرأة العجوز (تبصق على المدّعي العام والكاتبة): كلاب، الله ينتقم منكم.

- المرأة: ما أقبح الرّجل عندما يكون كلباً جباناً!

- الكاتبة (بغنج): أمّا أنا، فأحبّه كلباً وضيعاً يتمسّح بقدمي.

- المدّعي العامّ (بانفعال): اسمعوا، إنهم هناك، إنهم يهتفون جميعاً: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا.

(الجميع يضعون أيديهم خلف آذانهم؛ لعلهم يسمعون ما يزعم المدّعي العامّ أنّه يسمعه).

- الرّجل: يبدو أنّ المدّعي العامّ قد أُصيب بالجنون.

- الكاتبة: اخرس، يا متوحّش، سوسو في كامل قواه العقلية.

- المدّعي العامّ (بغضب): لا تقولي لي سوسو.

- الكاتبة: حاضر، يا سوسو.

- المدّعي العامّ (بانفعال شديد): أولئك الكلاب غدروا بي، لقد

نفذت كلّ ما طلبوه منّي، وفي أوّل مآزق ضحّوا بي، وزجّوا بي في

السّجن بتهمة الجنون كي يكتّفوا عن أنفسهم غضب الرّأي العامّ بعد
محاكمتي الجائزة للمتّهمين في قضية الاسم (X).

- المرأة العجوز (بشماتة): تستحق مصيرك هذا.

- المدّعي العامّ (بذهول): لكنّهم هم من أمروني بذلك.

- المرأة العجوز (بشماتة): ها قد غدروا بك، يا سعادة المدّعي

العامّ العادل القانونيّ.

- المدّعي العامّ (بهذيان): كلاب، جميعهم كلاب.

- الكاتبة (بدلال وغنج): أحبّ الكلاب كثيراً.

(إعتماد خشبة المسرح إلّا من بقعة ضوء تُسلّط على الطّبيب

والممرّض)

- الطّبيب (يملي على الممرّض الشاب الذي يقف إلى جانبه):

المرضى جميعهم الذين حوّلوا إلينا في ملف قضية الاسم (X) هم في

حالة اضطراب عقليّ شديد، ويعدّون خطراً كبيراً على المجتمع، وينصح

ببقائهم في حيز الحجز الصّحيّ إلى حين استقرار حالاتهم العقلية.

- الممرّض (بشفقة وحزن وتأثر، وهو يحمل سجلاً كبيراً ليكتب

فيه): لكنّهم في كامل قواهم العقلية والنفسية، يا كبير الأطباء!

- الطَّيِّب (بتقريع): اسكتْ يا بنيّ، سوف تضيّعنا بكلامك هذا. المطلوب أن يكون التقرير بهذا الشكل؛ لذلك سيكتب بهذا الشكل.
- الممرّض (مشيراً إلى الكاتبة والمدّعي العام): ماذا عنهما؟
- الطَّيِّب: أتقصد المدّعي العامّة وكاتبته؟
- الممرّض: نعم.
- الطَّيِّب (دون اكتراث): صدر الأمر بأن يكونا في جملة المجانين، وعندما نتلقّى قراراً كهذا علينا أن ننفّذه صاغرين مطيعين، وإلّا...
- الممرّض (بقلق وخوف): وإلّا ماذا؟
- الطَّيِّب: وإلّا فسنجد اسمينا ضمن هذا التقرير، ويغدو الأبيض الذي نرتديه أبيض المجانين لا أبيض الأطباء والممرّضين.
- الممرّض (بجزع): بهذه السّهولة؟
- الطَّيِّب (يهزّ رأسه مؤكّداً): بهذه السّهولة.
- الممرّض (بفضول مشيراً بيده إلى المدّعي العامّ وكاتبته): لكن لماذا هما في هذا المكان؟
- الطَّيِّب: لا تسأل. ألف مرّة قلتُ لك لا تسأل.
- الممرّض: لكنّهما كانا في لعبة التحقيق، فكيف أصبحا في لعبة الاتّهام؟

- الطَّيِّب (بقلق، وهو يخفض صوته): إن استمررت في أسئلتك الخطيرة قد تجد نفسك متورطاً في لعبة الجنون التي لا تروق لك بكل تأكيد.

- الممرّض (بفزع): اللّهم سترك. لا أريد أن أعرف أيّ إجابة.

- الطَّيِّب: إذن اكتب ما أملتُ عليك دون زيادة أو نقصان.

(يجلس المدعي العام والكاتبة إلى الطاولة الخشبيّة، ويتخذان هيئة التّحقيق، في حين أنّ الطَّيِّب والممرّض يقفان على يمينهما والرجل والمرأة والشاب والمرأة العجوز التي تحمل الطّفل يقفون على يسارهما).

- المدعي العام (بصرامة مزعومة): لا يزال التّحقيق جارياً في ملف الاسم (X).

- الكاتبة (تحرك يديها، وتطرق بأصابعها على آلة كاتبة متخيّلة غير موجودة): أنا جاهزة للطّباعة، سعادة المدعي العام.

- المدعي العام (برضا): أنت دائماً موظّفة مثاليّة، يا توحيدة.

- الكاتبة (بفرح أنثويّ مبالغ فيه): أشكرك، يا سيّدي.

- المدعي العام (يشير إلى الطَّيِّب): أنت تقدّم من طاولة التّحقيق.

- الطَّيِّب: سمعاً وطاعة، سيّدي.
- المدّعي العامّ (يميل نحو الكاتبة ويقول): يعجبني الأناس المؤدّبين الذين ينزلون الناس منازلهم.
- الكاتبة (تهز رأسها مؤيِّدة لكلامه): أنا يعجبني ذلك أيضاً. لكن يعجبني أكثر ذلك الثائر المثير.
- الطَّيِّب: شكراً لك. بدأتُ أستلطفك.
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه للطَّيِّب): ما علاقتك بملف الاسم (X)؟

- الطَّيِّب: ليس لي أيّ علاقة به؟
- المدّعي العامّ: إذن ما سبب وجودك هنا؟
- الطَّيِّب: إنني في رحلة استجمام.
- المدّعي العامّ: ماذا عن اسمك؟
- الطَّيِّب: ما باله؟
- المدّعي العامّ: كيف حصلتَ على اسم في حين أضع الآخرون أسماءهم؟
- الطَّيِّب (بطريقة تمثيلية): هي لم تضع منهم، هي سُرقت منهم بكلّ تأكيد.

- الممرّض (بدهشة): سيّدي الطّيب، هذا كلام خطير.
- الطّيب (بثقة): لا تقلق، نحن في حضرة الجنون والمجانين، ولنا أن نقول هنا ما نشاء.
- الممرّض (بقلق): ماذا عن نصيحتك لي بالحرص والصّمت وعدم الأسئلة أو التّعليق؟
- الطّيب (ضاحكاً): لا ضير من بعض التّسلية واللّعب مادام الأمر مشافهة، والمكتوب بشكل رسميّ هو وفق المطلوب.
- الممرّض (ببعض الارتياح): هي لعبة إذن؟
- الطّيب: بكلّ تأكيد. هي لعبة ممتعة مع المجانين، هم الأفضل في اللّعب.
- المدّعي العامّ (غاضباً): هذا ليس لعباً، بل حقيقة.
- الكاتبة: بل كابوساً.
- المدّعي العامّ (بفرح): هي لعبة الحقيقة والكابوس في آن.
- الكاتبة: عليكم أن تعيشوا معنا هذا الكابوس.
- المدّعي العامّ (موجّهاً كلامه للطّيب من جديد): قل لي كيف لم تضع اسمك كما أضعه غيرك؟

- الطَّيِّب: الأسماء لا تُضَاع، بل تُسْرَق، واسمي لم يسرق؛ لأنني لست عنيداً، بل مطواعاً لكلّ أمر من جهة عليا.
- الممرّض: أنا مثله تماماً.
- المدّعي العامّ (بأسى): أنا كنتُ مطواعاً كذلك، لكنّهم سرقوا اسمي على الرّغم من ذلك.
- الطَّيِّب (بلهجة قاسية): بل أنت من ضيّعت اسمك.
- المدّعي العامّ: الأسماء لا تضيع ، بل تُسْرَق. صدّقوني، هذا هو ما يحدث دائماً.
- (يُصفّق له الرّجل والمرأة والشّاب والطفلة والصّبي والمرأة العجوز التي تحمل الطّفل الرّضيع).
- الكاتبة (بجماس): هل أعمل لكَ تدليكاً؟
- المدّعي العامّ (بعصبيّة): اخرسي.
- تقول المرأة العجوز (بقرف): ها قد أنطقكَ الله بالحقّ يا ظالم. قلنا لكَ إنّ الأسماء تُسْرَق، فأرسلتنا إلى مستشفى المجانين، ها أنت الآن تعترف بأنّ الأسماء تُسْرَق لا تضيّع.
- المدّعي العامّ (بانكسار): هم من فرضوا عليّ هذا الحكم.
- المرأة العجوز: من هم؟

- المدعي العام (يشيروا بإصبعه إلى الأعلى): إنهم...
- الطبيب (بخوف شديد): اسكتُ سوف تضيّعنا جميعاً.
- الممرض (بتوسل): أرجوك اصمت، ولا تقل أيّ شيء.
- المدعي العام (بندم): لقد صمتُ دائماً، لكن ذلك غدا دون جدوى، انظروا أين أنا الآن بسبب صمتي الموصول الجبان.
- المرأة العجوز (بشماتة): الله يمهّل، ولا يهمل.
- الرجل (باستهتار): احمد الله لأنك في مستشفى المجانين، لا في المحكمة تُحاكم بتهمة تضييع اسمك مع سبق الإصرار والترصد.
- المرأة العجوز: أو أمام مدّع عام مجرم ميّت الضمير يحكم عليك دون أيّ محاكمة.
- المدعي العام (بانكسار وندم): لكنني خسرتُ اسمي كذلك، لقد سرقوا اسمي مني، لقد أصبح اسمي المدعي العام (X).
- الطفلة (ببراءة): ماذا أصبح اسمك الآن؟
- المدعي العام (بجيرة): لا أعرف.
- الطفلة (ببراءة): لماذا لا تسأل أمك عن اسمك؟
- المدعي العام: لماذا لا تسألني أمك عن اسمي واسمك؟
- الطفلة: لكن أمي ذهبت إلى السماء؟

- المدعي العام: أولاد الكلب قد سرقوا اسمي.
- المرأة (بتشف): هذا اللئيم كان سيرسلنا إلى محكمة أمن الدولة، أو إلى محكمة الجنايات الكبرى بجرائم لم نقترفها.
- الشاب (بانفعال): علينا أن نحاكمه؟
- المرأة العجوز (بحماس وفرح): هنا؟
- الشاب: نعم، هنا.
- المرأة العجوز: بأيّ تهمة؟
- الشاب: بتهمة تضييع اسمه.
- المرأة العجوز (بسرور وحماس): بارك الله في بطني الذي حملك. هذه فكرة عادلة.
- الشاب: بل لعبة مسلية جداً.
- الكاتبة (بحماس): أنا سأكتب محضر لتحقيق.
- المدعي العام (موجهاً كلامه للكاتبة): خائنة.
- الطفلة (موجهة كلامها للكاتبة): ما اسمك يا هذه؟
- الكاتبة (بجرح): لقد سرقوا اسمي.
- الطفلة: من هم؟

- الكاتبة (تشير إلى الأعلى): هم؟
- الطفلة (تنظر إلى الأعلى): من هم؟
- الكاتبة: الكبار، لعنهم الله.
- المدعي العام (بقلق): أرفض الحديث دون حضور المحامي الخاص بي.
- الرجل: لقد حققت معنا دون وجود أيّ محام لنا.
- المدعي العام: هذه المحاكمة غير قانونية.
- المرأة (بحق): هل محاكمتكم لنا لم تكن قانونية كذلك؟
- المدعي العام (يحاول التهرب): أنا متعب الآن وجائع.
- المرأة العجوز: اصبر؛ فأنت شجاع، وتحتمل الجوع.
- المدعي العام (بانهيار): لست كذلك.
- المرأة العجوز: تعلم الصبر والاحتمال من هذا الطفل الفلسطيني الصغير.
- المدعي العام: ماذا عن محاكمة الطبيب والممرض؟
- الشاب (بفخر): أنا سأكون قاضي القضاة؟
- الرجل والمرأة والمرأة العجوز والصبي والطفلة (بصوت واحد): نحن سنكون قضاة الاستئناف والتمييز.

- الطفلة (بفخر): سأكون أول طفلة تتولّى منصب القضاء في تاريخ المخيمات جمعاء.
- الصبي (بفخر): وأنا سأكون أول لقيط في تاريخ القضاء.
- الكاتبة (بقرف): تقصد أول ابن حرام في تاريخ القضاء.
- المدعي العامّ (بثقة): لن تكون الأول أبداً في هذا الشأن، فالدوائر القانونية في كلّ مكان تعجّ بأولاد الحرام.
- المرأة العجوز (مقهقهة): أول مرة تتحدّث بصدق، يا حضرة المدعي العامّ.
- الممرض (بخوف): بماذا سيُحكّم علينا يا حضرة الطبيب؟ أنا خائف.
- الطبيب: لا تقلق. إنّها لعبة مجانيّن لا أكثر.
- الشاب: بناء على أنّكما متورطان في ملف قضية الاسم (X)، وبما أنّكما جزء من لعبة الجنون والعقاب، فإنّنا نحكم عليكم بتضييع اسميكما.
- الرّجل والشّاب والمرأة والمرأة العجوز والصّبي والطفلة (بجماس): نصادق هذا على القرار ليكون قراراً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطعن، ويُعمل به من ساعته.

- الممرّض (بهلع): لكن هذا ظلم، كيف سأعيش دون اسمي؟
- العجوز (بغيط): تماماً كما نعيش كذلك منذ زمن طويل.
- الطّفلة (ساخرة): الأمر سهل، صدّقني.
- الشّاب (باستهزاء): ليس سهلاً كثيراً، لكن عليك أن تعتاد على الأمر.
- الصّبي (بشماتة): صدّقني، لن تستطيع أبداً أن تعتاد على الأمر، هو أمر مؤلم بحقّ.
- الطّيب (يقترّب من الممرّض، ويهمس في أذنه): لا عليك، إنّها مجرد لعبة مجانيين، لا تأخذ الأمر بهذه الجديّة.
- الممرّض (بقلق): لا أحد يستطيع أن يأمن على اسمه في هذه البلد؛ فهو قد يُسرق في أيّ لحظة.
- الطّيب: قُلْ يضيع، لا يُسرق.
- الشّاب (مستهزئاً): على الجميع أن يؤمّنوا على أسمائهم بملايين الدّولارات.
- الرّجل (بسخرية): على الأقلّ تحصل على الكثير من المال عندما تُسرق منك.
- الممرّض (بجيرة): هل هذا يفيد في تخفيف الألم؟

- الرَّجُل (بِحكمة): أبدأ، المال لا يعوّض عن الأسماء المسروقة.
- الممرّض (بجنيبة أمل): كنتُ أعتقد أنّ المال يعوّض عن كلّ شيء مفقود.
- الرَّجُل: لا تصدّق هذه الكذبة، لو كان الأمر كذلك، لما كنتُ وجدت الأبطال الأبّاء في أركان الأرض ودرّوبها يدفعون أعمارهم رخيصة مقابل أسمائهم، ولكن المال والمغنم عوضاً لهم عن أسمائهم المسروقة.
- الطّفلة: احذّر من أن تضيّع اسمك.
- الممرّض (بجوف): هل من الممكن أن تضيّع الأسماء؟
- المدّعي العامّ (بثقة): الأسماء لا تضيّع، بل تُسرق.
- الشّاب: هل هذا اعتراف منك بأنّ أسماءنا قد سُرقت منّا؟
- المدّعي العامّ: من المؤكّد أنّها قد سُرقت منكم؟
- الكاتبة: بل هذا أكيد. حتى أنا قد سرقتوا اسمي. كما سُرقت روعي منذ زمن طويل.
- المرأة (بشماتة وسخرية): من سرق روك، أيّتها المرّأة الجميلة الشريفة الطاهرة؟
- الكاتبة (بجزن): إنّه الحبّ، من غيره يسرق الرّوح؟

- المرأة: ألم تقولي لي من قبل إنّ الحبّ ضعيف، وأنّ المرأة الشريفة تقاومه حتى تنتصر عليه؟
- الكاتبة (بمرارة): حاولتُ ذلك في الماضي، حاولتُ فعله مرّة تلو الأخرى، لكنني سقطت في فخّه.
- المرأة (باستهزاء): اسمعوا ما تقول توحيدة الجبّارة؟ إنّها ضعيفة أمام الحبّ. هل تصدّقون ذلك؟ هل يمكن لتوحيدة أن تعرف الحبّ الحقيقيّ بعيداً عن المال والمصالح؟
- المدّعي العامّ (باحترار): لا تصدّقوا هذه المرأة الرّخيصة؛ إنّها لا تعرف الحبّ أبداً؛ فهي تقدّم جسدها لمن يدفع ثمنه.
- الكاتبة (بجزن): أنتَ لم تعرف توحيدة العاشقة، لقد عرفتَ توحيدة السّلة.
- المدّعي العامّ (باحترار): لطالما كنتُ سلعة رخيصة لكلّ من يدفع ثمنها.
- المرأة (باحترار): صه، أيّها المدّعي العامّ (X). دعنا نسمع كلام توحيدة.
- الكاتبة (بتأثر وصدق): انتظرتُ العشق دون توقّف. كتبتُ على قلبي في انتظاره:

أريد أن أركب معك

ولو مرّة واحدة

قطاراً ينسى أرصفته وقضبانه وأسماء مسافريه

أريد أن تلبس

ولو مرّة واحدة

معطف المطر

وتقابلني في محطة الجنون* .

- المرأة (بتعاطف): هل قابلت الحبّ أخيراً؟

- الكاتبة (بجزن): لا، لم أقابله، كلّ رجل قال لي أحبك انزلت

في سريره، وعاشرته لعله يهيني قلبه بصدق وإخلاص، لكنّهم أجمعين لم يكونوا صادقين.

- المرأة (بقرف): هذا هو العهر بعينه أيتها الفاضلة.

- الكاتبة (بجنت): لذلك قرّرتُ أن أنتقم من الرّجال كلّهم؛ فلا

أهب جسدي إلاّ لمن يدفع ثمنه، أما قلبي، فأليتُ على نفسي أن لا أهبه لأحد مهما اجتهد في الحصول عليه.

* - من أشعار الشاعر نزار قبّاني.

- المدعي العام (مصدوماً): يا لك من امرأة خائنة! ألم تقولي لي مراراً وتكراراً أنك تحبيني مجنون؟

- الكاتبة (باحقار): من يمكنها أن تحبك، يا سعادة المدعي العام (X)؟

- المرأة (بقرف): النساء تعشق الرجال لا أشباههم أو أنصافهم أو حتى أرباعهم مثلك.

- الشاب: عندي فكرة ممتعة.

- الرجل (باهتمام): ما هي؟

- الشاب (بتندر): ما رأيكم أن نسمي هذه اللعبة لعبة محاكمة الاسم (X)؟

- المدعي العام (يهز رأسه باستحسان): تبدو لي فكرة جميلة.

- توحيدة: اخرس أنت، من طلب رأيك في هذا الأمر؟

- المدعي العام: أنا شريك في هذه اللعبة مثلكم تماماً.

- توحيدة (بجماس): وهكذا ستحمل هذه اللعبة اسم ملف التحقيق الذين أنتم الآن هنا بسببه.

- الرجل (بشماتة): وأنتما الآن هنا بسببه أيضاً.

- الشاب: إذن نسميها لعبة محاكمة الاسم (X)؟

- المرأة العجوز: نعم، نسميها محاكمة الاسم (X)؟
- الصبي: مرحى للعبة محاكمة الاسم (X).
- المرأة: هل تلاحظون أنّ هذه اللعبة هي قدرنا جميعاً؟ خارج أسوار هذا المستشفى كانت هذه اللعبة مفروضة علينا بقوى مختلفة، وبسببها نحن جميعاً هنا، والآن نسعى إليها برضانا، ونختارها لتكون لعبتنا المفضلة.
- الرجل: هي قدرنا كما قلت سابقاً.
- الشاب: بل هي إحقاق للحق، من الواجب أن نلعب هذه اللعبة في هذا المكان لنعدّب بها أولئك الأوغاد الذين عدّبونا بها في الماضي.
- المرأة: أتقصد المدعي العام وكاتبته؟
- الشاب: بل أقصد المجرمين جميعهم.
- المرأة: هل يمكن أن يدفعوا ثمن سرقة أسمائنا في يوماً؟
- الشاب (بثقة): بكل تأكيد.
- الصبي (بفرح): حتى ذلك الوقت سوف نستمتع بلعب هذه اللعبة مع المدعي العام وكاتبته.
- الطبيب (بحماس): أنا معكم في اللعبة.
- الممرض (بحماس): وأنا كذلك.

- المدعي العام: ها قد أصبحت بذاكرة عملاقة تدرك الأحداث كلها، يا شاب (X).

- الشاب (باستهزاء): دائماً كانت ذاكرتي حاضرة، لكنني كنتُ أخدعك كما خدعتُ سابقاً جنود التعذيب في السجون الصهيونية كي يفقدوا الأمل في أن أشي بأيّ من إخواني الفدائيين الفلسطينيين.

- المرأة العجوز (بفخر): هذا هو ابني البطل الشجاع.

- المدعي العام (بحق): أوغاد ملاعين.

- الشاب: بل هذه هي مكائد الاسم (X) كي يستمرّ في الحياة، وفي مواجهة من سرقوا اسمه الحقيقيّ.

- المرأة العجوز (تمسّد على ظهر الطفل الرضيع الذي تحمله): يا بنيّ، أتقصد أنّك لم تكن فاقداً لذاكرتك عندما انهار عليك نفق المقاومة في غزّة؟ أو عندما أُعتقلت في المعتقل الصهيونيّ حيث عدّبوك بشراسة؟

- الشاب: أبداً، لم أفقد ذاكرتي في يوم ما ولو لدقائق معدودة.

- المرأة العجوز (بعتاب شديد): لماذا أخفيت عني هذه الحقيقة؟ أنا أمك وسترک في الحياة، لقد انفطر قلبي حزناً عليك عندئذ، لو أخبرتني بالحقيقة لتكتمتُ عليها.

- الشاب (وهو يقبل يديّ المرأة العجوز بحرارة): لو أخبرتك بالحقيقة لكنتُ حنثُ بقسمي لأصدقائي المجاهدين. هل تقبلين بأن أحنث بقسمي يا أمّي الغالية؟

- المرأة العجوز (بفخر بابنها): لو فعلتَ ذلك لما كنت ابني الذي ربّيته على يدي، وأرضعته من حليبي.

- المرأة (باستهزاء): دعونا نعود إلى توحيدة العاشقة الوهّى قبل أن تصبح عاهرة على مستوى رفيع.

- المدعيّ العامّ (بسخرية): نعم دعونا نعود إلى توحيدة الرّخيصة.

- الكاتبة (بجزن): دائماً تساءلتُ هل حببي موجود في كوكب الأرض أم لا؟ ما شكله؟ كم عمره، ما هي طباعه؟ كيف تبدو رائحته؟ ماذا يأكل الآن؟ هل يعرف أنّي أنتظره؟ هل يسأل نفسه عنّي كما أسأل نفسي عنه؟ هل سيعرفني عندما يراني؟ أم أنّي سأمرّ بجانبه مرور الغرباء دون أن يعرفني؟ ثم يسير كلّ منا في طريقه لا يأبه بحبيبه الذي تركه خلفه؟

- المرأة (باهتمام): وماذا بعد؟

- الكاتبة (بمرارة وأسى): لم يأت العشق الذي انتظرتّه طوال عمري، وغدوت سلعة متاحة في سرير كلّ رجل يشتهيني أو أشتهيّه، ثم غدوت مارة دائمة في سرير كلّ عابر مادامت لي حاجة عنده.

- المدعي العام (بقرف وغضب شديد): يا مجرمة، هل كنت تخدعيني بقولك لي إنك تحبيني دون غيري من الرجال؟
- الكاتبة (بقرف): هل كنت مخلصاً في حبك لي لأخلص لك؟
- المدعي العام (بتعاضم): الإخلاص مطلوب من المرأة لا الرجل.
- الكاتبة (متهكمة): من قال ذلك أيها الدعي الخائن؟
- المدعي العام (بكبرياء مصنوع): أنا أقول ذلك؟
- الكاتبة: سحفاً لك، أيها المغفل.
- المرأة (بمرارة وحزن): بل هذا ما يقوله المجتمع كاملاً، إنه مجتمع مجرم يعاقب القلب العاشق، ويغض الطرف عن الابتذال والإسفاف والسفاح.
- الكاتبة: لقد بتُّ أكره كلَّ عاشقين، وأحقد عليهما، وأسأل نفسي: لم لستُ أنا المعشوقة الهائنة بحبِّ من يعشقها؟ لقد أحرق العشق قلبي.
- المرأة: لكن الحبُّ هو من يجبر القلوب.
- الكاتبة: بل هو حرب مدمرة.
- المرأة: إنه سلام دائم .

- الكاتبة: إنه يخنق، ويقتل، ويدفن.
 - المرأة: إنه يجيي، ويبعث من البلى.
 - الكاتبة: إنه من قاذني نحو الجحيم.
 - المرأة (بقرف من الكاتبة): وبعد هذا كلّه تسميني عاهرة؟
 - الكاتبة (بذل): أرجوك سامحيني.
 - المرأة (بلهفة): بماذا سنحكم عليها؟
 - الشّاب: الحكم بعد المداولة.
- (يتحلّق الرّجل والشّاب والمرأة والمرأة العجوز والصّبي والطفلة في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزّمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متثاقلين).
- المدّعي العامّ (بقلق): بماذا حكتم عليّ وعلى توحيدة الخائنة؟
 - الشّاب (ببرود أعصاب): حكمتنا عليكما بأن تظلا دون اسم، من الآن حتى الأبد سيكون اسمكما (X).
 - المدّعي العامّ: لكنّ اسمي هو المدّعي العامّ (X)، فكيف تحكمون عليّ بأن أحمل الاسم ذاته؟
 - الشّاب (ساخراً وشامتاً): هذا من قبيل التّأكيد.

- الكاتبة (بقلق): هل حكمتم عليّ بأن يكون اسمي إلى الأبد هو (X)؟

- الشاب: هذا ما قلته للتو.

- الكاتبة (بجزع): لا، أرجوكم، أنا لا أستحقّ هذا العقاب القاسي.

- الرجل والمرأة والمرأة العجوز والصبي والطفلة (بطريقة تمثيلية): نصادق على هذا القرار ليكون قراراً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطعن، ويُعمل به من ساعته.

- الشاب: من تختارون الآن لنحاكمه؟

- الجميع باستثناء الطبيب والممرض يصرخ قائلاً: دوري أنا.

- الشاب (يشير إلى الطبيب والممرض): ما رأيكم في أن نحاكم الطبيب والممرض أولاً؟

- المرأة العجوز: فكرة جيّدة.

- الطبيب (بحماس): أنا موافق على ذلك.

- الممرض (بقلق): أنا لا أشعر بالارتياح لهذه اللعبة المخيفة.

- الطبيب (مشجعاً له): لا بدّ لك من أن تشاركنا في هذه اللعبة.

- الممرض (مستسلماً): فوّضتُ أمري لله.

- الشاب: محكمتنا ترى أنّكما مذنبان بجرم مساندة من سرق أسمائنا، والتستّر على جريمته التّكراء.
- الممرّض (بانفعال): أنكر هذه التّهمة جملة وتفصيلاً.
- الشاب: كيف تنكرها، وقد كتبتَ بيمينك تقريراً مزوراً يفيد بأننا أجمعين نعاني من حالة اضطراب عقليّ شديد، وأننا نعدّ خطراً كبيراً على المجتمع.
- الممرّض: لكن الطّيب هو من أملى عليّ هذا التّقرير.
- الرّجل: وأنتَ كتبتَه بكامل إرادتك وموافقتك.
- المرأة: وبذلك كنتَ شريكاً في المساهمة في سرقة أسمائنا.
- الممرّض (بانھیار عصبيّ كامل): أرجوكم ساحونني، أنّي ضعيف أمام هذا الطّيب المتجبر.
- الطّيب (بدهشة): يا لك من خائن لئيم! إنّها لعبة يا غبي، لا حاجة بك لهذا الخوف كلّه.
- المرأة العجوز: هذه ليست لعبة، إنّها الحقيقة كاملة.
- الطّيب (باستهتار): هكذا إذن؟
- المرأة: بكلّ تأكيد.

- الطَّيِّب (باستهانة): بماذا حكمتم عليّ وعلى هذا الجبان الخائن؟

- الشَّاب: الحكم بعد المداولة.

(يتحلَّق الرَّجُل والشَّاب والمرأة والمرأة العجوز والصَّبي والطفلة في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزَّمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متثاقلين).

- الشَّاب (برود أعصاب): حكمتنا عليكما بأن تظلا دون اسم، من الآن حتى الأبد سيكون اسمكما (X).

- الرَّجُل والمرأة والمرأة العجوز والصَّبي والطفلة: نصادق على هذا القرار ليكون حكماً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطَّعن، ويُعمل به من ساعته.

- الممرِّض (مرعوباً): ضاع مستقبلي.

- الطَّيِّب: دعك من هذا الخوف يا . . . قل لي لطفاً ما اسمك؟

- الممرِّض (بشماتة): بل قل لي أنت ما اسمك؟

- الطَّيِّب (بتعجّب): أتصدِّق أنّي لا أتذكّر اسمي؟ ماذا حدث

لي بسبب هذه اللّعبة اللّعيّنة؟

- الممرِّض (بجزع): هي لم تكن لعبة.

- المرأة العجوز: لقد كانت حقيقة.
- الممرّض (مخاطباً الطّبيب بلوم): قلتُ لك إنّها لعبة خطيرة،
لكنّك صمّمتَ على أن نلعبها.
- الرّجل (مواسياً): يا هذا، لا تندم، ولا تعاتب مديرِك؛ فهذه
لعبة إجباريّة على كلّ من يشارك في اقتراف جريمة سرقة اسم شخص
ما.

- الممرّض (بقلق): ماذا سيكون مصيري الآن؟
- المرأة (دون مبالاة): من الآن فصاعداً سيكون اسمك الممرّض
(X).

- الطّفلة (بتوسّل): في ضوء سرقة اسمي طوال عمري بماذا
تُحكّمون عليّ، يا أصدقائي، في درب المعاناة والألم والحزن؟
- الشّاب: الحكم بعد المداولة، يا طفلة المخيمّ المعدّبة.
(يتحلّق الرّجل والشّاب والمرأة والمرأة العجوز والصّبي في حلقة في
طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزّمن، ثم يعودوا إلى
أماكنهم متناقلين).

- الشّاب: بعد المداولة حكمنا بالإجماع بردّ اسمك إليك.

- الرَّجُل والمرأة العجوز والصَّبي والطفلة: نصادق على هذا القرار ليكون حكماً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطَّعن، ويُعمل به من ساعته.

-الطفلة (بسعادة غامرة): ماذا عن باقي أطفال المخيمات في كل مكان في الدنيا؟

- الشَّاب (بفرح): الحكم بعد المداولة.

(يتحلَّق الرَّجُل والشَّاب والمرأة والمرأة العجوز والصَّبي في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزَّمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متناقلين).

- الشَّاب (بفرح): بعد المداولة قرَّرنَا أن نردَّ الأسماء المسروقة إلى أصحابها في المخيمات جميعها.

- الطفلة (بسعادة): مرحى للأسماء المستردَّة، أخيراً سيستردُّ كلُّ شخص في المخيمات اسمه.

- الصَّبي (بجماس): هل يمكن أن تردِّوا لي وللقطاء ومجهولي التَّسب في العالم أسماءنا المسروقة؟

- الشَّاب: الحكم بعد المداولة أيُّها الشَّاعر الصَّغير.

-الطفلة (بحماس): هل يمكن أن أكون معكم في هيئة قضاة التمييز؟

-الرجل (بمداعة): بكل سرور، أيتها القاضية الصغيرة.

(يتحلّق الرجل والشاب والمرأة والمرأة العجوز والطفلة في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متناقلين).

- الشاب: بعد المداولة بالإجماع حكمنا بردّ اسمك إليك.

- الصّبي (باهتمام): ماذا عن باقي اللّقطاء ومجهولي التّسب في العالم؟

- الشاب: حكمنا بردّ أسمائهم إليهم جميعاً.

- الصّبي: يحيا العدل، أخيراً سنحظى بأسمائنا، أخيراً لن نخاف من المجتمع، ولن نأخذ بجرائر غيرنا، أخيراً سأكتب قصيدة مرهونة باسمي لا باسم (X).

- المدّعي العامّ (بغیظ): الآن تستطيع أن تبحث عن أمل.

- الصّبي (بثقة وحماس): سأجدها بكلّ تأكيد.

- الكاتبة (بمقد): حلم إبليس في الجنّة.

- المدّعي العامّ: لن تتغيّري أبداً يا هذه. قولي لي ما اسمك؟

- الكاتبة (بتلعثم): اسمي. . . ، لا أعرف ما هو اسمي.
- الممرض (بشماتة): هذه بركات لعبة محاكمة الاسم (X).
- الطيب: ألم أقل لك إنها لعبة ممتعة؟
- الممرض: يا أيها المستمتع العظيم، هل يمكن أن تقول لي ما اسمك؟
- الطيب (دون مبالاة): من يحتاج إلى الأسماء في مستشفى المجانين؟
- المرأة: الآن جاء دوري. أيها الأصدقاء المناضلين، بماذا تحكمون على امرأة سرقوا اسمها بجريرة عشقتها؟
- الشاب: الحكم بعد المداولة، أيها العاشقة المخلصة.
- (يتحلّق الرجل والشاب والمرأة العجوز والطفلة في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متناقلين).
- الشاب: بعد المداولة حكمنا بالإجماع بأن يُعيد المجتمع اسمك إليك، وأن تعيشي طوال حياتك مع الرجل الذي تحببينه.
- المرأة (بقلق): ماذا عن المجتمع؟

- الشّاب: حكمنّا عليه بالخرس والصّمم والعمى عن العاشقين
أجمعين.

- المرأة (بفرح): يحيا العدل، يحيا العدل.
- المدّعي العامّ (بتفاؤل ورجاء): ماذا عنيّ أنا؟
- الشّاب: لقد حكما عليك مسبقاً بسرقة اسمك؟
- المدّعي العامّ: أسألکم الرّحمة، ومعاودة النّظر في قضيتي.
- الشّاب: حكمنّا عليك نهائيّ غير قابل للطّعن فيه.
- الرّجل: أنت مجرم؛ لأنك تستّرت على المجرمين أجمعين الذين
سرقوا أسماءنا.

- المرأة العجوز: وسرقوا أسماء أطفالنا الصّغار.
- الرّجل: لذلك تستحقّ أشدّ أنواع العقاب.
- المرأة: بل تستحقّ أن يكون العقاب من جنس العمل.
- الرّجل: أنت ساندت من سرق أسماءنا؛ لذلك عليك أن تقبل
بحكم مصادرة اسمك؟

- المدّعي العامّ (بندم بادٍ): لا أملك أن أقول لهم لا، من يقول
لهم لا يغدو هباء منثوراً.

- المرأة العجوز (باحقار): يا لك من جبان رعديد!

- الرجل (باحترار): بل يا لك من حاكم ظالم!
- المدعي العام: إنهم يسرقون الأسماء من أصحابها، ومن يجاربههم يخسر اسمه، وأنا أضعف من أن أحاربهم.
- الشاب: من هم؟
- المدعي العام (بخوف وريبة مشيراً إلى أعلى): أنت تعرفهم أكثر مني.
- الشاب: أعرف أنّ الصّهاينة والأعداء ليسوا فقط من يجاربوننا هناك في فلسطين، هم في كلّ مكان وبكلّ الصّور والأسماء والسّحن، إنهم بيننا أحياناً، وأحياناً هم فوق، في أرفع المناصب المحصّنة.
- الطّبيب (بخوف): اسكت، رحماك يا رب. هذا المجنون سوف يضيّعنا.
- الممرّض (بخوف وندم): ألم أقل لك أنّ اللعبة أخطر ممّا تتخيّل؟
- الطّبيب (بقلق): يبدو ذلك.
- الممرّض: يا له من إدراك متأخّر لكارثة كبرى!
- الشاب: كفاكم جبناً، هناك في المعتقل الصّهيونيّ سرقوا مني لساني وفحولتي، ولكنهم لم يستطيعوا أن يسرقوا اسمي، أمّا العالم فقد

سرق اسمي؛ لذلك لبستُ الجنون في كلِّ مكان، والآن في مستشفى المجانين أريد أن أخلعه كي أقول إنَّ اسمي فلسطيني؟

- الممرض (بانزعاج): أهذا مستشفى مجانين، أم مؤتمر وطني لتحرير الأراضي المحتلة؟

- الشاب (بقلق): أما آن الوقت الآن لتحاكموني، يا أصدقاء؟
- الرجل: لكن لا يجوز أن تكون خصماً وقاضياً في الوقت نفسه.
- الشاب: معك حق؛ لذلك أتنازل لك عن مناصبي في تحكيم قضيتي هذه. الآن أنا لستُ قاضي القضاة في هيئة محمكتكم الموقرة.
- الرجل: الحكم سيكون بعد المداولة.

(يتخلَّق الرجل والمرأة والمرأة العجوز والطفلة والصبي في حلقة في طرف خشبة المسرح، ثم يتناجون لبرهة من الزمن، ثم يعودوا إلى أماكنهم متثاقلين).

-الرجل: بعد المداولة حكمنا بالإجماع بأن تردّ الأسماء لك وللشعب الفلسطينيّ فرداً فرداً وإلى المناضلين أجمعين في شتّى أصقاع العالم.

- الرجل والمرأة والمرأة العجوز والصبي والطفلة: نصادق على هذا القرار ليكون حكماً وجاهياً مميّزاً غير قابل للظعن، ويُعمل به من ساعته.

- الشاب (بفرح غامر): أخيراً، هلّ العدل يا أصدقائي. مرحى للعدل.

- الرّجل (بفخر): صديقي بالتّضال، قدر المناضلين أن يكتبوا أسماءهم في سفر الخلود، فهنيئاً لك اسمك الطّاهر المبارك.

- الشاب: بعد محاكمتي بشكل عادل بعيداً عن عضويتي في هذه هيئة هذه المحكمة، هل يمكن أن أسترّد مناصبي بوصفي قاضي القضاة فيها؟

- الرّجل (بترحيب): بكلّ سرور.

- الشاب: ماذا عنك أنت، يا أمي؟

- المرأة العجوز: أمّا أنا، فإنصافي يتمثّل بإنصاف هذا الطّفل الرضيع اليتيم.

- الشاب: يجب أن ينصفه التّاريخ.

- المرأة: يجب أن يردّ اسمه إليه.

- المرأة العجوز: ماذا سوف نسّمّي هذا الطّفل الفلسطينيّ الصّغير؟

- الشاب (بحماس): نسّمّيه عيسى الفلسطينيّ، فهو وريث المسيح فينا، فلا يزال المسيح الفلسطينيّ مظلوماً مضطهداً في وطنه فلسطين.

- المدّعي العامّ (بذل): أنا نادم على أفعالي جميعها، أرجوكم
ساحونني، وردّوا اسمي إليّ.
- المرأة (بقرف): دائماً تدمون في نهاية المطاف.
- الرّجل (باحترار): لكن بعد فوات الأوان.
- المدّعي العامّ (بذل): الرّحمة، أسألکم الرّحمة.
- الشّاب (بجزم): قد حكمنا عليك منذ زمن بمصادرة اسمك.
دعك من التوسّلات وطلب الرّحمة.
- المدّعي العامّ (بتوسّل): الرّحمة الرّحمة.
- المرأة : لا رحمة لسارق أسماء الأبرياء.
- المرأة العجوز: لا رحمة لمن لا يرحم الأطفال المستضعفين.
- الكاتبة (بمقد وغلّ): ويسرق جسد موظفته الكاتبة.
- المدّعي العامّ (مخاطباً كاتبته): يا لك من امرأة مخادعة خائنة!
- المرأة: لا رجعة عن مصادرة أسماء سارقي الأسماء.
- الكاتبة (بشماتة): يحيا العدل، يحيا العدل.
- المدّعي العامّ (مخاطباً الكاتبة): أفعى خائنة.
- الكاتبة (بقرف): مغتصب مستغلّ.

- المدّعي العامّ (بانزعاج شديد): أكاد أختنق في هذا المكان. أريد أن أخرج منه.
- المرأة العجوز: يا لك من مجنون بحق! أنت من أرسلتنا إلى هذا المكان الفظيع، فكيف يمكن أن نُخرج منه؟
- الطّبيب: أنتم باقون هنا.
- المدّعي العامّ: إلى متى؟
- الطّبيب: إلى الأبد.
- الرّجل: بل حتى يذهبون.
- المدّعي العامّ (بلهفة): متى يذهبون؟
- الرّجل: عندما نقاتلهم لاسترداد أسمائنا وحقوقنا.
- المدّعي العامّ (بجبن وخنوع): أنا لا أقاتل أحداً، أنا لا أحبّ المعارك والقتل والدّم والموت.
- الرّجل (بشجاعة وحماس): أنا أحبّ القتال والمعارك دون حقّي.
- الشّاب: وأنا كذلك.
- المرأة: هل ستذهب إلى الجبل للقتال؟
- الرّجل: يجب أن أسترّد اسمي.

- الشاب: قد حكمنا باسترداد اسمك في التو واللحظة دون مداولة، أيها الفدائيّ الشجاع.

- المرأة والمرأة العجوز والصبي والطفلة: نصادق على هذا القرار دون مداولة أو دراسة له ليكون حكماً وجاهياً مميّزاً غير قابل للطعن، ويُعمل به من ساعته.

- الرجل: أصدقائي، الأسماء المسروقة لا تُسترد بقرارات المحاكم، بل بالأذرع التي تحمل السلاح؛ لذلك أنا ذاهب إلى الجبل لأقاتل أعدائي الغاصبين إلى حين تحرير وطني.

- المرأة (بحماس): أريد أن أذهب معك إلى الجبل.

- الرجل: لماذا؟

- المرأة: هناك سأنجب ومن أحبّ طفلنا الأوّل، يجب أن يولد الأباة على رؤوس الجبال.

- المدعي العامّ (بقلق): ماذا عني أنا؟

- الكاتبة (بقلق): وماذا عني أنا؟

- الطيب: ستبقون جميعاً حييبي هذه الجدران حتى الأبد.

- الممرض (بانفعال شديد): فعلاً أنتم مجانين.

- المرأة (تحدّق في البعيد، وتخطب حبييها الغائب المجهول):

أحبك أنت؛ لأنك أنتلأني أنا قلت: كوني، فكنت

وكنتِ خلاصة أحلام عمري وما بين عيني وبينني سكنتِ
أحبّ الجنون، الجنونُ يوعمي فلولا جنوني أنا ما جننتِ*
(الأصوات الرجالية والنسائية تتعالى من خارج خشبة المسرح
هاتفه بصوت واحد: نريد أسماءنا، اعيدوا لنا أسماءنا).

(صوت بكاء الطفل الصغير يتعالى)

- المرأة العجوز (تهدهد الطفل بفرح): كفّ عن البكاء يا
صغيري، لقد حصلتِ أخيراً على اسم جميل لا يُسرق.
- (الجميع بصوت فرح واحد): عيسى الفلسطينيّ.
- الطّبيب (مستنكراً): يا لكم من مجانين!
- الممرّض (بجراحة مفاجئة): بل أنتَ من عليه أن يخرس إلى الأبد.
- الطّبيب: هل جنّنت، يا هذا؟
- الممرّض (بغضب شديد): لأوّل مرّة أتأكّد من أنّي عاقل بشكل
كامل.

انتهت المسرحيّة

وتتعالى الأصوات المطالبة باسترداد الأسماء المسروقة

* من أشعار الشاعر اللبنانيّ يونس الابن.

(المسرحية الخامسة)
السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ
(مسرحية من ستة مشاهد)

شخصيات المسرحية

- المخرج: رجل يلبس ملابس عصرية، ومنتعل حذاء رياضياً، ويضع قبعة إفرنجية على رأسه، ويحمل أوراقاً كثيرة بين يديه، هي أوراق نصّ المسرحية، ويضع نظارة على عينيه، ويوجّه الملاحظات للممثلين في المسرحية.

- الممثل ١ + الممثل ٢ + الممثل ٣: ثلاثة رجال يلبسون ملابس سوداء قديمة مهترئة، وهم حفاة الأقدام، تظهر التّعاسة على ملامحهم، والحزن والتعب والخوف على أصواتهم.

- الممثلة: امرأة تلبس ملابس سوداء مهترئة قديمة، وينسدل شعرها على كتفيها دون تسريح أو نظام، وتمشي حافية القدمين، وتظهر التّعاسة والخوف على وجهها وصوتها.

- مساعدة المخرج: امرأة تلبس ملابس عصرية، وتنتعل حذاء رياضياً، وتحمل نسخة ورقية من نصّ المسرحية، وتساعد المخرج في متابعة تدريب الممثلين على أدوارهم في المسرحية.

- حكيم الزّمان: رجل متقدّم في العمر، يلبس جبّة مهترئة برقع كثيرة، ويضع طربوشاً على رأسه، وله لحية بيضاء طويلة، وهو حافي القدمين.

- جموع الناس: خليط من الرجال والنساء من أعمار مختلفة، جميعهم يلبسون ملابس مهترئة، وهم حفاة الأقدام.
- رجال العسكر: يلبسون البذلات العسكرية الحمراء، ويغطّون رؤسهم بعمامات حمراء، ويتلثمون بالأحمر، فلا تظهر إلاّ أعينهم الغاضبة، يحملون الأسواط، ويهدّدون جموع الناس المغتّين بالضرب.
- العسكريّ ١ + العسكريّ ٢: يلبسان ملابس عسكريّة حمراء، ويغطّيان رأسيهما بالعمامات الحمراء، ولا يضعان لثاماً على وجهيهما، وكلّ منهما يحمل سيفاً براقاً.
- الوزير مرمر: قصير وسمين، ويلبس ملابس فاخرة.
- قائد الشرطة سليمان الأعور سليمان الأعور: طويل ونحيف، ويحمل سيفاً، ويرتدي بذلة عسكريّة حمراء، على كتفه الكثير من الشارات والرتب العسكريّة، وعلى صدره الكثير من التياشين التكريميّة، وعلى إحدى عينيه قطعة جلديّة تخفي عينه العوراء.
- سلطان التوم: رجل طويل يلبس عباءة ذهبيّة لامعة، وهناك الكثير من التّجوم اللامعة مرسومة على وجهه، ويضع تاجاً لامعاً على رأسه.
- مرافقا سلطان التوم: رجلان يلبسان عباءتان ذهبيّتان لامعتان، وهناك الكثير من التّجوم اللامعة المرسومة على وجهيهما.

- خادما السُّلْطَانِ: ضَخْمَا الجَسَدِ، عَارِيَا الصَّدْرَ، يَحْمِلُ كُلُّ مَنَهُمَا مَهْفَةً مِنَ الرَّيْشِ، وَيَهْفُ بِهَا عَلَى السُّلْطَانِ؛ لِيَبْرُدَ عَلَيْهِ.
- كَاتِبُ السُّلْطَانِ: رَجُلٌ كَبِيرٌ وَقُورٌ، يَلْبَسُ جَبَّةً، وَيَلْفُ رَأْسَهُ بِعِمَامَةٍ، وَيَحْمِلُ كِتَابًا كَبِيرًا يَكْتُبُ فِيهِ بِرَيْشَةَ طَاوُوسٍ كَبِيرَةٍ.
- الْحَاجِبُ: عَسْكَرِيٌّ يَحْمِلُ سَيْفًا كَبِيرًا لَامِعًا، وَيَقِفُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ.
- الطِّفْلُ: طِفْلٌ صَغِيرٌ يَلْبَسُ مَلَابِسَ جَمِيلَةً وَعَصْرِيَّةً وَأَنْيَقَةً.

المشهد الأوّل

التّوصيف المكانيّ والضّوئيّ والصّوتيّ لخشبة المسرح

تُفتح الستائر على خشبة المسرح، في خلفيته ستائر بيضاء شفافة لامعة، تزيّنها نجوم صغيرة، وقمر لامع.

الإضاءة خافتة تماماً حتى لا يُرى أيّ شيء في خشبة المسرح، فقط توجد حزمة نور كبيرة مسلّطة على سرير كبير مذهّب الأطراف، يقع في نصف الخشبة، تعلوه ستائر زرقاء لامعة.

موسيقى خافتة تملأ المكان، ويظهر سلطان نائم في السرير، على رأسه تاج ذهبيّ، تعلو وجهه ابتسامة سعادة وراحة، ويشخر كثيراً.

توجد لافتة كبيرة إلى يمين سرير السلطان مكتوب عليها: "السلطان نائم، يُمنع الإزعاج"، وهناك إلى يسار السرير لافتة أخرى مكتوب فيها: "السلطان نائم، وتوفير الهدوء له واجب وطنيّ مقدّس"، ومن أعلى المسرح تتدلى لافتة ثالثة، حتى تكاد تلمس رأس السلطان النائم، مكتوب عليها: "السلطان نائم لغايات وطنيّة جليّة".

(إضاءة المسرح تُتَّسَعُ سَرِيعاً حَتَّى تَشْمَلُ الخَشْبَةَ كَامِلَةً، تَدْخُلُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَى المَسْرَحِ، وَهَمَّ يَلْبَسُونَ مَلَابِسَ سَوْدَاءَ قَدِيمَةٍ مَمزُوقَةٍ، وَجَمِيعُهُمْ حَفَاءَةٌ. يَأْخُذُونَ بِالدُّورَانِ حَوْلِ السَّرِيرِ الَّذِي يَسْتَلْقِي السُّلْطَانَ عَلَيْهِ مَرْتَدِيّاً تَاجاً ذَهَبِيّاً كَبِيراً، وَهَمَّ مَتَشَابِكُو الأَكْفِ، وَعَلَى وَجُوهِهِمْ تَظْهَرُ عِلَامَاتُ الحِزْنِ وَالبُؤْسِ، وَيَجِدُّونَ جَمِيعاً فِي وَجْهِ السُّلْطَانِ النَّائِمِ الَّذِي يَشْخَرُ بِصَوْتِ مَزْعَجٍ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى آذَانِهِمْ كَيْ لَا يَسْمَعُوا صَوْتَ شَخِيرِهِ).

- المخرج (بصوت مرتفع، وهو يقف خارج خشبة المسرح):
بالضبط هذه ما أريده، أريد هذه التعبيرات الحزينة التي تظهر على وجوهكم، وأريد منكم التمسك بهذه الإيماءات الكسيرة الخائفة، يجب أن لا تفارقكم هذه الملامح أبداً.

- الممثل ١ (مخاطباً المخرج): صدقني، إن الملامح التي تظهر على وجوهنا هي ملامح حقيقية تماماً، وليست مصنوعة لأجل هذه المسرحية كما قد تعتقد.

- الممثل (ضاحكاً بسخرية): هل تريد القول إنك في حالة تعبير حقيقية، ولست مجرد ممثل في هذه المسرحية؟ وأنتك نائر بحق على ظلم هذا السلطان النائِم؟

- الممثل ١ (بجوف شديد): الله يستر بيتك يا حضرة المخرج، دعنا من هذا المزاح الذي يخرب البيوت، ويطيّر الرقاب. أنا ما قلتُ شيئاً كهذا، ولا قصدتُ شيئاً من هذا القبيل. أهو دور في مسرحية، أم خراب بيوت؟ لم أقل لك سوى أنّ ملامح حزني هي حقيقة.

- المخرج (ضاحكاً): حسبك، يا رجل، كنتُ أمازحك. دعك من هذا الخوف، ولنحضر أنفسنا من جديد لعرض المسرحية إلى حين تحضر الممثلة المحترمة المتأخرة دائماً عن دورها (بامتعاض). هيا اعيدوا على مسمعي وللمرّة الأخيرة ما سوف تقولون فور فتح ستائر خشبة المسرح.

- الممثل ١: ليلتنا هنا من أجل الغناء.

- الممثل ٢: ولا شيء غير الغناء.

- الممثل ٣: بالغناء سنيقظ السلطان من نومه العميق.

- الممثلة: بالغناء سنيقظ السلطان من نومه الطويل.

- الممثل ٢: بالغناء سنيقظ السلطان من نومه المخيف.

- الممثلون ١+٢+٣ (بصوت واحد): لا نوم بعد الآن للسلطان.

- مساعدة المخرج (مقاطعة الممثلين بامتعاض واستهزاء): ها قد

جاءت الممثلة المتأخرة دائماً.

- المخرج (مخاطباً الممثلة المتأخرة بانزعاج وعصبية): إلى متى التأخر عن عملك في هذه المسرحية أيتها الممثلة المحترمة؟
- الممثلة (لاهثة، وهي تصعد درجات خشبة المسرح): الحقيقة، يا حضرة المخرج، أنني...
- المخرج (مقاطعاً كلامها): هذا ليس وقت التبريرات، دعينا من الأعدار، سنتكلم في الأمر فيما بعد، استعدّي الآن لدورك، ستفتح الستارة بعد دقيقتين لا أكثر.
- (ينزل المخرج عن خشبة المسرح، ويعود الممثلون جميعاً إلى أماكنهم حول السلطان، ويحدقون في وجهه من جديد وفق متطلبات أدوارهم).

- الممثل ١: ليلتنا هذه من أجل الغناء.
- الممثل ٢: ولا شيء غير الغناء.
- الممثل ٣: بالغناء سنيقظ السلطان من نومه.
- الممثلة (بجزم): لا نوم بعد اليوم للسلطان.
- (إعتام خشبة المسرح بشكل كامل إلا من دائرة ضوئية في وسطها، يدخل حكيم الزّمان إلى خشبة المسرح، يحدّق في وجه السلطان النَّائم، ويداعب لحيته البيضاء الطويلة، ويمرّر أصبع يده من أمام فمّ

السُّلْطَانُ؛ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَتَنَفَّسُ، ثُمَّ يَتَبَعَدُ عَنْهُ بِاتِّجَاهِ الْمُمَثِّلِينَ
الْثَّلَاثَةَ سِيرًا عَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ كَيْ لَا يَحْدُثُ أَيُّ صَوْتٍ).

- الممثل ١: أَلنْ تَخْبِرُنَا يَا حَكِيمَ الزَّمَانِ بِحِكَايَةِ السُّلْطَانِ النَّائِمِ؟
- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِضَجْرٍ وَتَأْفُفٍ): لَقَدْ أَخْبَرْتَكُمْ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.
- الممثل ٢ (هَامِسًا لِحَكِيمِ الزَّمَانِ): اللَّهُ يَسْتَرُ بَيْتَكَ. قُلْ الْحِكَايَةَ
كَيْ نَقُولَ أَدْوَارَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْرُوحِيَّةِ، وَنُنْتَهِيَ، وَنَعُودَ إِلَى بِيوتِنَا لِنَسْتَرِيحَ.
- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِتَأْفُفٍ): كَمْ مَلَلْتُ مِنْ هَذَا الدَّوْرِ؟
- الممثل ٣: قُلْ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي دَوْرِكَ؛ لِنَقُولَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ
فِي أَدْوَارِنَا.

- الممثل ١ (يَعِيدُ كَلَامَهُ حَائِثًا الْحَكِيمَ عَلَى قَوْلِ دَوْرِهِ): أَلنْ تَخْبِرُنَا،
يَا حَكِيمَ الزَّمَانِ، بِحِكَايَةِ السُّلْطَانِ النَّائِمِ؟
- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِتَضَجُّرٍ وَتَأْفُفٍ، وَهُوَ يَقُولُ مَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَهُ
وَفَقْ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي دَوْرِهِ): حِكَايَةُ هَذَا السُّلْطَانِ النَّائِمِ هِيَ حِكَايَةُ
السُّلْطَانِ النَّائِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

- الممثل ١ (بِتَعْجُّبٍ مُفْتَعِلٍ): هَلْ هُنَاكَ سُلْطَانٌ لَا يَنَامُ؟
- الممثل ٢: كَيْ يَكُونُ سُلْطَانًا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ نَائِمًا.

- الممثل ٣: منذ وُلِدْتُ وهذا السُّلْطَانُ نائم لا يستيقظ من نومه الطَّوِيل!

- الممثل: أَلنَّ تَجْبِرُنَا يَا حَكِيمَ الزَّمَانِ بِحِكَايَةِ السُّلْطَانِ النَّائِمِ؟

- حَكِيمَ الزَّمَانِ (يَجَاوِلُ أَنْ يَقُولَ دَوْرَهُ بِشَكْلِ صَحِيحٍ): لَا تَعْنِينِي حِكَايَةَ السُّلْطَانِ النَّائِمِ. سَأُرْوِي لَكُمْ حِكَايَةَ السُّلْطَانِ الَّذِي لَا يَنَامُ.

- الممثل ١ (بِتَعْجَبٍ): هَلْ هُنَاكَ سُلْطَانٌ لَا يَنَامُ؟

- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِحِكْمَةٍ مَصْنُوعَةٍ): هَذَا مَا تَقُولُهُ الْحِكَايَةُ. الْحِكَايَاتُ لَا تَكْذِبُ.

- الممثل ٢: فَمَا هِيَ حِكَايَةُ هَذَا السُّلْطَانِ الَّذِي لَا يَنَامُ؟

- حَكِيمَ الزَّمَانِ: هِيَ حِكَايَةُ فِيهَا عِبْرَةٌ.

- الممثل ٣: فَهَلْ فِيهَا مَتْعَةٌ؟

- حَكِيمَ الزَّمَانِ: تَصْبِحُ مَتْمَعَةٌ إِنْ أَخَذْنَا الْعِبْرَةَ مِنْهَا.

- الممثل ١: مَا هِيَ هَذِهِ الْحِكَايَةُ؟

- حَكِيمَ الزَّمَانِ: يُحْكِي أَنَّ سُلْطَانًا قَدْ حُرِمَ مِنَ النَّوْمِ، فَبِحِثِّ طَوِيلًا عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، إِلَى أَنْ عَلِمَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ سَرَقَ نَوْمَهُ.

- الممثل ١: يَا لَهُ مِنْ شَعْبٍ سَارِقٍ!

- الممثل ٢: بَلْ هُوَ شَعْبٌ ذَكِيٌّ.

- حكيم الزّمان: بل هو شعب جائع ومحروم ومعدّب ومظلوم؛ لذلك سرق التّوم من سلطانه.
- الممثل ٣: ماذا فعل السُّلْطَانُ ليسترّدّ نومه المسروق؟
- حكيم الزّمان: استشار وزيره الخالص فيما عليه أن يفعل؟
- الممثل ١: فبماذا أشار عليه؟
- حكيم الزّمان: لقد أخبره بأنّ ليس من حقّ السُّلْطَانِ أن ينام وفي سلطنته جياح وعراة ومظلومون.
- الممثل ٢: وماذا حدث بعد ذلك يا حكيم الزّمان؟
- حكيم الزّمان: لأنّ السُّلْطَانِ لا ينام؛ فقد استغلّ وقت يقظته في إقامة العدل وإسعاد الرّعية التي حكمها بالحبّ والإخلاص والتّفاني؛ فعرف قلبه معنى الفرح والطّمأنينة، وعرفت الرّعية معنى الرّاحة والأمن والسّعادة وحبّ الأوطان.
- الممثلة (تتدخل في الحوار بعد طول صمت، وتتكلم بتكلّف وتأقّف يظهر أنّها منزعجة ومتمعضة من حوارها السّابق مع المخرج): هل نام السُّلْطَانُ بعد ذلك يا حكيم الزّمان؟
- حكيم الزّمان: ليس كثيراً؛ لأنّ سعادته بحبّ الرّعية له لعدله وحبّه وإخلاصه لها جعلته يستيقظ طويلاً لأجل خدمتها.

- الممثّلة (بتعجّب): ألم يمتعظ من ذلك؟
- حكيم الزّمان: لقد توقّف تماماً عن الامتعاظ من استيقاظه الدّائم دون نوم.

- الممثّلة (باهتمام مصنوع): ماذا حدث بعد ذلك؟
- حكيم الزّمان: حكم السُّلْطَانُ بالعدل حتى وافته المنية، بعد أن أمر بأن يُكتب على عرشه "السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ"، فورث ابنه العرش من بعده، لكنّه ضرب صفحاً عمّا هو مكتوب على العرش، وغطّ في نوم عميق، وما يزال حتى الآن نائماً يغطّ في شخير مزعج كما ترون (مشيراً إلى السُّلْطَانِ النَّائِمِ على السرير). ومن حوله من بطانة السّوء واللّصوص والفاستدين أذاحوا لافتة "السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ"، وعلقوا بدلاً عنها: "السُّلْطَانُ نَائِمٌ، يُمنع الإزعاج"، والسُّلْطَانُ نَائِمٌ، وتوفير الهدوء له واجب وطني مقدّس"، والسُّلْطَانُ نَائِمٌ لغايات وطنيّة جليّة".

- الممثّلة (بجماس حقيقيّ): ماذا فعلت الرّعيّة عندما طال نوم سلطانها؟

- حكيم الزّمان: عادت للغناء من جديد.

- الممثّلة: ما هدفهم من هذا الغناء؟

- حَكِيمُ الزَّمَانِ (بشِمَاتةِ بِالسُّلْطَانِ): عَادُوا لِلغِنَاءِ لِيَسْرِقُوا نَوْمَ السُّلْطَانِ؛ فغِنَاءُ الرَّعِيَّةِ الْمُقَهْوَرَةِ لَعْنَةٌ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَسْرِقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي السُّلْطَانِ.

- المُمَثِّلَةُ (بدهشة): هل يَجُوزُ أَنْ تَسْرِقَ الرَّعِيَّةُ نَوْمَ سُلْطَانِهَا؟

- حَكِيمُ الزَّمَانِ (بِنبرة ذات مغزى): يَجِبُ عَلَى الرَّعَايَا الْمُنْكَودَةِ أَنْ تَسْرِقَ النَّوْمَ مِنْ عَيُونِ السُّلْطَانِينَ الظَّالِمِينَ.

(يَعْمُ النَّوْرُ الْمَكَانَ، وَيَرْتَفِعُ صَوْتُ جُمُوعٍ مِنَ النَّاسِ يَدْلِفُونَ إِلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ، يَلْتَفُّونَ حَوْلَ سُرِيرِ السُّلْطَانِ، وَجَمِيعُهُمْ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتُ الْمَعَانَاةِ وَالْفَقْرِ؛ مَلَابِسُهُمْ قَدِيمَةٌ مَهْتَرَةٌ سُودَاءُ اللَّوْنِ، وَحِفَاةُ الْأَقْدَامِ. فِي حِينِ صَوْتِ شَخِيرِ السُّلْطَانِ يَرْتَفِعُ أَكْثَرُ فَكْثَرِ).

(يَرْتَفِعُ شَخِيرُ السُّلْطَانِ النَّائِمِ، فَيَضَعُ الْمُمَثِّلُونَ وَحَكِيمُ الزَّمَانِ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ كَيْ لَا يَسْمَعُوا صَوْتَ الشَّخِيرِ الْمَزْعَجِ).

- جُمُوعُ النَّاسِ يَغْتَوْنَ بِصَوْتِ مَرْتَفِعٍ:

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، هَلَمَّوْا لِلغِنَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلتَغْضَبِ السَّمَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَليرْحَلِ النَّعَاسُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءَ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

- الممثلة (بغضب، وصوتها يعلو على صوت الغناء): منذ أن جاء هذا السلطان، ونحن جياع.

- الممثل ١: منذ جاء السلطان قد حرمتنا من السعادة.

- الممثل ٢: كانت الدنيا قبله أجمل.

- الممثل ٣: والسّماء أرحب وأقرب.

- الممثلة (بنبرة حاملة، وكأنها تتذكر الماضي): كنا عندها نعرف معنى العشق، كنا نقرن السعادة بمواكب الخير والحصاد، كانت السنبله تحمل مئة قمحة، وكانت النساء تنجب الأطفال الأصحاء أصحاب العيون الصافية، وكان الناس جميعاً ينامون على الأمن والصحة والرضا والفرح والراحة.

- الممثل ١: لكنّ منذ جاء السلطان فسدت المواسم، ورحل الفرح، وماتت السعادة، وحلّ الجذب والقحط والعقم، ولم تعد النساء تلد أطفالاً بعيون صافية جميلة.

- الممثل ٢ (بتذمّر): نحن نعمل ليل ونهار، ولا نجد لقمة العيش الكريمة.

- الممثل ٣ (بألم): في الليل ينجيم الحزن على قلوبنا؛ لأنّ أطفالنا يكون من شدّة الجوع، ولا نملك أن نطعمهم أيّ لقمة طعام.
- الممثل ١ (بغیظ، وهو يشير إلى السرير حيث ينام السلطان): السلطان هنا ينعّم بالنوم حيث الراحة والدّفء والهدوء.
- الممثل ٢: في السرير الجميل.
- الممثل ٣: وتحت السّماء الزرّقاء الجميلة.
- الممثل ١: التي تتدلّى منها النجوم البرّاقة المضيئة.
- الممثل ٢: لقد نام السلطان، وترك مقاليد الحكم في أيدي رجال بطانته الخونة الفاسدة ورجال حاشيته اللصوص الذين يسومنا العذاب والبؤس. أهذه هي وظيفة السلطان؟ هل وظيفة السلطان أن ينام ليل نهار؟
- الممثلة (بفزع): ماذا عنّا؟ ماذا سيكون مصيرنا؟
- الممثل ٢ (بقلق): أخشى أن يبقى السلطان نائماً إلى الأبد.
- الممثل ٣ (بخوف): يظلّ نائماً إلى الأبد؟ يا للهول! يا للمصيبة!
- وماذا سيكون مصيرنا عندها؟
- حكيم الزّمان: عندها ستصبح المملكة أكثر سواداً، وسوف يزداد اللصوص والخونة والمفسدون تغوّلاً وتوحشاً، وسوف تزداد معاناتنا أكثر فأكثر.

- الممثل ١: قد يُسجن الأحرار في السَّرَاديب المغلقة.
- حكيم الزّمان: هذا جائز.
- الممثل ٢: قد يُقتل الأحرار كذلك.
- حكيم الزّمان: هذا وارد في الحسبان.
- الممثلة: قد يزداد بؤسنا وقهرنا وحرماننا.
- حكيم الزّمان (يهزّ رأسه مؤيِّداً): هذا ما سيحدث دون شكّ.
- الممثل ١ (بحيرة): ماذا علينا أن نفعل إذن؟
- الممثل ٢: كيف يمكن أن ننجو من هذه المعاناة؟
- حكيم الزّمان (محرّضاً): علينا أن نستمرّ في الغناء المتمرّد على نومه حتى يستيقظ.
- (من جديد يعلو شخير السُّلْطَان، فيما يعلو عليه صوت غناء جموع النَّاس، وهم يغنون):

السُّلْطَان نائمٌ، ونحن جياعٌ
السُّلْطَان نائمٌ، هلمّوا للغناء
السُّلْطَان نائمٌ، فلتغضب السَّماء
السُّلْطَان نائمٌ، فليرحل النَّعاس

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

(تدخل مجموعة من رجال العسكر الذين يلبسون البذلات العسكرية الحمراء، ويغطّون رؤوسهم بعمامات حمراء، ويتلثمون بالأحمر، فلا تظهر إلا أعينهم الغاضبة، يحملون الأسواط، ويهدّدون جموع الناس المغنّين بالضرب، فيبعدونهم عن سرير السُّلْطَان، وهم يغنون:

مليكننا نائمٌ ما أروعهُ!

دعوه يستعذب غيّه

عين الله تكلاً مخدعه

دعوه في نومه ما أنفعه!

(يرفع جموع الناس أصواتهم بالغناء ليجابها به غناء رجال العسكر، فتختلط الأصوات بعضها ببعض، حتى يغدو المكان فوضى كبيرة).

- فجأة تُظلم خشبة المسرح، ثم يُسمع صوت جهوريّ مرتفع يقول: فرمان من السُّلْطَان العظيم النَّائم، والحاضر يعلم الغائب، والحي يعلم الميت، أو الذي سيموت عمّا قريب، بأمر من السُّلْطَان

قرّرنا حرمان من الشّعب من معونته الشّهريّة لهذا العام تأديباً له على الفوضى التي أزعجت نوم مقامه العالي.

- الممثّلة (باستهزاء): لكنّنا لا نتقاضى أيّ معونة من مقامه العالي!

- رجل الفرمان ذاته يقول: إذن سوف تُحرمون من المعونة التي لم تكونوا تتقاضونها، وستردّون كلّ ما لم تأخذه منها طوال سنوات نوم السُّلْطَان.

(من جديد تُضَاء خشبة المسرح)

(موسيقى عسكريّة خفيفة تعلو في المكان، تشتدّ الإضاءة، يهرب الجميع من خشبة المسرح، ويدخل عسكريان إلى الخشبة، وهما يلبسان ملابس حمراء، ولكن لا يضعان لثاماً على وجهيهما، كلّ منهما يحمل سيفاً كبيراً برّاقاً، يضربان الأرض بأقدامهما. يقف أحدهما عند رأس السُّلْطَان حيث ينام، فيما يقف الآخر عند قدميه).

- العسكريّ ١ (بجدّة وغلظة): من هناك؟

- العسكريّ ٢ (بجدد): اللّعة. لقد عاد أولئك المتمرّدون إلى غنائهم اللّعين.

- العسكريّ ١ (بانزعاج): كم أكره هذا الغناء!

- العسكريّ ٢ (بصوت مرتفع مرافق لموسيقى عسكريّة): الوزير مرمر، وقائد الشرطة سليمان الأعور سليمان الأعور يدخلان إلى حجرة السلطان التائم منذ أعوام وأعوام.

(يدخل رجلان إلى خشبة المسرح بتبختر وتكبر بمرافقة الموسيقى العسكريّة الترحيبيّة، أحدهما قصير سمين، ويلبس ملابس فاخرة، وهو الوزير مرمر، والآخر طويل ونحيف، ويحمل سيفاً، ويلبس بذلة عسكريّة حمراء، ويغطّي إحدى عينيه بجلده ليخفي عورها، وهو قائد الشرطة سليمان الأعور سليمان الأعور).

- الوزير مرمر (بحيرة وقلق وانزعاج): وماذا بعد يا قائد الشرطة؟ المسألة ما عادت تُحتمل.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بتضجّر): ماذا في يدي أن أفعل؟ إنهم أشقياء لا يتوقّفون عن الغناء.

- الوزير مرمر (بغضب): ماذا يريدون بهذا الغناء اللعين؟

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بجناق): إنهم يريدون أن يوقظوا السلطان من نومه.

- الوزير مرمر (بجزم): يجب أن نمنعهم من ذلك بأيّ شكل من الأشكال.

- قائد الشرطة سليمان الأعور: نحن نعمل بذلك بكلّ إصرار،
إننا نضربهم بأيدي من حديد.
- الوزير مرمر (بغضب وقلق): لكنني أخشى أن يسمع السلطان
غناءهم في يوم ما، فيضيع كلّ ما فعلناه سنوات نومه. إن استيقظ من
نومه، فسوف يضيع مجدنا ونفوذنا.
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بثقة): لا عليك، لا تخشَ من
ذلك. فما الذي سيوقظ السلطان بعد هذا السّبات الطّويل؟
- الوزير مرمر (بغضب): سيوقظه غناء أولئك المتشرّدون الحفاة
العراة الذين يملؤون السلطنة.
- قائد الشرطة سليمان الأعور: ما العمل؟ ما هو الحلّ وفق
رأيك؟
- الوزير مرمر (بجزم): ليس أماننا إلّا أن نقطع ألسنتهم، وأن
نقتلع حناجرهم؛ فلا يعودون إلى الغناء.
- قائد الشرطة سليمان الأعور: هذا مستحيل؛ فهم كثير.
- الوزير مرمر (بجزم): هذا أمر. عليك أن ترضخ له.
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بقلق): لكنّها مهمّة صعبة للغاية؛
ستغرق السلطنة في الدّماء، ستطير رؤوس كثيرة، سوف ترمّل النّساء،

ويتم الأطفال، فتزداد نعمة الناس علينا. لقد بدأتُ أضيق ذرعاً بتلك النظرات التي تحدّق بي في كلّ مكان أذهب إليه، وتتوعّدني بالهلاك والانتقام.

- الوزير مرمر (بغضب): ليموت الجميع، لتطير الرؤوس اللّعينة المتمرّدة، لترّمل نساء الثائرين علينا، ليتمّم الأطفال الأوغاد. هذا كلّه خير من أن تطير رأسك، وأن تترّمل زوجتك اللّعوب الجميلة، ویتيم أولادك الحمقى. أنسيتَ أنّ من يدفعون لنا هناك خلف الحدود كي يبقى السُّلْطَانُ نائماً هم قساة جابرة؟ هم كرماء معنا، ويدفعون لنا بسخاء. لكن صدّقني هم سيكونون أوّل من يفتك بنا إن استيقظ السُّلْطَانُ، عندها ستكون نهايتنا دون شكّ.

- قائد الشرطة سليمان الأعور: يا أُلْطَاف السَّمَاءِ.

- الوزير مرمر: ما دام السُّلْطَانُ نائماً، فنحن في خير؛ فسنظلم نسرق، ونقتل، ونبيع، ونشتري كما نشاء، ولمن نشاء. تذكر كلماتي هذه جيّداً. نستطيع أن نكسب المزيد من المال أثناء نوم السُّلْطَانِ، فسنجني المزيد من المال والذهب والجوهر الذي تحبّه. أُلستَ عاشقاً له، يا سليمان الأعور؟

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بانزعاج): لا تنعني بالأعور.

- الوزير مرمر (ضاحكاً باستهتار): دعك من الألقاب والتعوت. المهم الآن هو المال. ألا تعشق الأموال الطائلة؟
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بطمع، وهو يفرك يداً بأخرى): لكن تنفيذ الأمر سيحتاج إلى الكثير من المال.
- الوزير مرمر (بابتسامة لئيمة): لا عليك، ستحصل على ما تريد من المال، ومن السلطان نفسه الذي علينا أن نحافظ على سباته الطويل بعيداً عن غناء متشردي السلطنة.
- (يمدّ يده تحت مخدّة السلطان النَّائم، ويخرج صرّتين من المال؛ يدسّ أحدهما في صدره، ويرمي بالأخرى على قائد الشرطة سليمان الأعور الذي يلتقطها بفرح وحماس).
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بفرح كبير): بعد الآن لن تسمع أيّ غناء. سيعمّ الهدوء في السلطنة، كما عمّها الظلام طوال سنين.
- الوزير مرمر (بفرح وارتياح): أحسنت. هذا ما أريد سماعه منك بعيداً عن القلق.
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بجماس): من جديد سنحظى بالمكاسب والغنائم، وننسى بها الماضي كلّهُ.

- الوزير مرمر: نعم، سنحظى بالمكاسب والغنائم، وننسى بها تاريخ ذلك السُّلْطَانِ الغيِّ الذي حكمنا في الماضي؛ كان عهده عهد إبادتنا ومحاربتنا، نحن اللصوص.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بضحك هستيري): نعم، نحن لصوص أوغاد.

- الوزير مرمر (بانزعاج): والده السُّلْطَانُ المتوفى كان عدونا الأكبر؛ لقد ضيق علينا، وحرمنا من أيّ مكسب أو تعاون مع أولئك المتربصين بالسُّلْطَانَةِ من خلف الحدود. كان على أحد ممّن حوله أن يخلصنا من يده الحديدية التي تضربنا دون رحمة. أنا وحدي من تحمّل وزر هذه المخاطرة القاتلة.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بافتخار): ماذا عني؟ هل نسيتَ دوري الأساسي في هذه المؤامرة الجميلة؟ ألم أكن ذراعك اليمنى فيها؟ ألم أدفع عيني الحبيبة ثمناً في هذه المؤامرة كي نتخلص من ذلك السُّلْطَانِ المأفون المحبّ للرعيّة والسُّلْطَانَةِ، ونضع مكانه هذا السُّلْطَانِ الغرّ الأحمق الذي سهل علينا أن نرسله إلى دنيا التوم.

- الوزير مرمر: بلى، لقد كنتَ ذراعي اليمنى في هذه المؤامرة. أمّا عينك، فقد كانت خسارتها نوعاً من إصابات العمل لا أكثر.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بسخط): ماذا؟ إصابة عمل؟!
أتسمي خسارة عيني مجرد خسارة عمل؟
- الوزير مرمر (بلؤم): يا سليمان، ألم نعوّضك عن عينك بسخاء كبير؟
- قائد الشرطة سليمان الأعور (دون رضا): أنا لا أنكر ذلك، ولكنني كلما طالعتُ المرأة أصابتنِي حسرة كبيرة على عيني المسكينة الفقيدة. زوجتي شرعتُ تخونني منذ تلك الحادثة الأليمة؛ لم أعد أَرْضِيهَا، أو أملاً عينيها منذ فقدتُ عيني في مؤامرتنا الكبرى على السلطنة والسلطان. أموال الدنيا كلّها لن تعوضني عن عيني الفقيدة.
- الوزير مرمر (باستخفاف): لكنّها تخونك من قبل أن تخسر عينك العظيمة التي صدّعتَ رأسي بالحديث عنها.
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بتلثم وانحراج): هذا صحيح. لكنّها باتت الآن تجاهر بذلك، وتنعتني بالأعور المقزّز!
- الوزير مرمر (بمواساة لقائد الشرطة سليمان الأعور): صحيح أنّك أعور مقزّز، إلّا أنّك قائد شرطة مهيب يخشاه الجميع، وهذه المكانة خير من مكانة أيّ جنديّ مغمور في جيش مولانا السلطان النائم أعزّه الله، أو في جيش والده السلطان المأفون محبّ الشعب والوطن؛ اسمك وحده يكفي ليدبّ الخوف في القلوب، وعينك الوحيدة المتبقية في

جمجمتك الصلدة هي جحيم الشعب، وعياني وعيون أسيادنا الذي يقبعون خلف الحدود رقيقة على السلطان التائم وعلى شعبه العنيد الذي يغني ليل نهار كي يوقظه من نومه.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بانحاء أمام الوزير مرمر تعبيراً عن الطاعة): عيني الوحيدة في خدمتك وخدمة أسيادنا.

- الوزير مرمر (برضا): نحن سندفع لك بسخاء كبير مقابل خدمات عينك الوحيدة. ستحصل بها ما كان من المستحيل أن تحقّقه بعينيك الاثنتين لو كنت جندياً حقيراً في جيش الفرسان الذي أسسه السلطان الراحل.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بطمع): لكن عليك أن تعرف أنّ ما دفعته لي من أموال هو دفعة أوى لا غير.

- الوزير مرمر (بضيق وانزعاج): اتفقنا، لكن عليك بأولئك الأوباش الذين لا ينفكون يغنون ليوقفوا السلطان من نومه. أخشى أن يحدث ذلك فعلاً إن استمرّوا في الغناء؛ عندها سوف نلقى الويل كلّه.

- قائد الشرطة سليمان الأعور (بجزم وغضب): هذا لن يكون أبداً، وعيني هذه ترى نور الحياة.

- الوزير مرمر (بارتياح): هذا هو الكلام الذي أنتظر سماعه منذ الصّباح.

(من جديد يعلو صوت العسكريين وهم يغنون)

مليكننا نائمٌ ما أروعهُ!

دعوه يستعذب غيّه

عين الله تكلاً مخدعه

دعوه في نومه ما أنفعه!

(يسود الظلام في خشبة المسرح، ثم يعلو غناء جموع الناس)

السُّلْطَانُ نائمٌ، ونحن جياعٌ

السُّلْطَانُ نائمٌ، هلمّوا للغناء

السُّلْطَانُ نائمٌ، فلتغضب السماء

السُّلْطَانُ نائمٌ، فليرحل النعاس

السُّلْطَانُ نائمٌ، وجاء المساء

السُّلْطَانُ نائمٌ، ونحن جياعٌ

المشهد الثاني

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستائر على نفس المشهد الأول حيث خشبة المسرح، في خلفيته ستائر بيضاء شفافة لامعة، تزينها نجوم صغيرة، وقمر لامع.

الإضاءة المسلطة على سرير السلطان خافتة جداً، في حين هي قوية على جمهور الناس والممثلين ١+٢+٣ والممثلة الواقفين في الجزء الأمامي من الخشبة.

توجد لافتة كبيرة إلى يمين سرير السلطان مكتوب عليها: "السلطان نائم، يُمنع الإزعاج"، وهناك إلى يسار السرير لافتة أخرى مكتوب فيها: "السلطان نائم، وتوفير الهدوء له واجب وطني مقدس"، ومن أعلى المسرح تتدلى لافتة ثالثة، حتى تكاد تلمس رأس السلطان النائم، مكتوب عليها: "السلطان نائم لغايات وطنية جلييلة".

- جموع الناس (يغنون بصوت واحد منخفض يعلو قليلاً قليلاً):

يا سلطان النوم،

ما أكثر النّيام!

يا سلطان النّوم

ما أكثر الجّيع!

يا سلطان النّوم

فلتحرم المنام

يا سلطان النّوم

ادركنا في الحال

- صوت من البعيد يملأ المسرح: من هذا الذي ينادي علي؟

ويزعجني في مملكتي السّادرة في خدر النّوم اللّذيذ.

- جموع الناس: نحن الجّيع، نحن الشّعب، والسّلطان نائم،

فليحرم الرّقاد.

- الصّوت من جديد: من المستحيل أن أحرم النّوم على أحد؛

الجميع يجب أن يناموا.

(تقوى الإضاءة الخافتة، يدخل رجل طويل يلبس عباءة ذهبية لامعة، وهناك الكثير من التّجوم اللامعة مرسومة على وجهه، ويضع تاجاً لامعاً على رأسه، ويرافقه رجلان بذات هيئته، لكن دون وجود تاج على رأسيهما).

- سلطان التّوم (بانزعاج): ماذا تريدون منّي أيّها الأشقياء؟ لماذا تنادون عليّ دون توقّف؟ لماذا تعكّرون صفاء حياتي؟ ماذا تريدون منّي؟

- الممثل ١: نريد العدل.

- الممثل ٢: نريد الطّعام.

- الممثل ٣: نريد الأمان.

- الممثلة: نريد أن يستيقظ السُّلْطَانُ من نومه.

- سلطان التّوم (دون مبالاة، وهو ينثر نجوماً لامعة صغيرة على الجمهور الذي يحضر المسرحيّة): وما شأنني أنا بذلك؟ ما أنا إلاّ سلطان نوم محدود الصّلاحيّات في عالم اليقظة، بل أنا في الحقيقة معدوم الصّلاحيّات في عالم اليقظة.

- الممثل ١ (بعصبية وانفعال): أأستَ سلطان التّوم؟

- سلطان التّوم (يهزّ كتفيه دون اهتمام): إذن؟

- الممثلة: عليك أن تطرد السلطان من مملكتك. حينها سوف يستيقظ من سباته الطويل العجيب، وينقذنا مما نحن فيه من شقاء.
- الممثل ٢: ومن جوع.
- الممثل ١: ومن قمع.
- الممثل ٣: ومن الوزير مرمر الذي يريد أن يقطع ألسنتنا، وأن يقتلع حناجرنا لنكفّ عن الغناء.
- الممثلة: ومن قائد الشرطة سليمان الأعور صاحب العين المظلمة والقلب الأسود.

(من جديد يعلو صوت الغناء):

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ
السُّلْطَانُ نَائِمٌ، هَلَمَّوْا لِلْغِنَاءِ
السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلْتَعْضِبِ السَّمَاءَ
السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلْيَرْحَلِ التَّعَاسُ
السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءُ
السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

(مرافقا سلطان التّوم يردّدان الغناء مع جموع الناس بحماس كبير،
وسلطان التّوم يرمقهما بحيرة).

- مرافق سلطان التّوم ١: يا له من غناء شجي!
- مرافق سلطان التّوم ٢: لكنّه غناء حزين جداً.
- سلطان التّوم (بعصبيّة): كفّوا جميعاً عن هذه الفوضى. وقولوا
لي ماذا تريدون منّي بالضّبط؟
- جموع الناس (بصوت واحد): أن تحرم سلطاننا من التّوم.
- سلطان التّوم (بتعجّب): لكن لماذا؟
- الممثل ١: لأنّ السُّلْطَانُ ما خُلِقَ لينام، بل ليرعى الرّعيّة ليل
نهار.
- سلطان التّوم (بتردد): لكن...
- جموع الناس (مقاطعين كلام سلطان التّوم): هذه هي أمنيّة
الرّعيّة.
- سلطان التّوم: لكن لا يجوز أن أحرم أحداً من التّوم؛ هذا خرق
لقوانين سلطنة التّوم؛ فالتّوم حقّ للجميع دون استثناء أو تمييز.
- الممثلة (بدلال): أمنيّات الرّعيّة أوامر. أليس كذلك؟
- سلطان التّوم (وهو يتلع ريقه): لكن...

- جموع الناس (بصوت واحد): لن نسمح بنوم السلطان بعد الآن.
- الممثلة: أرجوك، ساعدنا في ذلك.
- مرافقا سلطان التوم (بصوت واحد): أرجوك ساعدهم، يبدوون في حاجة إلى هذه المساعدة.
- الممثل ١: افعل ذلك رافة بالجياح والمحرومين والخائفين.
- سلطان التوم (بتردد): هذا صعب جداً، وخالف للقوانين في سلطنة التوم. أخشى مغبة فعل ذلك.
- جموع الناس (وقد تقدّموا جميعاً خطوة نحو سلطان التوم): افعل ذلك رافة بالأطفال العراة.
- سلطان التوم (بجدية، وهو يلوح بإصبع يده في الهواء): إلاّ الأطفال؛ فظلمهم جريمة لا تُغتفر.
- جموع الناس (بفرح وحماس): إذن سوف تساعدنا؟
- سلطان التوم: صدّقوني، إنّي أريد مساعدتكم. لكن لا يجوز أن أطرّد أيّ نائم من مملكتي مهما كانت الأسباب؛ هذه أخلاقيات المهنة، ولا أستطيع تجاوزها أبداً.

- الممثلة (بجث): إن لم تساعدنا، فسوف تخسر وظيفتك بوصفك سلطاناً لسلطنة التوم.

- سلطان التوم (بقلق): كيف يمكن أن أخسر وظيفتي إن لم أساعدكم؟

- الممثلة: إن ظللت مصمماً على رفض مساعدتنا، فسنمتنع جميعاً عن التوم، وستفرغ سلطنتك من التائمين، وستجد نفسك بزبون واحد لا غير، وهو سلطان بلادنا التائم طوال الوقت؛ وهكذا ستفقد عملك، وقد تضطر إلى هجر سلطنتك، وتلجأ إلى عمل مرهق لا يتناسب مع يديك التاعميتين، ووجهك التضر وعينيك التاعستين.

- الممثل ١: وقد لا تستطيع على الرغم من العمل المضني أن تكسب قوت يومك.

- الممثل ٢: شأنك شأن معظمنا الذين يعملون ليل نهار دون أن يظفروا بما يكفي حياتهم من رزق.

- الممثل ٣ (يشير إلى بطانه الضامر): وقد تجوع مثلنا.

- الممثل ٢ (يشير إلى ملابسه المهترئة): وقد تعرى مثلنا.

- الممثلة (تشير إلى قدميها): وسوف تسير حافياً مثلنا دون شك.

- الممثل ١: وقد يقطع الوزير مرمر لسانك مع ما سيقطع من السنة الشعب التي تتجرأ على انتقاد فساده وخياناته، وقد يقتلع حنجرتك مع ما سوف يقتلع من حناجر الأحرار المطالبين بالحرية والكرامة ومحاربة الفساد والمفسدين.

- سلطان التّوم (بجوف وقلق): سلام قول من رب رحيم. ماذا تريدون منّي بالضبط، أيها الناس؟ فأنا مشغول، ولا وقت عندي للحديث عن معاناتكم مع سلطانكم التّائم. أنا مستعدّ لمساعدتكم فيما أستطيع.

- الممثل ١: قلنا لك نريد العدل.

- الممثل ٢: ونريد الحرية.

- الممثل ٣: ونريد الكرامة.

- الممثلة: ونريد أن يستيقظ السُّلْطَانُ من نومه الدائم.

- المخرج (يتدخّل في الحوار من خارج خشبة المسرح)، ويقول: عليك القول، أيها الممثلة: نريد أن يستيقظ السُّلْطَانُ من نومه، ثم يُحرّم التّوم عليه بشكل كامل.

- الممثلة (بامتعاض): هذا ما قلته تماماً.

- المخرج (بغضب): لا، ليس هذا ما قلت تماماً.

- مساعدة المخرج (تتدخل في الحوار): لا مشكلة، في الأمر، بعض التعديل في النص لن يضير، أيها المخرج المبدع.
- المخرج (بعناد): بل يضير. وعليها أن تلتزم بكلامي. وبنصّ المسرحيّة، وعليها أن تقول: نريد أن يستيقظ السلطان من نومه، ثم يُحرّم النوم عليه بشكل كامل.
- الممثّلة (بتأفف مكرّرة الجملة التي أرادها المخرج): نريد أن يستيقظ السلطان من نومه، ثم يُحرّم النوم عليه بشكل كامل.
- الممثّل ١ (يتدخل في الحوار لأجل فضّ الخلاف حوله): نعم، هذا ما نريده، يا سلطان النوم.
- الممثّل ٢: يجب أن يحرمّ النوم على سلطاننا بشكل كامل.
- سلطان النوم (بتسليم لرغبة جموع الناس): لتكن مشيئة الشعب. لن ينام السلطان بعد اليوم، وسيظلّ مستيقظاً طوال الوقت. النوم أصبح محرّماً عليه الآن بقرار منّي.
- جموع الناس: مرحى للعدل، مرحى لسلطان النوم.

المشهد الثالث

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستائر على نفس المشهد الأول حيث خشبة المسرح، في خلفيته ستائر بيضاء شفافة لامعة، تزينها نجوم صغيرة، وقمر لامع. هناك عرش أمام سرير السلطان الفارغ، يجلس السلطان على العرش بعد أن استيقظ من نومه، وعلى جانبه يقف خادمان ضخمان يحملان ريشاً كبيراً، ويهفآن الهواء على وجه السلطان بهذا الريش. السلطان يلبس تاجاً على رأسه، ويرتدي ملابس النوم، ويلبس جوارب في قدميه دون حذاء، مما يوحي أنه قد استيقظ من النوم، أو يريد النوم.

(صوت جموع النَّاسِ تَغْتَيُّ مِنْ خَارِجِ خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ):

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، هَلَمَّوْا لِلْغِنَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلتَغْضِبِ السَّمَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَليرْحَلِ التَّعَاسِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

- السُّلْطَانُ (بِغَضَبٍ وَانزِعَاجٍ وَهُوَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ كَيْ لَا يَسْمَعَ صَوْتَ الْغِنَاءِ): إِلَى مَتَى يَسْتَمِرُّ هَذَا الْغِنَاءُ اللَّئِيمُ؟

- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ: يَا مَوْلَايَ، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْطَعَ أَلْسِنَتَهُمْ؟

- السُّلْطَانُ (بِغَضَبٍ أَكْبَرَ): لِمَاذَا لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى الْآنَ؟ إِنَّنِي مِنْذُ أَيَّامٍ طَوِيلَةٍ لَمْ أَذُقْ طَعْمَ التُّومِ. كَلَّمَا حَاوَلْتُ التُّومَ، مَنَعَنِي هَذَا الْغِنَاءُ مِنَ التُّومِ. لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى الدَّخُولِ فِي أَرْضِ التُّومِ حَيْثُ السَّعَادَةُ وَالْأَمْنِيَاتُ وَاللَّذَّةُ وَرَاحَةُ الْبَالِ.

- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ (بِلُؤْمٍ): يَا مَوْلَايَ، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهَا خِيَانَةٌ؟

- قائد الشرطة سليمان الأعور: لقد تأمر سلطان التوم مع أولئك المتمردين من الرعية، وما عاد يزور قصرك أبداً يا مولاي العظيم.
- السلطان (بجيرة): أين حكيم الزمان؟ أريد مشورته في هذا الأمر.
- الوزير مرمر (بتلعثم): هو في السجن، يا مولاي السلطان.
- السلطان (بدهشة): ما سبب وجوده في السجن؟
- الوزير مرمر: لأنه خائن، يا مولاي.
- السلطان (بدهشة أكبر): خائن؟ كيف أصبح حكيم الزمان خائناً؟ كنت أحسبه من الأوفياء المخلصين لي.
- الوزير مرمر (موجهاً كلامه لقائد الشرطة سليمان الأعور): اعلم مولانا السلطان كيف خانته ذلك الحكيم اللئيم.
- قائد الشرطة سليمان الأعور (بتلعثم): يا مولاي، لولا ستر الله، وسهرنا على خدمتك بتفان كامل لفتك بك هذا الحكيم الخائن؛ فهو قد حرّض الشعب على إيقاظك من نومك اللذيذ الهانئ، فتنعّص عيشك بسبب ذلك.
- الوزير مرمر (مقاطعاً كلام قائد الشرطة سليمان الأعور): بل إننا قد علمنا أنّ حكيم الزمان هو من قام بتأليف أغنية الرعاع المتشردين الذين يقضون مضجعكم الكريم.

- السُّلْطَانُ (بدهشة): مستحيل، لقد كان نعم النَّاصِحِ الأَمِينِ لي ولوالدي من قبلي. هل يُعقل ما تقولان؟ هل أنتما متأكَّدان مِمَّا تقولان؟

- الوَازِرُ مَرْمَرُ وَقَائِدِ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الأَعُورِ (بنفس واحد):
الثِّقَّةُ كُلُّهَا، يَا مَوْلَانَا السُّلْطَانَ.

- السُّلْطَانُ (بدهشة): وما العمل الآن؟ أنا متعب، وفي حاجة إلى النَّوْمِ. أريد أن أنام، ولكن النَّوْمُ يَستَعصِي عَلَيَّ، وَيَهْجُرُنِي، وَيَتَعَدُّ عَنِّي.

- الوَازِرُ مَرْمَرُ (بجُبْث): الحَلُّ الوَحِيدُ هُوَ أَنْ تَمْنَعَ الغِنَاءَ، وَأَنْ تَحْرِمَهُ عَلَى الشَّعْبِ بِقَرَارِ سُلْطَانِي صَارِمٍ. عِنْدَهَا سَتَنعَمُ بِالنَّوْمِ الطَّوِيلِ.

- السُّلْطَانُ (بجَمَاسٍ): أَحَقًّا هَذَا هُوَ الحَلُّ؟

- قَائِدِ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الأَعُورِ (بجُبْث): لَا حَلَّ لِمَشْكَالَةِ النَّوْمِ سِوَى هَذَا الحَلِّ.

- السُّلْطَانُ (بجُزْمٍ، وَقَدْ انْتَصَبَ وَاقِفًا عَلَى قَدَمِيهِ): إِذْنِ. فَلتَعَلَّمِ الرِّعْيَةَ أَنِّي قَدْ مَنَعْتُ الغِنَاءَ، وَقَرَّرْتُ سَجْنَ كُلِّ مَنْ يُقْبِضُ عَلَيْهِ مَتَلَبَسًا بِجَرِيمَةِ الغِنَاءِ.

(صوت يردد في مكبّر للصوت: بقرار سلطاني يُحرّم الغناء في السُّلْطَنَةِ. لكن الغناء يعلو من جديد، فيما يغضب السُّلْطَانَ، ويضع

يديه على أذنيه كي لا يسمع صوت الغناء، ويصرخ قائلاً: لقد منعت الغناء في سلطنتي. الويل للعصاة).

- الوزير مرمر وقائد الشرطة سليمان الأعور (بحماس): الويل للعصاة.

(صوت جموع الناس تغني من خارج خشبة المسرح):

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، هَلَمَّوْا لِلغِنَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلتَغْضَبِ السَّمَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَليرْجُلِ النَّعَاسِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

المشهد الرَّابِع

التَّوصِيْف المَكَانِيّ وَالضَّوْنِيّ وَالصَّوْتِيّ لِخَشْبَةِ الْمَسْرَح

تُفْتَح السُّتَائِر عَلَى نَفْس الْمَشْهَد الْأَوَّل حَيْثُ خَشْبَةُ الْمَسْرَح، فِي خَلْفِيَّتِهِ سُّتَائِر بِيضَاء شَفَّافَةٌ لَامِعَةٌ، تَزِينُهَا نَجْمٌ صَغِيرَةٌ، وَقَمَرٌ لَامِعٌ.

السُّلْطَانُ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِ مَنَظَرِهِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ فِي الْمَشْهَدِ السَّابِقِ، وَعَلَى يَمِينِهِ وَزِيرُهُ مَرْمَرٌ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ، وَعَلَى يَسَارِهِ سُلْطَانُ النَّوْمِ وَالْمُمَثِّلُونَ الثَّلَاثَةُ وَالْمُمَثِّلَةُ مَكْبَلِينَ بِالْحَدِيدِ، فِي حَيْثُ يَحِيطُ بِهِمْ رِجَالُ الشَّرْطَةِ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْحِرَابَ الطَّوِيلَةَ.

- السُّلْطَانُ (بتشْفِّ مَخَاطِباً المَكْبَلِينَ): هَا أَنْتُمْ الْآنَ بَيْنَ يَدَيَّ. مَاذَا أَفْعَلُ بِكُمْ، أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِي؟ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْغِنَاءُ أَنْ يَنْقُذَكُمْ مِنْ يَدَيَّ الْآنَ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ (بصوت واحد): الْمَوْتُ لِلْعَصَاةِ، الْمَوْتُ لِلْعَصَاةِ.
- صَوْتُ يَرْتَفِعُ مِنْ خَارِجِ الْمَسْرَحِ قَائِلاً: النَّصْرُ لِلْغِنَاءِ، النَّصْرُ لِلْغِنَاءِ، فَلْيَسْقُطِ السُّلْطَانُ الظَّالِمُ.
- السُّلْطَانُ (بغضب): يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ الْمَزِيدَ مِنَ الْعَصَاةِ فِي سُلْطَنَتِي. أَيُّهَا الْجُنُودُ، إِلَيَّ بِهِمْ.
- قَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ (بتوتُّر): لَكِنِ السَّجُونَ تَغْصُّ بِالْمَسَاجِينِ الَّذِينَ عَصَوْا أَوْامِرَكَ، وَاقْتَرَفُوا جَرِيمَةَ الْغِنَاءِ. فَأَيْنَ سَنَضْعُ الْمَزِيدَ مِنَ الْمَسَاجِينِ؟
- السُّلْطَانُ (بجزم): ابْنُوا سَجُونَاً جَدِيدَةً، وَاجْمَعُوا فِيهَا الْعَصَاةَ كُلَّهُمْ.
- حَكِيمُ الزَّمَانِ (منزعجاً): هَكَذَا سَتَمْسِي السُّلْطَنَةُ دُونَ شَعْبٍ! وَتَمْسِي السُّلْطَنَةُ ذَاتَهَا دَاخِلَ سَجْنٍ كَبِيرٍ، اسْمُهُ سَجْنُ السُّلْطَانِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَنَامَ.

- السُّلْطَانُ (بِاسْتِنكَارٍ): حَتَّى أَنْتَ، يَا حَكِيمَ السُّلْطَنَةِ، بَدَأْتَ تَمِيلُ إِلَى أَوْلَيْكَ الرَّعَاعِ الْعَصَاةَ؟
- حَكِيمَ الزَّمَانِ: يَا مَوْلَايَ، مَا نَفْعُ السُّلْطَنَةِ دُونَ شَعْبٍ؟
- الْوَزِيرُ مَرْمَرُ (مُتَصَنِّعاً الْأَدَبَ وَالْوَدَّ): أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْجَلِيلُ، دَعِكْ مِنْ أُمُورِ السِّيَاسَةِ، وَاخْلُصِ الطَّاعَةَ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانَ؛ فَقَدْ عَفَا الْبَارِحَةَ عَنْكَ إِكْرَاماً لَذِكْرِي وَالِدِهِ، وَأَخْرَجَكَ مِنَ السَّجْنِ. وَالْآنَ أَنْتَ تَخَالِفُهُ الرَّأْيَ فِيمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الرَّعِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَلَى طَاعَتِهِ.
- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِحُزْمٍ وَاحْتِقَارٍ): صَهٍ. أَنَا أَكَلَمُ السُّلْطَانَ أَدَامَ اللَّهِ عِزَّهُ، وَلَا أَخَاطِبُ أَيَّاماً مِنْكُمْ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرُ (بِحُبْثٍ وَطَاعَةٍ مُصْطَنَعَةٍ): الْأَمْرُ كُلُّهُ لِسُلْطَانِنَا الْعَظِيمِ.
- السُّلْطَانُ (بِغَضَبٍ): ابْنُوا سَجُوناً جَدِيدَةً، وَاجْمَعُوا فِيهَا الْعَصَاةَ كُلَّهُمْ.
- حَكِيمَ الزَّمَانِ (بِقَلْقٍ): هَكَذَا سَتَمْسِي الرَّعِيَّةَ كُلَّهَا دَاخِلَ السَّجُونِ.
- السُّلْطَانُ (بِانزِعَاجٍ): يَزْعَجُنِي تَعَاطُفُكَ مَعَ أَوْلَيْكَ الْعَصَاةَ؟
- حَكِيمَ الزَّمَانِ: يَا مَوْلَايَ، مَا نَفْعُ السُّلْطَنَةِ دُونَ شَعْبٍ؟

- السُّلْطَانُ (بِكْبَرٍ): أَنَا السُّلْطَانُ، وَطَاعَتِي وَاجِبَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ: يَحْيَا السُّلْطَانُ. يَسْقُطُ الْعَصَاةُ.
- حَكِيمُ الزَّمَانِ: يَا مَوْلَايَ، سَوْفَ يَسْتَمِرُّ الْغِنَاءُ، حَتَّى وَلَوْ بَاتَ الشَّعْبُ كُلُّهُ فِي سَجُونِكَ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ.
- السُّلْطَانُ (بِقَلْقٍ): مَا الْحَلُّ إِذْنُ؟
- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ: الْحَلُّ هُوَ الْمَوْتُ لِلْعَصَاةِ.
- سَلْطَانُ النَّوْمِ (بِتَعَالٍ وَثِقَةٍ): بَلِ الْحَلُّ هُوَ أَنْ تَحْسِنَ الْإِصْغَاءَ لِلْغِنَاءِ.
- السُّلْطَانُ (بِنِفَادِ صَبْرٍ): وَبَعْدُ؟
- سَلْطَانُ النَّوْمِ (مَتَدَخِّلًا فِي الْحَوَارِ): عِنْدَهَا سَتَعْرِفُ لِمَاذَا حُرِّمَتْ مِنَ النَّوْمِ.
- السُّلْطَانُ (بِغَضَبٍ): لَقَدْ حُرِّمْتُ مِنْهُ بِسَبَبِكَ. أَيُّهَا الْخَائِنُ الْمَتَأَمِّرُ عَلَى صَدِيقِكَ الْمَحَبِّ، أَلَمْ نَكُنْ صَدِيقَيْنِ، نَقْضِي أَجْمَلَ الْأَوْقَاتِ سَوِيًّا؟ فَلِمَاذَا خَنْتَنِي؟ وَتَأَمَّرْتَ مَعَ أَوْلَئِكَ الرَّعَاعِ ضِدِّي؟ أَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ يَدَيَّ لَنْ تَطَالَكَ؟ هَا قَدْ وَقَعْتَ فِي قَبْضَتِي. مَا أَنْتَ فَاعِلٌ الْآنَ؟

- سلطَان التُّوم (دون مبالاة): أَيُّهَا السُّلْطَانُ الْغَافِلُ، لَنْ تَعْرِفَ التُّومَ بَعْدَ الْيَوْمِ؛ فَقَدْ سَرَقْتَهُ الرَّعِيَّةُ الْجَائِعَةُ إِلَى الْأَبَدِ. سَتَعِيشُ لَعْنَةَ الْحَرَمَانِ مِنَ التُّومِ بِسَبَبِ ظُلْمِكَ وَإِهْمَالِكَ لِرَعِيَّتِكَ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرُ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الْأَعُورِ (بصوت واحد): الْمَوْتُ لِسُلْطَانِ التُّومِ الْخَائِنِ.
- السُّلْطَانُ (بغضب): نَعَمْ، الْمَوْتُ لِسُلْطَانِ التُّومِ الْخَائِنِ.
- سُلْطَانُ التُّومِ (بتحدٍ): حَتَّى وَلَوْ أَعْدَمْتَنِي، فَلَنْ تَذُوقَ طَعْمَ التُّومِ.
- السُّلْطَانُ (بغضب أشد): هَلْ تَتَحَدَّانِي، يَا سُلْطَانَ التُّومِ؟
- الْوَزِيرُ مَرْمَرُ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الْأَعُورِ: الْمَوْتُ لِسُلْطَانِ التُّومِ الْخَائِنِ.
- حَكِيمُ الزَّمَانِ (بقلق): يَا مَوْلَايَ السُّلْطَانَ، إِعْدَامُ سُلْطَانِ التُّومِ لَنْ يَجْعَلَكَ تَنَامًا، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ سَبَبَ حَرْمَانِكَ مِنَ التُّومِ.
- السُّلْطَانُ (بتفكير): مَعَكَ حَقٌّ، يَا حَكِيمَ الزَّمَانِ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرُ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الْأَعُورِ (بصوت واحد): الْمَوْتُ لِسُلْطَانِ التُّومِ الْخَائِنِ.

- حَكِيمُ الزَّمَانِ (بِتَجَاهُلٍ لِكَلَامِ الْوَزِيرِ مَرْمَرٍ وَقَائِدِ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الْأَعُورِ): يَا مَوْلَايَ السُّلْطَانُ، بِالصَّبْرِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الْعَدْلُ يَكُونُ الْحَكْمَ، وَتُسَاسُ الرَّعِيَّةِ.
- السُّلْطَانُ (وَقَدْ هَدَأَ غَضَبَهُ قَلِيلًا): نَعَمْ، بِالصَّبْرِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ تُسَاسُ الرَّعِيَّةِ.
- الْوَزِيرُ مَرْمَرٌ وَقَائِدُ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانُ الْأَعُورُ (بِصَوْتِ وَاحِدٍ): الْمَوْتُ لِلْعَصَاةِ وَالْخُونَةِ.
- السُّلْطَانُ (بِغَضَبٍ مُوجَّهًا كَلَامَهُ لِلْوَزِيرِ مَرْمَرٍ وَقَائِدِ الشَّرْطَةِ سَلِيمَانَ الْأَعُورِ): آخِرْسَا قَلِيلًا.
- حَكِيمُ الزَّمَانِ: بِالصَّبْرِ وَالْأَنَاةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ تُصْلِحُ أَحْوَالُ الرَّعِيَّةِ.
- السُّلْطَانُ (بَاهْتِمَامٍ): هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أَنَامَ عِنْدَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟
- حَكِيمُ الزَّمَانِ (بِنَبْرَةٍ ذَاتِ مَغْزَى): لَيْسَ وَظِيفَةُ السُّلْطَانِ أَنْ يَنَامَ لَيْلَ نَهَارٍ.
- سُلْطَانُ النَّوْمِ: بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ لَيْلَ نَهَارٍ، وَأَنْ يَرْعَى الشَّعْبَ، وَأَنْ يَحِيطَهُ بِحَبِّهِ وَرِعَايَتِهِ وَاهْتِمَامِهِ.

- حكيم الزّمان: عندما ينام الشعب هائئاً قد يظفر السُّلْطَانُ بـرقاد آمن.

- السُّلْطَانُ (باهتمام): متى ينام الشعب يا حكيم السُّلْطَنَة؟

- حكيم الزّمان: عندما لا يكونون جِيعاً أو عِراة أو مظلومين.

- السُّلْطَانُ (بنبرة أمر): إذن فليصبحوا غير جِيع أو عِراة أو مظلومين.

- سلطان التّوم (بسخرية): يا لك من سلطان جاهل! عليك أوّلاً أن تطلق سراحهم من سجنك الكبير، وأن تسهر على رعايتهم كي يحصلوا أسباب العدل والرّفاهيّة والسّعادة والتّوم بطمأنينة.

- السُّلْطَانُ (بقلق): هل سأبقى مستيقظاً حتى ذلك الوقت؟

- حكيم الزّمان: لن ينام السُّلْطَانُ وفي سلطنته عين حزينه، أو قلب مَجُوع، أو مريض يتألّم، أو مظلوم يعاني.

- السُّلْطَانُ (بتكبر): لكنني السُّلْطَانُ.

- حكيم الزّمان: لذلك عليك أن لا تنام.

- جموع النّاس (بصوت واحد):

السُّلْطَانُ نائمٌ، ونحن جِيعٌ

السُّلْطَانُ نائمٌ، هلمّوا للغناء

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلتَغْضِبُ السَّمَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَليرْحَلُ التَّعَاسُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجَاءَ الْمَسَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

المشهد الخامس

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستائر على نفس المشهد الأول حيث خشبة المسرح، في خلفيته ستائر بيضاء شفافة لامعة، تزينها نجوم صغيرة، وقمر لامع، لكن الإضاءة أقوى من القمر والنجوم، وهناك زينات وأعلام في المكان.

السُّلْطَانُ يلبس ملابس الحكم بدل ملابس النوم، ويضع التاج على رأسه، ويمسك صولجان الحكم بيده، وجموع الناس تلبس ملابس جميلة زاهية، ويتعلون الأحذية، وتظهر على ملاحظهم علامات الرضا، ومهرج يلعب بكرات أمام السُّلْطَانِ، والجميع يهتف بحماس: عاش السُّلْطَانِ.

السُّلْطَانُ يجلس على العرش، وإلى يمينه يقف سلطان النوم سعيداً فرحاً وهو ينثر النجوم اللامعة على من حوله، وعلى يساره يقف حكيم الزمان فرحاً.

يمر الجنود من أمام السُّلْطَانِ، وهم يحملون الأبواق، ويقرعون الطبول، ويقطعون المسرح من اليمين إلى الشمال، في حين يدخل

جنديّ إلى خشبة المسرح صارخاً: مولاي السُّلْطَانُ أعزّه الله، لقد قبضنا أخيراً على الوزير مرمر الخائن وقائد الشَّرْطَة سليمان الأعور اللّصّ.

- السُّلْطَانُ (بجزم): إليّ بهما.

(يدخل الجنديّ، وهو يدفع الوزير مرمر وقائد الشَّرْطَة سليمان الأعور إلى خشبة المسرح، وهما مكبلان بالقيود، وكلّ منها يحمل كيساً كبيراً على ظهره، وجموع النَّاس يرمونهم بقشور الموز، ويهتفون: الموت للخونة).

- السُّلْطَانُ (بتحدّ): ها قد التقينا من جديد أيّها اللّصان الخائنان.

- الوزير مرمر وقائد الشَّرْطَة سليمان الأعور (بصوت واحد):

الرَّحْمَة، يا مولاي السُّلْطَانُ.

- السُّلْطَانُ (بغضب): لا رحمة للصوص والخونة.

- جموع النَّاس: الموت للصوص والخونة.

- حكيم الزّمان (بفرح): الموت للصوص والخونة.

- السُّلْطَانُ: ها قد انكشف مؤامراتكم الدّنيئة، تتأمرون عليّ؟

وترسلوني إلى دنيا النّوم؟ كي تسرقوا الرّعيّة. أنتم، أيّها الخونة

توهموني، بأنّ الرّعيّة عاصية لي؟ أنتم تجوعون الصّغار والكبار،

وتسرقون مقدرات الوطن، وترفلون في الحرير، والأطفال عراة؟
والناس حفاة؟ يا لكما من شيطانين آثمين! أنتما تستحقان النوم.

- الوزير مرمر (بخوف شديد): هذه الاتهامات جميعها محض
افتراء علينا؛ انتقاماً منا لإخلاصنا الكامل لك.

- قائد الشرطة سليمان الأعور: الرحمة والعفو، يا مولاي
السُّلْطَانُ.

- جموع الناس: لا رحمة للصوص والخونة.

- سلطان النوم: لقد سرقوا مال الشعب، وأذّلّوه؛ هما لا
يستحقان أيّ رحمة أو عفو.

- الممثل ١: لقد جوّعونا طوال زمن نومك، يا مولانا السُّلْطَانُ.

- الممثل ٢: لقد أذّلّونا طويلاً.

- الممثل ٣: وألقوا بنا في السجون.

- الممثلة: وحرّمونا من كرامتنا وحرّيتنا.

- الممثل ١: وسرقوا أمننا.

- الممثل ٢: وحوّلوا حياتنا إلى جحيم.

- الممثل ٣: لقد سرقوا منا كلّ شيء.

- الممثلة: العقاب العقاب.

- السُّلْطَانُ (بغضب): سيدفعون ثمن ذلك كلّه، ويزيد.
- الجنديّ (يقدم كيسين كبيرين للسُّلْطَان): مولاي السُّلْطَان أعزّه الله، لقد قبضنا عليهما، وفي حوزتهما الكثير من الأموال والجواهر السلطانيّة المسروقة من خزينة الدّولة.
- الوزير مرمر (باكياً بصوت مرتفع): لا تأخذوا نقودي، اقتلوني، لكن لا تأخذوا نقودي منّي. لقد عملتُ مع الشّيطان لأجل الحصول عليها. كم من بريء قتلتُ لأجلها! كم من جائع عدتُ لأجلها؟ كم رأساً طيّرتُ لأجلها! إليّ بنقودي، لا تأخذوها منّي.
- السُّلْطَان (بعد أن نظر إلى داخل الكيسين الكبيرين ليرى محتوياتهما): فيهما الكثير من أموال الشّعب والسُّلْطنة!
- حكيم الزّمان (باهتمام): ماذا ستفعل بها، يا مولاي السُّلْطَان؟
- السُّلْطَان (بجزم): سيردّ المال كلّه إلى بيت مال السُّلْطنة بعد أن تردّ الحقوق إلى أهلها.
- جموع النّاس (هاتفين): عاش مولانا السُّلْطَان.
- حكيم الزّمان (مؤيداً قرار السُّلْطَان): بارك الله فيك، يا مولاي، وسدّد خطاك.
- السُّلْطَان: يا كاتب السُّلْطَان، هلمّ.

(يقترَب رجل من جموع النَّاس، وهو يحمل دفتراً كبيراً، ويجلس على كرسي صغير إلى جانب العرش، ويفتح دفتره الكبير، ويحمل ريشة طاووس كبيرة، ويغمسها في الحبر، ويتنظر ما سيمليه السُّلْطَان عليه، ليكتبه).

- كاتب السُّلْطَان (بصوت مرتفع): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
- السُّلْطَان (مملياً على كاتبه): نحن سلطان السُّلْطَانة، أمرنا بما يلي: أن تُبنى مدرسة كبيرة في قلب السُّلْطَانة؛ لتعليم العلوم والفكر والغناء للشعب.
- جموع النَّاس: عاش السُّلْطَان.
- السُّلْطَان (مكماً ما يمليه على كاتبه): وأن يُبنى مستشفى كبير لعلاج كل مريض بالمجان.
- الممثل ١: أعزَّ اللهُ السُّلْطَان.
- السُّلْطَان: وأن يُجرى راتب شهريّ على كلِّ أرملة أو طفل أو فقير أو مريض أو عاجز عن العمل.
- الممثل ٢: عاش السُّلْطَان العادل.
- السُّلْطَان: وأن يُحفر على كرسي العرش جملة السُّلْطَان لا ينام؛ لتكون هذه الجملة أساساً للحكم والدستور في هذه السُّلْطَانة.

- الممثّلة: السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ. بَارِكُ اللهُ فِي السُّلْطَانِ.
- حَكِيمُ الزَّمَانِ: السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ.
- جَمُوعُ النَّاسِ: بَارِكُ اللهُ فِي السُّلْطَانِ.
- سُلْطَانُ النَّوْمِ: الْآنَ بَاتَ فِي مَقْدُورِكَ أَنْ تَنَامَ، يَا مُوَلَايَ السُّلْطَانِ، وَيَشْرَفُنِي أَنْ أُسْتَضِيفَكَ فِي سُلْطَتِي مَتَى شِئْتَ ذَلِكَ؛ لِتَسْعِدَ بِالْأَحْلَامِ وَبِالْقِصَصِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي سِيرُويهَا لَكَ فَرَسَانُ النَّوْمِ فِي مَمْلَكَتِي.
- السُّلْطَانُ: أَشْكُرُكَ، يَا سُلْطَانَ النَّوْمِ، عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْكَرِيمَةِ، وَلَكِنْ يُؤَسِّفُنِي أَنِّي لَا أُسْتَطِيعُ تَلْبِيئَتَهَا؛ لِأَنِّي مُشْغُولُ الْآنَ بِإِسْعَادِ شَعْبِي، وَأَتَمَنَّى عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ أَطْفَالَ سُلْطَتِي فِي أَحْلَامِ جَمِيلَةٍ فِي سُلْطَتِكَ عِنْدَمَا يَغْطُونَ فِي نَوْمٍ لَدِيدٍ هَانِئٍ. أَمَّا أَنَا فَحَسْبِيَ الْقَلِيلُ مِنَ النَّوْمِ؛ لِأُرْتَاحَ فِيهِ لِأَقْوَى عَلَى رِعَايَةِ شَعْبِي. أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَنَامُ.
- جَمُوعُ النَّاسِ: مَرَحَى لِّلْسُلْطَانِ الَّذِي لَا يَنَامُ.

المشهد السادس

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

السُّلْطَانُ يقف على سريره حافي القدمين، يلبس ملابس النوم، وعلى رأسه التاج، وإلى جانب سريره يقف حاجبه حاملاً سيفاً كبيراً لامعاً.

- السُّلْطَانُ (مخاطباً حاجبه باهتمام كبير): هل أعلنت للناس أنّ السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ؟ لكنّه فقط يرتاح، وعلى من يُظلم أن يقصده، وسيجد العدل عنده.

- الحاجب: نعم، يا مولاي، في كلّ يوم ينادي منادٍ في الأسواق هاتفاً: السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ.

- السُّلْطَانُ (متثابراً): إذن. ابلغ الحراس بفتح بوابات القصر؛ لا ينبغي أن تُغلق أبواب السُّلْطَانِ في وجه الرعيّة.

- الحاجب: أمرك، يا مولاي السُّلْطَانِ.

(يتشاءب السُّلْطَانُ، ويستلقي في سريره، تُعتمّ خشبة المسرح، وتُضاء حزمة نور صغيرة يمين المسرح، حيث تجلس الممثلة على كرسي صغير، وإلى جانبها طفل صغير).

- الطّفّل: ألن تحدّثيني، يا أمّي، عن حكاية السُّلْطَانِ الذي لا ينام؟

- الممثلة (بابتسامة عريضة، وهي تمسح على شعر الطّفّل): يُحكى، يا صغيري، أنّ سلطاناً قد حُرّم من التّوم؛ فبحث طويلاً عن السّبب، فعلم أنّ الشّعب قد سرق نومه بغنائهِ الموصول.

- الطّفّل (بجماس): ماذا فعل السُّلْطَانُ ليسترّد نومه المسروق؟

- الممثلة: استشار حكيم الزّمان، فأرشده إلى أنّ السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ.
- الطّفل (باهتمام): ماذا حدث بعد ذلك؟
- الممثلة: عرف السُّلْطَانُ أنّ ليس من حقّه أن ينام وفي سلطنته جياح وعِراة ومظلومون.
- الطّفل: ماذا حدث بعد ذلك؟
- الممثلة: حكم السُّلْطَانُ الشَّعب بالحبّ، وأقام ميزان العدل، ففرح برعيته، وفرحت رعيّته به.
- الطّفل: هل نام السُّلْطَانُ بعد ذلك؟
- الممثلة: ليس كثيراً؛ فقد كان مشغولاً برعاية شعبه بعد أن كتب على عرشه السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ.
- الطّفل: ماذا فعل السُّلْطَانُ بعد ذلك؟
- الممثلة: ثم ورث سلطان آخر العرش المكتوب عليه السُّلْطَانُ لَا يَنَامُ، إلّا أنّه نام طويلاً، وأهمل رعيّته.
- الطّفل: ماذا فعلت الرّعية عندها كي تيقظه؟
- الممثلة: عادت للغناء من جديد كي تيقظه من نومه.
- الطّفل (باهتمام): هل استيقظ السُّلْطَانُ عندها؟

- الممثلة: لا بدّ أن يستيقظ السُّلْطَانُ إن صمّمت الرعيّة على الغناء.

- الطّفْل (بحماس): هل أستطيع الغناء، يا أمّي؟

- الممثلة (وهي تطيع قبلة على جبين ابنها): كلّ إنسان يستطيع الغناء لإيقاظ السُّلْطَانِ النَّائِمِ.

(يعمّ الظلام، ويرتفع صوت غناء جموع النّاس، وستائر المسرح تُغلق، فيما يرتفع الغناء)

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، هَلَمَّوْا لِلْغِنَاءِ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَلْتغْضِبِ السَّمَاءَ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، فَليرْحَلِ النّعاسُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَجاءَ الْمَسَاءُ

السُّلْطَانُ نَائِمٌ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ

انتهت المسرحيّة

(المسرحية السادسة)
خُرَافِيَّةٌ سَعْدِيَّةٌ أُمُّ الْحِظُوظِ*
(مونودراما إنسانية من فصل واحد)

* الخُرَافِيَّةُ: هي القصة المروية شفاهياً بلهجة بعض بلاد الشام لاسيما فلسطين والأردن.

- عندما تختفي سعية، يكون اتجاه بوصلات الدنيا باتجاه ضمائرنا.
- سعية حقيقة؛ لذلك هي أجمل وهم مفترض.
- المجتمع هو عدو سعية.
- هل من الواجب أن أقول لكم إن سعية امرأة حقيقية لا متخيلة حتى ترجموا أنفسكم؟ إذن اعلّموا أنّها الحقيقة المطلقة الوحيدة.

شخصية المسرحية

امرأة تلبس ثوباً نسائياً أسود طويلاً لا يبدو جديداً، شعرها مبعثر طويل غير مصفّف، يغطي منديل أزرق قديم جزءاً منه، تضع مساحيق تجميل بشكل عشوائي غير جميل، فيبدو أنه كدمات أكثر من أنه زينة. هي تعرج في مشيتها، وصوتها جهوري وقوي وعميق.

التوصيف المكاني والضوئي والصوتي لخشبة المسرح

تُفتح الستائر بمرافقة موسيقى خفيفة وقلقة، يعلوها صوت طبول إفريقية، المسرح معتم إلا من بقعة ضوئية حمراء مسلطة على منتصف خشبة المسرح، حيث تجلس المرأة على كرسي أسود حديدي لا مسند أو ظهر له.

المرأة تحمل في يديها بشكل آلي زهرية زجاجية غير فاخرة، فيها زهرة حمراء شبه ذابلة، وتشرب من كأس تحمله بقرف واضح، ثم تبرزق أرضاً ما تشربه بجشرجة قوية تشبه سعال مسلول.

تُفتح الستارة على صمت في خشبة المسرح وموسيقى قلقة تتعالى قليلاً قليلاً.

- (تجلس على الأرض أمام الكرسي، تقول بسخرية بادية):
اسمي سعدية، لا، لا، اسمها هي سعدية، الحقيقة أن اسمي واسمها
واسم كل من عرفت من نساء هو سعدية. عجباً من هذه الصدفة
الفريدة. لا أعرف لماذا أسموني سعدية؟ لعلهم تمنوا أمنية زور، وهي
أن أكون سعيدة، بل وكثيرة السعادة.

- (تضحك ساخرة): لكنهم سرعان ما اكتشفوا أنني امرأة
تعيسة بامتياز، ولذلك أسميت نفسي احتجاجاً على اسمي المهزلة (أم
الحظوظ)؛ إذ لا حظّ لي في هذه الدنيا اللئيمة.

- (تعلو ضحكاتهما): هكذا أصبحت سعدية أم الحظوظ التي لا
حظّ لها.

- (بافتخار): نعم، أنا سعدية أم الحظوظ.

- (بتوتر): أعني هي سعدية أم الحظوظ.

- (بانكسار وشماتة): بل جميعنا سعدية أم الحظوظ، نعم، جميعنا
سعدية أم الحظوظ.

- (بقلق وتحذّر وهي تطالع في وجوه الجمهور): ولكن، من
تكونون أنتم؟

- (بصوت حزين أجشّ، وقد انتصبتُ على قدميها، وبدأت تقطع الخشبة ذهاباً وإياباً بشكل قلق): سعدية؟ أين أنتِ أيّها الحزينة كما آلهة مخلوعة؟ أين أنتِ يا غائبة حاضرة؟ من هم الذين اغتالوا لحظاتك؟ ما اسم حزنك؟ أعرف ألف قصّة هي قصّتك؟ لكنك لا تعرفين قصّتي. لكن من سيالي بقصّة امرأة مغمورة مثلي لا تعرف غير قصّة سعدية، أنا في انتظارك أيّها الغائبة المخلّصة المقيمة على العهد. فلما لا تهطلي عليّ مطراً أو رحمة أو سخطاً؟ سعدية أيّها المعجونة بحزنك، لقد طال حزنك. فأين أنتِ؟ سعدية، أنا في انتظارك.

- (ترفع صوتها، وتصرخ): نعم، أنا في انتظارك.

- (تخفض صوتها كمن يهمس): هم أيضاً في انتظارك.

- (تعود نبرتها إلى سابق عهدها): حتى من يحملون دمك، وشربوا من دموعك، واغتسلوا بدموعك هم في انتظارك، ويبحثون عنك. هذا قدرنا وقدرك وقدري، يا سعدية، قدرنا جميعاً هو أنّ نبعث عنك.

- (يعلو صوت قانون حزين، وتختف الإضاءة إلّا تلك المسلّطة على وجه المرأة، فتقوى، حتى تكاد تصبح ساطعة): سعدية لم تكن امرأة مشهورة، لكنّها كانت امرأة عادية لها أخ احتاج إلى مبلغ من المال، فسطا للمرة الألف بقوة الذراع ودم الأخوة المزعوم على مالها، عندما

قرّرتُ أن ترفض استنزافه المقيت لها، وقالتُ له لا، عاجلها بطعنة سكين بقرتُ بطنها، واخترقتُ أشلاءها، فانزلتُ جنينها أرضاً بين قدميها مطعوناً بطعنة أمّه التي دفعتُ حياتها ثمناً غالياً؛ لأنّها قالتُ لأخيها الظالم: لا، ولأنّها امرأة وصمتُ العائلة بوصمة العار المزعومة، وأهدرتُ شرفها، كما قال خاله في محاضر التحقيق الجنائيّ، فصدّقه الناس والقانون، وكذبوه وهو الجنين المطعون بمنجر خاله المفتري، وكذبوا سعدية التي رحلتُ عن العالم الظالم لها، وما عادتُ تنتظر أحداً لا يجيء، لكنّه ما زال يبحث عنها في خلجاته وفي وجدانه، ويسألها أن تغمض عينيها، فلا تعود نظراتها تعدّبه ليل نهار.

(تضحك سعدية بصوت جهوريّ، وتقذف الزهرية التي في يديها أرضاً، فتكسرهما، وتدوس زهرتها الحمراء بغيظ، ثم تنخرط في بكاء ونحيب).

(يعلو صوت صراخ مجهول في المكان، فترتعب سعدية، وتتكوّر من جديد في كرسيها الأسود، ويطلّ رأسها بخوف وقلق): سعدية لها ألف قصّة، وألف دمة، وفي حياتها ألف رجل ظالم؛ لذلك في صدرها ألف طعنة وطعنة. طعنة من تلكم الطعنات تقول: أراد أن يضمّ إرثها إلى إرثه، فرفضتُ ذلك بقوة وإصرار، فكسر لها ضلعاً، فنبت لها ضلعان، منعها الطعام، فأصيب هو بفقر الدّم الحادّ.

رزمها متاعاً، وقرّر أن يبيعهها لصديق لا يملك إلا ذراعاً عاتية، وعضواً ذكرياً متحفزاً، وعقلاً صغيراً لا يُثقل عليه، فرفضت ذلك، وهربت مع الرجل الذي أحبته، وتزوجته، ومن جديد طالبت بإرثها، فطلبها الأخ صاحب الدّم الحارّ والعضلات المفتولة والمروءة المتعلّقة، وعدا على بيتها، وحزّ عنقها، وتبجّج قائلاً (تقلّد صوته بخشونة وقسوة): إنّه محارها الذي لا يُمحي إلا بالدّم الذي غلى في مرجل غضبه باتّقاد متوحش.

- (تضحك سعديّة بصوت مرتفع): لكن سرعاً ما أسقط في يديه عندما علم أنّ القاتل لا يرث من قتل.

- (تضحك سعديّة بهستييّة حتى تسقط أرضاً على ظهرها، وهي ترفس الهواء بهستييّة، ثم تعقد رجلاً فوق رجل، وتقول، وهي تسلّط نظرها على سقف خشبة المسرح): كم حاول أن يقرن كلمة إلى أخرى، لكنّه فشل في ذلك المرّة تلو الأخرى، يا سادة يا كرام، (تخاطب الجمهور) لقد فشل في ذلك لألف مرّة، في حين كانت هي عرابة الكلمات التي تغزها بإتقان ويسر على مغزها السّحريّ، كتب كثيراً، وكتبت أكثر، فطار نجمها، وحطّ نجمه من غير علّ، عرفها الناس، وجهلته الحروف، أزيد وأرعد وزجر، لكن ما طاوعته الكلمات، كتبت عن حرمانها، فدبّت الحياة في كلماتها، وغدت أشباح علاقات محتملة

مع رجال قد كانوا، قرأ ما كتبتُ، فوجد مبتغاه فيه، حاكمها بمنطق الخيال، لا بجرم الحقيقة، ذئبها بألف حالة عشق، وألقى القبض عليها في حضن ألف رجل، ثم حاكمها على عجل، ونطق بحكمه المنتقم من سعادتها الوهميّة، ومن تفوّقها عليه هو الأخ الرّجل الرّفيح القدر في أسرته وفي قبيلته، وهي الأخت المرأة الأقلّ شأنًا.

- (تسقط سعديّة على الأرض مرّدة من جديد بصوت موجه، وكأّنها مذبوحة):

هي عرابة الكلمات التي تغزها بإتقان ويسر على مغزها السّحريّ
كتب كثيراً
وكتبت أكثر
طار نجمها
وحطّ نجمه من غير عليّ
عرفها الناس
وجهلته الحروف
أزبد وأرعد وزمجر
لكن ما طاوعته الكلمات
كتبت عن حرمانها

فدبّت الحياة في كلماتها
وغدت أشباح علاقات محتملة مع رجال قد كانوا
قرأ ما كتبتُ
فوجد مبتغاه فيما قرأ
حاكمها بمنطق الخيال
لا يجرم الحقيقة
ذئبها بألف حالة عشق
وألقى القبض عليها في حضن ألف رجل
ثم حاكمها على عجل
ونطق بحكمه المنتقم من سعادتها الوهميّة
ومن تفوّقها عليه هو الأخ الرّجل الرفيع القدر في أسرته وفي
قبيلته

وهي الأخت المرأة الأقل شأناً
- (بصوت أعلى وأكثر غضباً): تسلّل إلى غرفتها، وذبحها،
فأطلقت ثغاءً خفيفاً هزّ المكان، وأيقظ رجالها أبطال قصصها ورواياتها،
داسهم جميعاً، ومزّق كلّ ما كتبتُ انتقاماً من تفوّقها عليه، وسخّطاً
على ملكة الكتابة التي تملكها، في حين حُرّم هو منها، وبالطّبع غسل

بذبح أخته التَّعْجَةُ ثوب شرفه المزعوم التي لَطَّخته أخته الأثمة الخاطئة التي فرطتُ بشرفها المصان، إلاَّ أنَّه في حقيقة الأمر برَّد بدمها المسكوف نيران حقهده وغيرته وحسده من موهبتها في الكتابة.

- (تأخذ سعدية بالصراخ، وتمثِّل حركات من طُعت في صدرها، تحاول أن تسحب الخنجر المتخيَّل المغروز في صدرها، يتعالى صراخها أكثر، وترتعد وتزبد، وتقع أرضاً، يسود صمت، ويخيِّم الظلام للحظات دون أيِّ صوت، ثم يرتفع صون التاي الحزين من جديد، وتسلِّط حزمة نور من جديد على المقعد الأسود حيث المرأة جالسة من جديد دون مبالاة، وهي كسيرة): سعدية هي امرأة وفَّق كلِّ معايير الذكورة والمجتمع الأبوي؛ فهي هادئة، ومطبعة، ولا تحتج، ولا تبكي، ولا تطلب أيَّ شيء، وتجيد فنون الطبخ والحياكة، ولا تقول إلاَّ أنا حاضرة، وأنا طوع أمرك.

- (ترفع سعدية صوتها قائلة بصوت مرتفع له صدى): حاضر، حاضر، حاضر.

- (تقف سعدية دون حراك في مكانها، وهي تسمّر ناظريها نحو الأرض): سعدية تعد بأن تقدِّم نفسها شهية له في كلِّ ليلة بعد طبق الحلوى المفضَّل عنده، وتوافق على الزَّواج به؛ لأنَّها دجاجة أو عنزة

بيتية مطيعة، وتذهب زوجة مع الرجل الذي اختاره والدها وإخوانها الغلاظ.

- (تقترب سعدية خطوتين نحو الجمهور): لكن زوجها رأى في عينها أشباح فضيحة، وابتسامة هازئة تندت من صمتها المخيف، ولمح في غضب بصرها قرفاً من عجزه، وتلويحاً بكشف ستره، ومعرفة سبب فشله مع تلك الأجنبية الشقراء التي طلقته سريعاً، وأخذت شطر ما يملك، وجلّ كرامته.

- (تقترب سعدية من المسرح أكثر، وتهمس للجمهور): كان عليه أن يسكتها إلى الأبد، نعم، كان عليه أن يسكت سعدية الدجاجة المتوثبة للصياح إلى الأبد، حاول أن يسكتها بالإشباع، فأعياه عجزه، حاول ذلك مراراً ولأيام كثيرة، لكن دون فائدة، غاظه صمتها، واستفزز جسدها المثير رجولته الرّاكدة المتخاذلة، فانقضّ عليها في لحظة غضب، وقتلها، ومزّق عذريتها ورقبتها بسكينه؛ لأنه قرّر أنّها قد وهبت نفسها لغيره، ولا أحد يستطيع أن يكذّبه، فهو الزوج الربّ، وإذا قال صدق، وما لأهلها إلا أن يأخذوا جسدها المكفّن بالعار، وأن يدفنوه على خجل من الزوج الفحل الشّهم المطعون بشرفه؛ فالدّنب كلّه كان ذنبها، فهي من اختارت زوجاً عاجزاً بشكل كامل. نعم، الدّنب ذنبها، أليس كذلك، أيها السّادة الكرام؟

- (صوت سعديّة يرتفع من جديد، وكأنّه صوت عبر مذياع يقول بلا مبالاة وبتقريرية تخلو من المشاعر): لقد ماتت سعديّة، هذا جزاء من نخون زوجها، هذا جزاء من تطعم جسدها للحبّ الملعون، ماتت سعديّة، قُتلت سعديّة. سعديّة من روح الشيطان، فليلعنها آثموا الأرض جميعهم، وليرجمها كلّ آثم ومقترف ذنب.

- (تقترب سعديّة من الجمهور، وهي ترقص دميّة متخيّلة، وتداعبها، وترميها في الهواء، وتدور، وتدور وهي تحملها، وترفعها عالياً، ثم تبدأ بالصراخ بصوت طفوليّ ونبرة خائفة): أرجوك يا عمي، ابتعد عني، لا تأخذ دميّتي، لا تعرّيني، لا، ابتعد عني، ماما بابا ادركاني، لعبتي ساعديني، لا، لا، لا. . .

- (سعديّة ترتمي على كرسيها، بعد أن كانت تتعارك على الأرض مع رجل وهميّ، وتشرب من كأس وهميّ، ثم تبزق ما شربته، وتقول بارتجاج وارتعاش مقزّر): اعتاد على أن يروي عطشه عبر تلك اللحظات المشحونة بالمتعة المسروقة من فيلم إباحيّ أو مجلة تعرّ، يستجمع فحولته المزعومة، ويهبها دفعة واحدة لامرأة متخيّلة، فتخمد رغبته المحمومة إلى حين، لكن جسده العاتي أراد أن يتلع امرأة حقيقيّة في هذه اللحظة، لم يجد أمامه إلا ابنة أخيه التي ودّعت الطفولة للتو، وانتضت ثديين كسيفين، وملامح أنثويّة قادمة كاجتياح مطر، تفرّسها

برغبة، وانقضت عليها، فامتصت أنوثتها حتى ارتوى، ونسي جريمته، لكن الجنين الذي حملته سفاحاً صرخ في أحشاء أمه الطفلة منذراً بوجوده رافضاً أن يطويه الصمت كما طوى قهر أمه، وجريمة أبيه.

- (سعدية تجلس على ركبتيها، وترتجف مكانها): اجتمعت الأسرة، واهتزت الشوارب الغاضبة، وأغلقت الأبواب والتوافذ والستائر، وحُجبت النساء، وكانت المحكمة؛ ولأنها الأضعف، فقد كان الحكم ضدها؛ إذ ليس من العقل أن يُضحى بالرجل الجائر، وتترك المرأة الطفلة الضحية!

- (سعدية تتحرك على الأرض، وكأن هناك من يجربها من مكانها): اقتادوها إلى العراء حيث قُتل بدم بارد جزاء على فعلتها الشائنة؛ إذ هي دون شك من أغرت عمها البريء كحمل وديع بالاعتداء عليها، وقد أخذت جزاءها وفاقاً، وأراحت وارتاحت.

- (يُظلم المسرح من جديد، وتمتد حزمة إضاءة حمراء طولية عبر عرض المسرح في أقرب نقطة من المشاهدين، تسير سعدية ويدها أمامها، وهي مغمضة العينين كمن يسرون في نومهم، وصوت موسيقى سعيدة يغزو المكان): أحلم بأن أكبر، وبأن أحصل على أجمل ثديين متكورين، وجسد أنثوي جريء. أريد أن أكبر، وأن أتزوج رجلاً وسيماً يشبه أبطال الروايات والحكايات، أريد أن أكبر، وأن أنجب

عشرًا من الفتيات أسميهن جميعاً باسم سعدية. أرجوكم لا تقتلوني؛ لأنني أحلم، أرجوكم لا تقتلوني. أمي، ادركيني، سأهجر أحلامي كلها، وسأهجر كذلك سيرى الليلي المرضي، ولكن لا تقتلوني، لا، لا تفعلوا ذلك.

- (صوت زامور قويّ يعلو في المكان، إلى جانب صوت امرأة تتحب): يا قساة، ماذا فعلتم بابنتي الصّغيرة؟ لقد كانت طفلة حاملة من له أن يُعدم طفلة لأنها تحلم؟

- (صوت المرأة يعود إلى نبرته الأولى، وهي تقول من جديد بصوت ضعيف يعلوه السّعال يقطع تدخينها من سيجارة متخيلة): طالبتُ طويلاً بأن تُعالج ابنتها سعدية من داء السّير ليلاً، لكنّ أحداً لم يعرّها أذن اهتمام؛ فلا أحد عنده وقت لعلاج أخت تسير ليلاً، لكن بالطبع الجميع يملكون أيادي موت عندما يتعلّق الأمر بإعدام أخت وُجدتْ نائمة على الأرض بالقرب من غرفة جار أعزب يسكن سطح العمارة المجاورة بعد أن أعيأها السّير، وهي نائمة.

- (سعدية تهوي إلى الأرض، وكأنّ هناك من دفعها من أعلى مكان ما، فتستلقي أرضاً على ظهرها، وكأنّها ماتت، لكن تستمرّ تروي قصتها): حزموها بسرعة وبقرف، وألقوا بها من شفا جرف، فخرّت أرضاً ميّتة، فغسلتُ بذلك شرفاً ادّعى الأخوة أنّه تلوّث هدرًا، وشُفيتُ

تماماً من داء السَّير ليلاً وهي نائمة. نعم، نعم، لقد شُفيت تماماً من مرضها. فهذه أفضل طريقة للشفاء من مرض السَّير خلال التَّوم، وهي طريقة الموت ذبجاً على يدي أخ ما.

- (خشبَةُ المِسرَح تُظلم من جديد، ثم يدخلها ضوء فاتر برفقة صوت قرع مطرقة على طاولة. سعديَّة تقول بنبرة رجوليَّة خشنة):
محكمة، وقوف.

- (تقف سعديَّة بانتصاب واحترام، وتقول بصوت تقريرِيّ، كأنه صوت قاض حازم): بعد النَّظر في القضية وملابساتها، وجدت المحكمة أنَّ المتهم بريء من التَّهمة المسندة إليه.

- (تبدأ سعديَّة بالتَّصفيق الحارّ، ثم تأخذ بالهتاف قائلة): يسقط الظَّلم، يسقط القاضي الظَّالم، تسقط العادات والتقاليد الظَّالمة، يسقط هو، وتحيا سعديَّة، تحيا سعديَّة. أيُّتها المظلومات، رددن معي: المجد لسعديَّة، وليسقط هو.

- (الإضاءة تسلط أكثر على وجه سعديَّة، تقول بانفعال واضح):
جلس إلى مقعده الفاخر على منصة مرتفعة بعد أن لبس وقاره وحزمه وعدله المزعوم، كان عليه أن ينطق بكلمته الحكم الفيصل في قضية أولئك السَّادة اللُّصوص الذين تاجروا بأعراض المستضعفات والمغلوبات على أمرهنّ من النساء لا سيما تلك الفتاة الغرّ التي هتكوا

عرضها عبر مؤامرة قذرة، كذلك كان عليه أن يقول كلمته العادلة في قضية ذلك الأخ الهمام الذي انتقم لهدر عرض أخته على يد سبعة رجال عتاة، تكاثروا عليها، فغلبوها على أمرها، وقتلوها.

- (سعدية تجلس على كرسيها، وتشد إليها عباءة وهمية، وتتنحج): القاضي الظالم وحكم براءة الأخ الذي انتقم لشرفه، وقتل الأخت الضحية، وترك الذئاب تسعد بصيدها الثمين، وتضجع في الشمس ريانة شبعانة إلى حين وقعت في يد القضاء الذي بدا رحيماً معهم مقارنة بمحكمة الأخ المنتقم لشرفه المهذور على يد ذئاب سبعة من أخته ليلي ذات الرداء الأحمر، والبراءة الشفافة، والحكاية الدامية.

- (صوت موسيقى "الفلامنكو" يعلو بعد صمت، بقع ضوئية حمراء كثيرة تغزو خشبة المسرح، تشرع سعدية ترقص رقصاً محموم بكل خفة ورشاقة، وهي تتخايل وتتمايل، وترقص ثوبها حتى تنتهي الرقصة، وتسقط متكورة على الأرض، ثم ترفع رأسها بإعياء لتقول): لها أن تفرح، لسعدية أن تفرح؛ لأنها تأرت لنفسها أخيراً، لقد ثارت على الرغم من سوط الجلاد، وقالت له: مت، ولو دفعت عمري ثمناً لذلك.

- (سعدية تدور، وتدور، وتدور، حتى تسقط أرضاً جاثية على ركبتيها): في عروق كل منهما يجري دم أحمر قانٍ يحمل كبراً وغيره

ورفضاً للخيانة، فإن ضجّ في شرايينه سُمِّي أخو شرف، وإن ضجّ شرف في سويداء قلبها سُمِّيَت قاتلة آثمة، وما كانت لتبالي بذلك، فقد ألفتها في حُضن صديقتها المقرّبة، يسافدها الغرام، فقتلتها في لحظة غضب، وانتصرت لنفسها، وانتظرت أن ينتصر القضاء لها؛ إذ كانت تدافع عن شرفها كذلك، إلا أنّ القاضي الرّجل لا يستطيع أن يرى الشرف إلا في قطعة لحم بين فخذي امرأة، وخلاف ذلك أيّ موقف لردّ الشرف هو جريمة نكراء في نظره؛ ولذلك فقد أرسلها سريعاً بتذكرة إعدام مستعجلة إلى العالم الآخر؛ لأنها قاتلة آثمة وفق ما يزعم.

- (المرأة تنزل عن المسرح، وتدور بين مقاعد الحاضرين قائلة بانفعال هستيريّ وسعادة خفيفة، وضحكات غير متزنة): سعدية ذهبّت، ولم تعد، كلنا في انتظارها لتطهرنا برجسها، لتغسلنا بدمعها، لتدخلنا في جنتها، نحن في انتظارها نساء نلوك الصّبر، أو رجالاً نتجرّع عذاب الضّمير، ونحارب ضواري الأشباح، ومن له أن لا يبحث عن سعدية؟ ومن قلبها يتفجّر الحنان، وبين يديها يجري ينبوع الخلود؟ أين أنت يا سعدية؟

- (تومئ سعدية بجركات تدلّ على أنّها تقرأ في جريدة، تقلّب الصّفحات على عجل وعصبية، وهي تومئ بجركات توحى بأنّها تشرب من فنجان شاي أو قهوة، وتقرأ بصوت جهوريّ إذاعيّ):

تعالى، يا سعدية، واسمعي هذا الخبر الذي يقول: تتشابه تفاصيل الحكايات المأساة، إذ تعلق بشرف زعم أنه هدر على يدي امرأة خاطئة؛ إذ تقول الحكاية دائماً: . . . وهكذا خسرت شرفها. . . والشرف المهذور لا يعوضه إلا الدّم المسفوك. . . فتسلل ذكراً ما، اسمه. . . في ليلة معتمة. . . وقتلها. . . فغسل بدمائها شرفه الملطخ بالعار، وسلّم نفسه للقضاء الذي كان به رحيماً، ولموقفه متفهماً، فحكم عليه بشهر سجن مع وقف التنفيذ وبغرامة مقدارها قرش لا غير؛ فأرواح المخطئات لا تساوي الكثير في نظر القضاة والقضاء.

- (تصمت سعدية من جديد، وتسير باختيال قائلة): لا، أنا لن أموت، أنا سعدية الخالدة، سألبس الوجوه كلها، لكنني لن أموت، سأروي القصص، وستوهب لي الحياة في كل قصة، نعم، أنا سعدية، وسعدية لا تموت. من حكاياتي الحزينة سوف أنسج الحياة، أنا لا أموت.

- (تأخذ سعدية بالطرق على جدران متخيّلة تحيط بها من الجهات الأربعة في خشبة المسرح، تصرخ، وتصرخ، ولا يجيب لصراخها، تطرق على الجدران دون فائدة، تنهار أرضاً، وتستند إلى الجدار المفترض، وتصرخ قائلة): سعدية، أنا في انتظارك، أنا على قيد الحياة، جميعنا أحياء؛ لأنك تسكنين فينا، بالبحث عنك يغدو هناك

معنى للحياة. سعديَّة، أنا ونحن والشَّمس في انتظارك. سعديَّة ية ية ية
ية ية، نحن في انتظارك.

(تسقط سعديَّة أرضاً، ويُعتمَّ المسرح بشكل كامل، ويعلو
صوت سقوط المطر، وسقسقة العصافير وضحك الأطفال).

انتهت المسرحية

لا تزال سعديَّة أمَّ الحظوظ بيننا

د. سناء شعلان

أديبة وأكاديمية وإعلامية أردنية من أصول فلسطينية، ومراسلة صحفية لبعض المجالات العربية، وناشطة في قضايا حقوق الإنسان والمرأة والطفولة والعدالة الاجتماعية، تعمل أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية/الأردن، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ونقده بدرجة امتياز، عضو في كثير من المحافل الأدبية والأكاديمية والإعلامية والجهات البحثية والحقوقية المحلية والعربية والعالمية.

حاصلة على نحو ٦٣ جائزة دولية وعربية ومحلية في حقول الرواية والقصة القصيرة وأدب الأطفال والبحث العلمي والمسرح، كما تمّ تمثيل الكثير من مسرحياتها على مسارح محلية وعربية.

لها نحو ٦٣ مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقديّ متخصص ورواية ومجموعة قصصية وقصة أطفال ونصّ مسرحيّ مع رصيد كبير من الأعمال المخطوطة التي لم تنشر بعد، إلى جانب المئات من الدراسات والمقالات والأبحاث المنشورة، فضلاً عن الكثير من الأعمدة الثابتة في كثير من الصحف والدوريات المحلية والعربية.

لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلية وعربية وعالمية في قضايا الأدب والتقد والتراث وحقوق الإنسان والبيئة، إلى جانب عضويتها في لجانها العلمية والتحكيمية والإعلامية.

هي ممثلة لكثير من المؤسسات والجهات الثقافية والحقوقية، كما أنها شريكة في الكثير من المشاريع العربية والعالمية الثقافية.

ثُرِجَت أَعْمَالُهَا إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ اللُّغَاتِ، وَنَالَتْ الْكَثِيرَ مِنَ التَّكْرِيمَاتِ
وَالدَّرُوعِ وَالْأَلْقَابِ الْفَخْرِيَّةِ وَالتَّمَثِيلَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْمَجْتَمَعِيَّةِ وَالْحَقُوقِيَّةِ.
مَشْرُوعُهَا الْإِبْدَاعِيُّ حَقْلٌ لِّلْكَثِيرِ مِنَ الدَّرَاسَاتِ التَّقْدِيَّةِ وَالبَحْثِيَّةِ وَرَسَائِلِ
الدَّكْتُورَاهِ وَالْمَاجِسْتِيرِ فِي الْأُرْدُنِ وَالْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِ.

من أعمالها المنشورة:

١- الروايات:

١. أعشقتني.
٢. السقوط في الشمس.
٣. أدركها التسيان.

٢- روايات الفتیان:

١. أصدقاء ديمة.

٣- المجموعات القصصية:

١. قافلة العطش.
٢. تراتيل الماء.
٣. الجدار الزجاجي.
٤. حدث ذات جدار.
٥. الذي سرق نجمة.
٦. تقاسيم الفلسطيني.
٧. عام التمل.

٨. رسالة إلى الإله.
٩. أرض الحكايا.
١٠. مقامات الاحتراق.
١١. ناسك الصومعة.
١٢. قافلة العطش.
١٣. الكابوس.
١٤. الهروب إلى آخر الدنيا.
١٥. مذكرات رضية.
١٦. أكاذيب النساء.

٤- مجموعات قصصية مشتركة مع أدباء عرب وعالميين:

١. مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان "القصّة في الأردن: نصوص ودراسات".
٢. مجموعة قصصية بعنوان "الضّياع في عيني رجل الجبل".
٣. مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين عرب بعنوان "في العشق".
٤. مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان "مختارات من القصّة الأردنيّة".
٥. مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء مصريين مجموعة نجوم القلم الحرّ في سماء الإبداع.

٥- مسرّحيات للكبار:

١. دعوة على شرف اللون الأحمر.
٢. "سيلفي" مع البحر.
٣. وجه واحد لاثنين ماطرين.
٤. محاكمة الاسم (×).
٥. السلطان لا ينام.
٦. خرافية سعدية أم الحظوظ.

٦- مسرّحيات للفتيان والفتيات

١. اليوم يأتي العيد.
٢. رحلة مع المعلمة فرحة.

٧- قصص أطفال:

١. قصة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".
٢. قصة للأطفال بعنوان "هارون الرّشيد: الخليفة العابد المجاهد".
٣. قصة للأطفال بعنوان "الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو العروض والنحو العربي".
٤. قصة للأطفال بعنوان "ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحبي السنّة".
٥. قصة للأطفال بعنوان "الليث بن سعد: الإمام المتصدّق".
٦. قصة للأطفال بعنوان "العزّ بن عبد السلام: سلطان العلماء وبائع الملوك".
٧. قصة للأطفال بعنوان "عبّاس بن فرناس: حكيم الأندلس".

٨. قصّة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".
٩. قصّة للأطفال بعنوان "صاحب القلب الذهبي".
١٠. ومئات القصص المصورة للأطفال المبتوثة والمنشورة في مجلات الأطفال المحليّة والعربيّة.

٨- المقالات والتّصوص الثّريّة:

١. أبي سيّد الكلمات.

٢. الذين لا ينامون.

٣. قالت النّساء.

٤. غصون وتخوم.

٥. الدّرب إليهم.

٩- لقاءات حوارية:

١- العرّافة والجبل.

١٠- كتب نقدية متخصصة:

١. الأسطورة في روايات نجيب محفوظ.

٢. السرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرواية والقصّة القصيرة في الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢م.

٣. دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب: تفجيرات عمان في قصص بالشراكة مع المؤلّف وائل الفاعوري.

٤. الدّواني والغواني: إطلالة على الإبداع العربيّ المعاصر.

١١- المشاركة في فصول نقدية في كتب نقدية محكمة متخصصة:

١. المشاركة بفصل بعنوان "السرد الجميل لتأثير عالم قبيح" في كتاب بعنوان "حنون مجيد في منجزه القصصي"، جمع وإعداد وتحرير د. سمير الخليل.
٢. مشاركة بفصل بعنوان "لقاء مع العلامة علي القاسمي: أبو المعاجم العربية الحديثة" في كتاب "الدكتور علي القاسمي" سيرة ومسيرة: مجموعة بحوث ودراسات مهداة إليه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين، جمع وإعداد د. منتصر أمين عبد الرحيم.
٣. المشاركة بفصل بعنوان "عبد الكريم غرايبة العملاق الذي ينير الدرب للجميع" في كتاب "عبد الكريم غرايبة مؤرخاً عربياً".
٤. المشاركة بفصل بعنوان "مساحة التوتّر بين الانتظار والخيبة عند القاصّ العراقيّ فرج ياسين في مجموعته القصصيّة واجهات برّاقة" في كتاب "في آفاق النصّ القصصيّ: مقاربات في الهوية والنصّ والتشكيل عند فرج ياسين".
٥. المشاركة بفصل بعنوان "البطل في قصص زياد أبو لبن" في كتاب "القصّة القصيرة في الوقت الراهن".
٦. المشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب "المبدع الراحل محيي الدين زنكنه بأقلام أصدقائه".
٧. المشاركة بفصل بعنوان "الفتازيا رداء للتشوير في التجربة القصصيّة عند محيي الدين زنكنه" في كتاب "نقدّي بعنوان نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكنه الإبداعي".

٨. المشاركة بفصل بعنوان "شهادة إبداعية للأدبية الأردنية سناء شعلان" في كتاب "دراسات نقدية عن الأدب الكردي".

١٢- الكتب المنهجية:

١- كتاب بعنوان "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: المستوى الخامس"، كتاب مشترك مع مجموعة من المؤلفين.

عنوان المؤلفه: د. سناء شعلان
الأردن - عمان - الرّمز البريدي ١١٩٤٢
ص. ب ١٣١٨٦
خلوي وواتس وفايبر: ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩
البريد الالكتروني
Selenapollo@hotmail.com
العنوان على الفيس بوك
Sanaa shalan



9 789957 697907